

المنشآت المعمارية في عصر الخديوى إسماعيل

دراسة تاريخية أثرية



أحمد محمد على

مكتبة مديوني

صفحات من تاريخ مصر

هذه السلسلة تضم :

- ١- فتح العرب لمصر
- ٢- تاريخ مصر إلى الفتح العثماني
- ٣- الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي
- ٤- تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي
- ٥- تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل
- ٦- تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر
- ٧- ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا
- ٨- ج ١ تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا
- ٩- ج ٢ تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا
- ١٠- فتوح مصر وأخبارها
- ١١- تاريخ مصر الحديث ٢/١
- ١٢- كتاب قوانين الدواوين
- ١٣- تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث
- ١٤- الحكم المصري في الشام
- ١٥- تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق
- ١٦- آثار الزعيم سعد زغلول
- ١٧- مذكراتي "إسماعيل باشا صدقي"
- ١٨- الجيش المصري في الحرب الروسية (حرب القرم)
- ١٩- وادي النطرون و رهبانته و أديريته
- ٢٠- في صحراء العرب والأديرة الشرقية
- ٢١- الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع البحر الأبيض
- ٢٢- السلطان قلاوون (تاريخه ، أحوال مصر في عهده)
- ٢٣- صفوة العصر في تاريخ مشاهير رجال مصر
- ٢٤- المماليك في مصر
- ٢٥- تاريخ دولة المماليك في مصر
- ٢٦- تاريخ سلاطين بني عثمان
- ٢٧- محمود فهمي النقراشي ودوره في السياسة المصرية
- ٢٨- دور القصر في الحياة السياسية في مصر ٢/١
- ٢٩- مذكرات اللورد كيلرن
- ٣٠- عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم
- ٣١- خفقات الصوفية في مصر ٢/١
- ٣٢- فاروق وسقوط الملكية في مصر
- ٣٣- تحفة الناظرين في من ولي مصر من الملوك والسلاطين
- ٣٤- تاريخ عمرو بن العاص
- ٣٥- القبائل العربية في صعيد مصر
- ٣٦- علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب
- ٣٧- عجائب الآثار في التراجم والأخبار (الجبرتي) ٥/١
- ٣٨- مصر في العصر العثماني في القرن ١٦
- ٣٩- المواعظ والإعتبار (الخطب المقرئية) ٢/١
- ٤٠- صليب باشا سامي ١٨٩١-١٩٥٢
- ٤١- سيد مرعي شريك و شاهد على عصر الليبرالية
- ٤٢- سار... أمير التتر المسلم
- ٤٣- مالية مصر في عهد الفراعنة
- ٤٤- الموسيقى الشرقية والغناء العربي
- ٤٥- الدليل في موارد أعالي النيل
- ٤٦- الموسيقى الشرقية
- ٤٧- النخبة المصرية الحاكمة ١٩٥٢-٢٠٠٠
- ٤٨- الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ٢/١
- ٤٩- عصر سلاطين المماليك الجراكسة
- ٥٠- تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب
- ٥١- مشرفة بين الذرة والذروة
- ٥٢- قادة الشرطة في السياسة المصرية
- ٥٣- عثمان محرم باشا
- ٥٤- أتاك العسكر في القاهرة (عصر المماليك الجراكسة)
- ٥٥- السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة
- ٥٦- أحمد باشا الجزار
- ٥٧- محمد البرادعي الذي أربك العالم
- ٥٨- تاريخ البعثات المصرية إلى أوروبا
- ٥٩- حضارة مصر القبطية (النادرة المفقودة)
- ٦٠- محمد علي باشا (عودة النادرة المصرية)
- ٦١- المنشآت المعمارية في عصر الخديوي إسماعيل

الناشر



MADBOULY BOOKSHOP

مكتبة مديولي

6 Talat harb SQ. Tel:25756421

٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com

**المنشآت المعمارية
في عصر الخديو إسماعيل
دراسة تاريخية أثرية**

علي ، أحمد محمد.

المنشآت المعمارية في عصر الخديوي إسماعيل (صفحات من تاريخ مصر (٦١)

المؤلف: أحمد محمد علي غباشي

ط ١. - القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠١٤ م.

٢٨٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم .

تدمك : ٦- 807 - 208 - 977 - 978

١ - مصر - تاريخ - العصر الحديث - عصر إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩ م)

٢ - العمارة الحديثة - مصر

أ - الخديوي إسماعيل ، إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي الكبير ، ١٨٣٠ - ١٨٩٥

ب - العنوان.

ديوى ٩٦٢,٠٣٤

رقم الإيداع : ١٧٦٥٥ / ٢٠١٠ م

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

ت : ٢٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤

الموقع الإلكتروني : www.madboulybooks.com

البريد الإلكتروني : Info@madboulybooks.com

الإخراج الداخلي : مكتب النصر - تليفون : ٠١١١٤١٠١٣٣٢

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر
عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر الناشر .

صفحات من تاريخ مصر

٦١

المنشآت المعمارية في عصر الخديو إسماعيل دراسة تاريخية أثرية

أحمد محمد على غباشي

الناشر

مكتبة مذبولي

2014

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

(صدق الله العظيم)

[البقرة : ٣٢]

شكر وتقدير

الشكر لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
بِعَمَلِكَ الْبَرِّ أَتَعْمَتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾

صدق الله العظيم

الشكر والتقدير للعلامة . الأستاذ الدكتور / رأفت الشيخ . أستاذ التاريخ
الحديث والمعاصر الذي لم يعخل على بوقت أو بعلم وأحب أن أقول له :

يا أستاذاً للبيان ليس بيانى غير حب يفيض من وجدانى
ليس شعري الذى يصور معنى من معانيك يا رفيع المعانى

الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور / محمود عبد الرازق عوض - أستاذ الآثار
المصرية الذى ارتويت كثيراً من بحر علمه .

الشكر كل الشكر لكل من أ.د / هبة الله محمد فتحى - وكيل كلية السياحة
والفنادق - جامعة قناة السويس .

أ.د / مفيدة الوشاحى - رئيس قسم الإرشاد السياحى بالكلية .

شكر خاص لـ أ.د / معتز خورشيد - نائب رئيس جامعة القاهرة السابق
ومدير المجلس العربى للدراسات العليا على نصائحه الغالية .

الشكر الجزيل للأستاذ / نصر منصور - مدير عام المكتبات بجامعة القاهرة
وكل العاملين بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة .

الشكر والعرفان لأمي الغالية التي جادت بزهرة عمرها من أجلى - وإلى رفيقة
دربى وحياتى . إلى روح والدى أسكنها الله الفردوس الأعلى .

والله الموفق ،،،

مقدمة

يتناول هذه الكتاب المشروعات العمرانية وأثرها على السياحة في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد قمت بالتركيز على فترة الخديوى اسماعيل ، لما شهدته هذه الفترة من مشروعات عمرانية جديرة بالدراسة ، وجوانب اصلاحية متعددة فى شتى المجالات .

وقد سبق تناول الموضوع من وجهة النظر التاريخية من خلال عرض لأهم المشروعات العمرانية و الإنجازات الحضارية فى هذه الفترة . وهناك من تحدث أيضاً عن السياحة فى مصر فى القرن التاسع عشر بشكل مستقل . لذا فقد اهتممت بمحاولة الربط بين هذه المشروعات وأثارها على السياحة ، و التى تمثل صناعة من أهم الصناعات التى تؤثر بشكل كبير فى الاقتصاد المصرى ، وهى صناعة مركبة تدعمها العديد من المقومات كالعمران ، النقل و المواصلات ، الفنادق ، عوامل الجذب الثقافى كالآثار ، الأوبرا ، وغيرها .

وقد قسمت الموضوع الى سبعة فصول كما يلى :

"الفصل الأول" وقد تناولت فيه مشروعات المدن سواء المدن القديمة مثل القاهرة و الإسكندرية أو المدن الحديثة مثل بورسعيد والاسماعيلية .

فلاشك أن إسماعيل جعل من القاهرة حاضرة للبلاد تضاهى أعظم عواصم العالم واستطاع بفضل جهده أن يحقق مشروعه العظيم باريس الشرق . فها هى القاهرة ولدت من جديد على يد إسماعيل بشوارعها الجديدة وميادينها الواسعة وحدائقها الرائعة وإنارتها بالغاز وإدخال المياه الصالحة للشرب . وكيف استطاع

بعضه السحرية أن يحول البرك والمستنقعات إلى جنات وقصور شامخة ومازالت حتى الآن شاهدة على إنجازات هذا الحاكم المحب لبلده . ولم تكن الإصلاحات قاصرة على القاهرة فقط، وإنما امتدت يد العمران إلى حاضرة البلاد الثانية "الإسكندرية" التي كانت في ذلك الوقت بفضل مشروعاته مركز جذب سياحي هام لاسيما إنارتها بالغاز وإدخال المياه وشق الشوارع وبناء القصور وإصلاحاته لميناء الإسكندرية . وبورسعيد أيضاً نالتها عين الرعاية الخديوية، وكان الختام بالإسماعيلية التي حملت اسم الخديوي وظلت تذكراً واعترافاً بالجميل والفضل للخديوي إسماعيل .

أما "الفصل الثاني" فقد تحدثت فيه عن "مشروعات النقل والمواصلات" وكيف كانت سبباً في نقل مصر حضارياً، فالسكك الحديدية كونت حلقة وصل بين المدن الرئيسية في الوجهين البحري والقبلي فانتعشت حركة التجارة وحركة العمران وبالتالي حركة السياحة، لأن النقل أحد العناصر الهامة في إتمام العملية السياحية . وانتقلنا إلى إدخال البريد والتلغراف في مصر وكيف لعبا معاً دوراً هاماً في الربط بين المدن والقرى المصرية . ومما زاد من الأهمية أن الأمر لم يكن قاصراً على النطاق المحلي وإنما تجاوز الحدود، وسيتجلى ذلك من اشتراك مصر في المؤتمرات الدولية الخاصة بالبريد . أما النقل النهري فكانت له أهمية كبيرة في ذلك الوقت سواء بالنسبة للملاحة والنقل والتجارة أو بالنسبة للسياحة، وهانحن الآن نجد نهر النيل واستغلاله في السياحة النهرية على خط القاهرة / الأقصر / أسوان بجانب مشاهدة أهم المعالم الأثرية في المدن الرئيسية خاصة في مصر الوسطى والأقصر وأسوان . وكان ختام الحديث في هذا الفصل عن قناة السويس هذا الشريان المائي العظيم الذي كان بمثابة إعلان لانتقال مصر من المحلية إلى العالمية، وكانت قناة السويس وما تبعها من مشروعات متعلقة بافتتاحها لها تأثير بالغ في حركة السياحة خاصة تمهيد طريق الأهرام - إنشاء الإسماعيلية ... إلخ .

الفصل الثالث تناول أهم مشروعات الرى سواء أهم الترع والقناطر وإصلاح القناطر الخيرية . ولا عجب أن هذه المشروعات أيضاً كان لها تأثير على حركة السياحة فيها هى التربة الإبراهيمية وقناطر التقسيم كما يقول عنها المهندس الإنجليزى (السير جون فولر) أن السائحين الذين يحضرون إلى مصر لمشاهدة الآثار القديمة أولى بهم أن يشاهدوا الآثار الجديدة وهى التربة الإبراهيمية وقناطر التقسيم . وليس عجباً أن تصبح القناطر الخيرية التى أنشأها محمد على وقام بإصلاحها الخديوى إسماعيل هى الآن إحدى مقاصد الجذب السياحى بالنسبة للسياحة الترفيهية لسكان القاهرة الكبرى والمتوفية والمحافظات المجاورة .

أما مشروعات التعليم فقد تناولها " الفصل الرابع " ، ولا شك فى أن إصلاحات إسماعيل فى التعليم هى نقطة تحول فى تاريخ التعليم فى مصر أو كما يصفه إلياس الأيوبى " بعصر إحياء العلوم والمعارف " ، وكيف لا ؟ والتعليم هو أساس نهضة الأمم وتقدمها، وكذلك الاهتمام بإرسال البعثات إلى الدول الأوروبية ونقل مظاهر الحضارة الأوروبية إلى مصر . كان هذا العصر من أزهى العصور، ولا شك فى أن التعليم هو أحد عناصر تقدم السياحة لأن الوعى السياحى من أهم عناصر إتمام العملية السياحية . والوعى السياحى لن يحدث إلا بالتعليم والثقافة وليس فقط من خلال العادات والتقاليد . ومما يؤيد كلامى هذا وجود كليات للسياحة والفنادق الآن حتى يكون العاملين فى هذا المجال مؤهلين علمياً .

" الفصل الخامس " تناول المشروعات الثقافية مثل دار الكتب ودار الآثار ودار الأوبرا والجمعيات العلمية وكلها عناصر جذب ثقافى، سياحى ليس فقط فى هذا التوقيت وإنما حتى الآن . فالمتحف المصرى هو أهم عنصر جذب سياحى ثقافى ودار الأوبرا التى هى بمثابة نافذة تفتح على العالم ليرى المشاهد ثقافات وحضارات وعادات .

" الفصل السادس " تناول المشروعات البحرية خاصة ميناء السويس وميناء الإسكندرية وإنشاء الفنارات والشركات الملاحية وتأثيرها على حركة السياحة .

أما الفصل السابع تناولت فيه الحديث عن مفهوم السياحة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأهم الأماكن السياحية والأنشطة السياحية الممارسة في ذلك الوقت .

وقد اعتمدت على كثير من المصادر و المراجع العربية أهمها الخطط التوفيقية لعلى مبارك ، تقويم النيل لأمين سامى ، تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا لإلياس الأيوبى . بالإضافة إلى العديد من الرسائل العلمية .

وأتمنى أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد نجحت فى إلقاء الضوء على فترة هامة فى تاريخ مصر ، وتقديم نشرة إرشادية سياحية حاولت فيها الربط بين التاريخ والسياحة.

والله الموفق ،،،

الفصل الأول

مشروعات المدن

أولاً: المدن القديمة

١ - القاهرة

٢ - الإسكندرية

ثانياً : المدن الحديثة

١ - بورسعيد

٢ - الإسماعيلية

أولاً: المدن القديمة

١- القاهرة

مقدمة

كان عام ١٨٦٣ عاماً هاماً في تاريخ القاهرة . فهو العام الذي تولى إسماعيل باشا فيه الحكم، وهو أول حاكم منذ ٩ قرون يرتبط بمشروع شامل لتنمية المدينة، وكان هذا المشروع يمثل بالضرورة محاكاة لنموذج تنمية المدن الغربي الذي أظهرت فيه أوروبا تفوقها .^(١) ليستكمل المشروع الأكبر " مصر الحديثة " الذي بدأه جده محمد علي باشا، فكل الأمور كانت مهيأة بهذا الإنجاز الضخم، وعلى رأسها القوة الاقتصادية الناتجة عن الارتفاع المفاجئ لأسعار القطن.^(٢)

ولا شك في أن إسماعيل كان محباً للبناء والتجديد، عظيم الآمال في النهوض بأمته، فنظر إلى مدينة القاهرة فوجدها محصورة منكشمة في أحضان المقطم بأحيائها القديمة وأزقتها الضيقة . فمضي قدماً في استنباط وسائل التجميل والتحسين بفتح الشوارع وإنشاء المنتزهات والحدائق والقصور الفخمة اللاتقة بعاصمة ملك الفراغة وحاضرة التشريع الإسلامي.^(٣)

(١) اندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة - ترجمة لطيف فرج - ص ٢٦٩ .

(٢) عرفة عبده علي : القاهرة في عصر إسماعيل - ص ٢٧ .

(٣) محمد رمزي نظيم : القاهرة إسماعيل - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - ص ٣٧٦ .

ومن هنا يتضح أن إسماعيل رمي إلى غرضين^(١):

الأول : إدخال ما يمكن إدخاله من إصلاح اجتماعي وصحي على القاهرة المعز مع إبقائها على ما هي عليه من ذاتية .

الثاني : إنشاء القاهرة أخرى هي " القاهرة إسماعيل " مقامة على أحدث الطرز العصرية بشوارعها الفسيحة وميادينها الواسعة وقصورها الفخمة النبيلة .

فكان تحديث القاهرة بالنسبة لإسماعيل رمزاً لارتقاء مصر حضارياً وتجسيداً لرغبته العارمة في أن يشهد الغرب عاصمة أوربية في القاهرة تحكم دولة عصرية تقوم على ضفاف النيل ، تمتد من الإسكندرية إلى الخرطوم .^(٢)

فراح إسماعيل يزيل ما بقي شمالي القاهرة المعز من أكوام قدرة ، ويردم ما لم يزل من مستنقعات وبرك تبعث روائح كريهة، وينظف ما بين بابي الفتوح والنصر وقلعة الكبش والسيدة زينب.^(٣)

وكانت القاهرة على موعد للدخول في عصر جديد من العمران الحضري في ربيع ١٨٦٨ ، حيث أقيم معرض باريس الدولي الذي كان فكرة البارون " هاوسمان " الذي أنشأ غابة بولونيا بالقرب من باريس ، وفكر الخديوي في هذا اللقاء أن يحول منطقة الأزبكية إلى حدائق منسقة على هذا الطراز وهذا يؤكد استعانتة فيما بعد بهذا المهندس.^(٤)

لم يكن لدى إسماعيل الوقت لإحداث تغيرات ضرورية تشمل القاهرة الشرقية، ففكر في استحداث مدينة جديدة تمثل واجهة للقاهرة القديمة من الجهة

(١) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا المجلد الأول - ص ١٤٩ .

(٢) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٣) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٤) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

الغربية . وبعد عودته من باريس بنحو شهرين، بدأ الخديوي إسماعيل خطوات التنفيذ لمشروعه الكبير . فكانت البداية أن قام بإسناد ديوان الأشغال العمومية إلى علي باشا مبارك، وكانت المهمة الرئيسية هي إعداد برنامج شامل لتخطيط وتطوير القاهرة طبقاً لطراز مدينة باريس .

وقد قام علي باشا مبارك بإعداد مشروع قانون يضع إطاراً لمشروعات إسماعيل العمرانية يختص بإعادة تنظيم المدينة، ووضع تقسيماً إدارياً، وكان ذلك في ٨ يوليو ١٨٦٨ فقام بتقسيم القاهرة إلى أربعة أقسام بحيث يضم كل قسم ثمنين من الثمانية أثمان التي أقامها محمد علي باشا .

" باب الشعرية مع الأزبكية، الدرب الأحمر مع الجمالية، الخليفة مع قوصون وعابدين مع درب الجماميز " وكانت النواحي مقسمة إلى أربعة أقسام وهي : مصر القديمة، بولاق، شبرا، الوايلي .^(١)

وتتضمن لائحة التنظيم ٣٤ بنداً بالإضافة إلى الاعلان الصادر من ناظر الجهادية بشأن بيان الرسوم اللازم تحصيلها بديوان الاشغال العمومية .^(٢)

والواقع أن تلاقي " تخطيط المدينة الحديثة " و " تخطيط مؤسسات التعليم " لم يكن محض صدفة . فأعمال علي باشا مبارك كانت تعبر عن اهتمامات عصره، فالشوارع تمهد والمدارس تشيد، تعبيراً عن إنجاز لنظام ثقافي وترتيب اجتماعي .

(١) اندريه ريمون : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

(٢) عرفه عبده علي : المرجع السابق ص ٣٢ .

شكل (١)



المصدر : اندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة - ترجمة فؤاد لطيف نقلا عن جانيت أبولند

شوارع القاهرة

كان إسماعيل باشا شغوفاً بحب البناء والتعمير ولوعاً بحب التنسيق والتجميل، لم يعبأ بجهد أو مال في سبيل إصلاح عمران البلاد .

فرأى ببصره الثاقب أن الحاجة ماسة إلى تنظيم الأحياء ، وإنشاء الميادين ، وشق الشوارع والحدائق . فأنجز ذلك كله بطريقة هندسية دقيقة تشهد له بالبراعة في هذا المضمار . وقد روعي في تخطيط هذه الشوارع أن تكون مستقيمة ، أغلبها

مقاطع علي زوايا قائمة ، وجعل في جانبي كل شارع وحارة إفريزاً للمشاة، وخصص الوسط للعربات والحيوانات، ورصف أرضها بالدقشوم ، ومدت في جميعها مواسير الماء للشرب والرش وري البساتين ، ونصبت فيها مصابيح الغاز للإنارة ، كما امتدت شبكة المجاري العمومية فيها .^(١)

ومن أهم هذه الشوارع :

شارع قصر النيل

هو أشهر شوارع وسط القاهرة، يكاد يكون الشارع الوحيد الذي لم يتغير اسمه حتي الآن، لأنه فعلاً شارع له تاريخ وصفحة من صفحات تاريخ مصر.^(٢) ويعتبر القائد العظيم إبراهيم باشا أول من فكر في تعمير المنطقة الممتدة الآن من " كوبري أبو العلا " شمالاً إلي ما بعد كوبري قصر النيل جنوباً عندما أمر بتمهيد تلك الأرض وردمها وتسويتها كجزء من تجميل الشاطئ الشرقي لنيل العاصمة . وكجزء من اهتمام سعيد باشا بالجيش والبحرية أنشأ ثكنات للجيش المصري في منطقة قصر النيل ، وكانت هذه بداية اكبر حركة تعمير في هذه المنطقة وهي الأساس الذي تحرك عليه إسماعيل باشا .

وبعد أن تولى إسماعيل باشا حكم مصر، أمر بالتوسع في تعمير المنطقة الممتدة من شاطئ النيل عند ثكنات الجيش إلي باب اللوق . وكلف كبير مهندسي مصر علي باشا مبارك بتحويل تلك المنطقة إلي واجهة حضارية للعاصمة .

وفي عام ١٨٧٤م، بلغت المساحة التي شغلتها المباني ٢٥٧ فداناً، احتلت شبكة الطرق منها ٣٠٪، وشغلت المباني ١٣٪، واحتلت الباقي حدائق شاسعة تمثل

(١) مصطفى فهمي : القصور والمنشآت : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته ص٣٧١ ،

ص٣٧٢ .

(٢) عباس الطرابيلي : شوارع لها تاريخ - ص٥٣ .

الاحتياطي للتوسع العمراني . وهكذا ظهرت شوارع قصر النيل، سليمان باشا، قصر العيني، وبلغ طول شارع قصر النيل ١٢٥٠ متراً.^(١)

وبعد ذلك أمر الخديو إسماعيل بنقل المدرسة الحربية التي أنشأها سعيد باشا في القناطر الخيرية إلى ثكنات قصر النيل لزيادة تعميرها .

فقصر النيل ليس مجرد شارع تم دكه بالحجر الدقشوم ، وليس هو مجرد أاثاث للجيش ومدرسة حربية ولكن قطعة من تاريخ مصر .

أما التمثال الذي كان مقرراً لإقامته للخديوي إسماعيل فوق القاعدة التي أقيمت في ميدان الإسماعيلية " التحرير " فقد وصل إلى الإسكندرية من إيطاليا بعد ثلاثة أيام من قيام ثورة ٢٣ يوليو، ولهذا لم يكتب للخديوي أن ينعم بتمثاله في الحي الذي أنشأه .

كوبري قصر النيل

كوبري الجزيرة أو كوبري قصر النيل ، هو أول كوبري يشيد علي نيل القاهرة . فعندما كان العمل جارياً في سراي الجزيرة ، لم يعد من اللائق إبقاء العبور من شاطئ إلى شاطئ علي صف من المراكب المربوطة إلي بعضها ممدود عليها ألواح من الخشب، وبات من الحتمي تشييد كوبري يتناسب مع فخامة الأحياء التي سيربط بينها.^(٢)

وفي عام ١٨٦٩ عهد إلي شركة " فيف ليل " الفرنسية لتنفيذ الفكرة . وبلغ طول الجزء الأول من ظهر الكوبري ٥٠٠ قدم.^(٣)

وفي ١٠ فبراير ١٨٧٢ افتتح الكوبري رسمياً ، وبلغ طوله ٤٠٦ متر، وعرضه عشرة أمتار ونصف المتر، منها ثلاثة أمتار للإفريزين ، وله فتحتان ملاحيتان ، ويدار الجزء المتحرك منه باليد .

(١) عباس الطرابيلي : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٢) عرفه عبده علي : القاهرة في عصر إسماعيل ، ص ٧٦ .

(٣) أمين سامي : تقويم النيل في عصر إسماعيل . المجلد الثاني من الجزء الثالث ص ٩١٩ .

وبالنسبة للتماثيل الأربعة (تماثيل السباع) والتي صنعت في إيطاليا من البرونز ، فكان ثمنها وتكاليف شحنها إلى الإسكندرية ما يعادل ٨٤٢٥ جنيهاً مصرياً .

ثم تقرر هدم كوبري قصر النيل لإنشاء كوبري آخر محله . وطرح في مناقصة يوم ٥ مارس ١٩٣٠ ، ورست المقاوله علي شركة " دورمان لونج " الإنجليزية . وهو الكوبري الحالي الذي افتتحه الملك فؤاد في عام ١٩٣٣ واطلق عليه اسم والده الخديوي اسماعيل اعترافاً بفضل المنشئ الاول لكوبري قصر النيل القديم، وأصبح طول الكوبري الجديد ٣٨٢ متراً و ٢٠ سم وعرضه ٢٠ متراً ، وأعيد تركيب الأسود الأربعة علي مدخل الكوبري لكن علي ارتفاع أقل مما كانوا عليه .^(١)

وقبل أن نترك قصر النيل لا يفوتنا الإشارة إلى أمر يراه البعض غريباً ولكنه أمر واقعي، وهو فرض رسوم يدفعها كل من يعبر الكوبري القديم الذي أنشأه الخديوي إسماعيل سواء من البشر أو الدواب . وقد نص المرسوم الذي نشرته " الوقائع المصرية " يوم ٢٧ فبراير ١٨٧٢ بعد ١٧ يوم من افتتاح الكوبري للمرور، علي تحصيل رسوم عبور من المارة، ونص المرسوم أيضاً علي أن هذه الرسوم تخصص للإنفاق علي لوازم الكوبري .^(٢)

كوبري البحر الأحمر (الجلاء)

أنشئ هذا الكوبري عام ١٨٧٢ ، ويقابل كوبري قصر النيل علي الفرع الغربي ويصل الجزيرة بالجيزة .^(٣) وقد قامت بإنشائه شركة إنجليزية وتكلف أربعين ألفاً من الجنيهات .^(٤) أما الكوبري الحالي فقد شيد ١٩١٤ ، وسمى كوبري الإنجليز ويبلغ طوله ١٤٥٠ متر وعرضه ١٩ متر منها ثلاثة أمتار ونصف للإفريزين . وقد

(١) عباس الطرابيلي : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٢) عباس الطرابيلي : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٣) شحاته عيسى : القاهرة ، ص ٣٠٩ .

(٤) عباس الطرابيلي : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

اشتهر بكوبري بديعة حيث كان كازينو بديعة مصابني في موقع شيراتون القاهرة .
وعقب ثورة يوليو أطلق عليه كوبري الجلاء .^(١)

ميدان الإسماعيلية (التحرير)

هو قلب القاهرة الأوروبية أو القاهرة الحديثة التي تطورت وفق نسيج
عمراني مختلف تماماً عن النسيج العمراني للمدينة القديمة . كانت الحدائق بحى
الإسماعيلية تمثل في عام ١٨٧٤ أكثر من نصف مساحة الحى (نحو ٦٣ هكتاراً) ،
وكان يمكن اعتبار هذا الحى بمثابة حديقة كبيرة حيث كان المبنى كله محاطاً
بالأشجار والأزهار .^(٢)

وسمى الشارع المؤدى إلى كوبري قصر النيل باسم الإسماعيلية (نسبة إلى سراى
الإسماعيلية) التى شيدها الخديوى إسماعيل على جزء من الأراضى والأماكن التى
وهبها إلى قريته الثالثة " جشم آفت خانم أفندى " ، والتى تشمل معظمها منطقة
الإسماعيلية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإحتياطى العقارى الكبير المتمثل فى حدائق حى
الإسماعيلية قد شهد تحولات ضخمة ومتباعدة تبعاً للطلب فى سوق العقارات
ونوعية الطرز المعمارية . ففى الفترة من ١٨٧٤ حتى ١٨٩٠ بدأ تقسيم الأملاك
الكبرى وشق شوارع لتوزيع قطع الأراضى الجديدة، وكانت الطرز المعمارية لفيلات
أو عمارات صغيرة مصفوفة .^(٣)

ففى عام ١٨٧٤ تم تقسيمها إلى تسع قطع مختلفة المساحات، أكبرها نحو
١٢٠٠ م^٢ وقد أدى هذا التقسيم إلى ظهور شارع " الشواربى " فى البداية، ثم افتتح
شارعا " البورصة الجديدة والفضل " .

(١) إبراهيم صبحي السيد غندر ثابت : أعمال المنافع العامة بالقاهرة منذ بداية القرن ١٩ وحتى منتصف
القرن ٢٠ - رسالة دكتوراة - كلية الآثار - جامعة القاهرة - ص ٨٤٠ .

(٢) عرفه عبده على ، المرجع السابق ، ص ٥٩ ، ص ٦٠ .

(٣) عرفه عبده على ، المرجع السابق ، ص ٦١ .

الخطوط العريضة لحي الإسماعيلية - الذى أصبح وسط المدينة مستقبلاً - أصبحت واضحة المعالم بما فيها الشوارع التى لا تزال نشطة للغاية حتى يومنا هذا " قصر النيل، شارع شريف، عماد الدين، الفلكى، قصر العينى ، سليمان باشا " . وهنا تجدر الإشارة إلى أن مدابغ الجلود بالقاهرة كانت بجهة حوش الشرقاوى ، وسوق العصر جنوبى ميدان باب الخلق حيث نقلت إلى أرض اللوق، ثم نقلت فى عام ١٨٦٥ إلى موقعها الحالى خلف سورى مجرى فم الخليج^(١).

وكما ذكرنا سابقاً، لم ينعم إسماعيل بوضع تمثاله فى الميدان الذى أنشأه حيث وصل بعد ثلاثة أيام من قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ .
شكل (٢)



شارع قصر النيل

(١) عرفه عبده على ، المرجع السابق ، ص ٦٣ .

الأزبكية

بركتان كانتا ملء السمع والبصر في القاهرة في عصر محمد علي الكبير . الأولى بركة الفيل والثانية بركة الأزبكية، ولكنهما ذهبتا ولم يبق منهما إلا الاسم .

فبركة الفيل كانت بمثابة حي الزمالك الآن، كان فيها قصور الأمراء طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان بها ثلاثة أرباع قصور الأمراء حول البركة .^(١)

أما بركة الأزبكية فيقول عنها الجبرتي " أن شهرتها كانت كمركز للتزهر والملذات والمتع الليلية في زمن الفيضان "، وأصبحت منطقة جذب للطبقة البرجوازية من البكوات وكبار التجار والأعيان .^(٢)

وفي هذا الصدد أيضاً يذكر إلياس الأيوبي " أنه مع مرور الوقت أساء سكان تلك القصور لاسيما القناصل الأجانب، استعمال التربة ذات العشرة أمتار عرضاً وحولوا مجراها في أيام التحريق إلى إسطبلات لدوابهم وزرائب لطيورهم ودجاجهم . ثم لم يلبثوا أن طلبوا ردمها زاعمين أن حيات خبيثة تنبعث منها ، فردمت وفقدت الأزبكية بذلك خير جزء من أسباب بهجتها . فأهملت، ثم باتت مكان يرتكب فيه أعمال عريضة وسكر في القهوات والحانات المنتشرة في حطباتها، وأعمال سرقة وتهتك تحت ظل أشجارها " .^(٣)

ويرجع اسم الأزبكية إلى الأتابك أزيك بن ططخ الذي بدأ في تعميرها عام ٨٨٠ هـ .^(٤)

(١) عباس الطرابيلي : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٢) عرفه عبده علي ، المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخيوى إسماعيل باشا ، المجلد الاول ، ص ١٤٥ .

(٤) كان أحد ممالك الأشرف برسباي ثم اشتراه الظاهر جقمق وزوجه ابنته ثم عين نائباً على الشام أيام الظاهر بلباي ثم أتابكاً أيام الأشرف قايتباي .

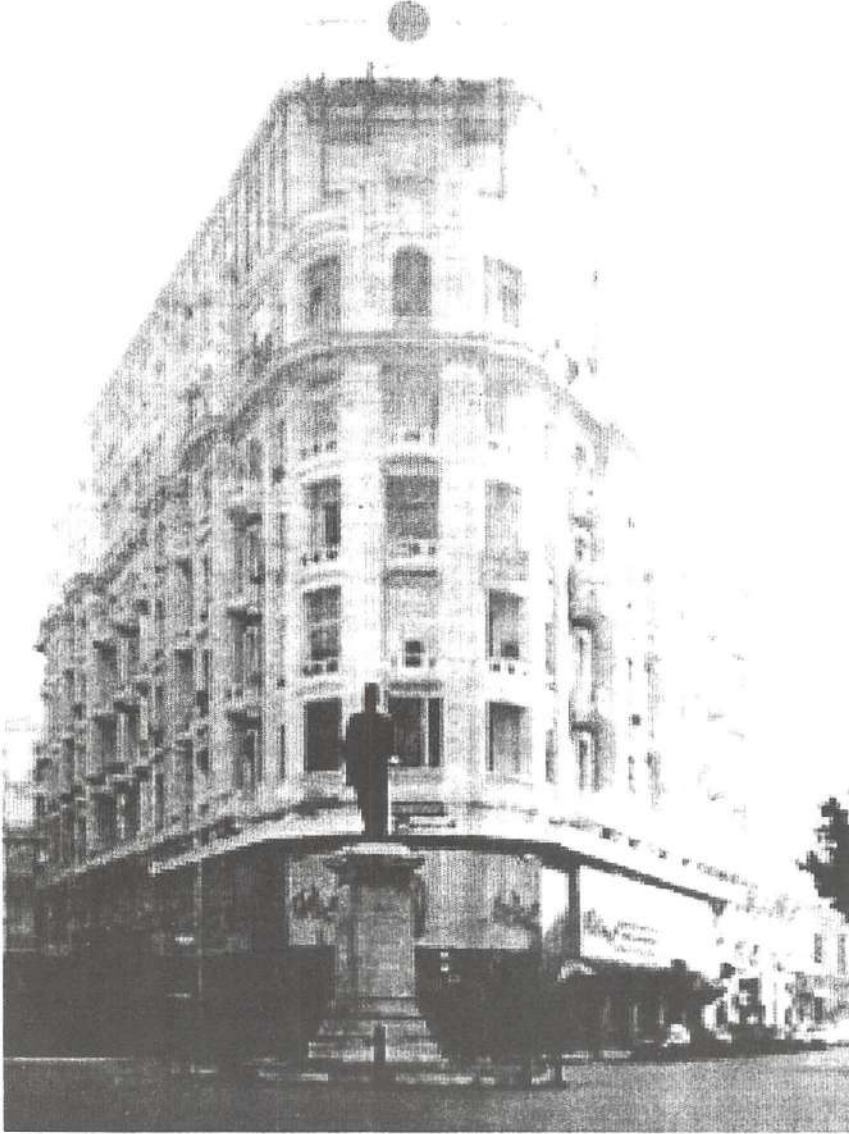
وفي عهد الخديوى إسماعيل ، تم تكليف المهندس الفرنسى الشهير "هوسمان" بإعادة تخطيط منطقة الأزبكية . ولم يكن هدف إسماعيل مجرد تجميل منطقة الأزبكية فحسب، وإنما كان يخطط لتحويلها إلى " صرة " لعاصمته الجديدة التى يحلم بها . كان يريد أن تكمل مشروعه الآخر بتخطيط منطقة الإسماعيلية بين كوبرى قصر النيل وميدان التحرير وشوارع وسط القاهرة كلها .^(١)

وقال الخديوى للمهندس الفرنسى : أريد الأزبكية قطعة من باريس تجمع بين جمال حدائق غابة بولونيا فى باريس وبين منطقة أوبرا باريس والأحياء التجارية حولها . وقد تم ردم بركة الأزبكية عام ١٨٦٤ بعد أكثر من أربعة قرون ، وأنشأت حديقة الأزبكية ١٨٧٢ . وكجزء من تعمير هذه المنطقة تم إنشاء دار الأوبرا عام ١٨٦٩ . - سوف يتم الحديث عنها فيما بعد - وفى عام ١٨٧٣ أقيم تمثال إبراهيم باشا والد الخديوى إسماعيل ، ونفذه المثال " كورديه " ، وتكلف ١٥٤٣٠ جنيهًا ، وتكلفت قاعدته ٢٨٩٠ جنيهًا .^(٢)

(١) عباس الطرابيلى : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٢) عباس الطرابيلى : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

شكل رقم (٣)



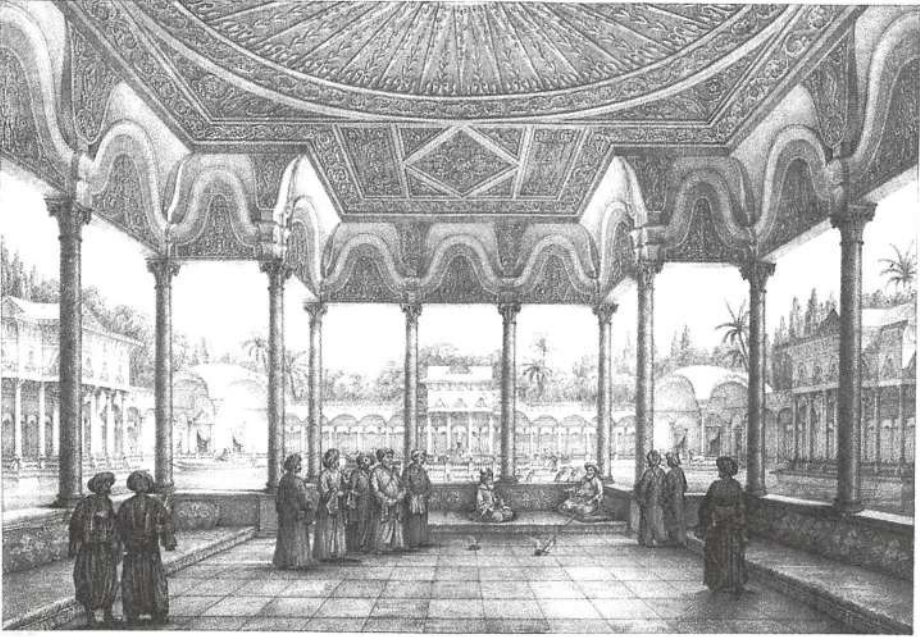
ميدان طلعت حرب

شكل (٤)



ميدان الاسماعيليه (التحرير)

شكل (٥)



عصر إسماعيل

منطقة الأزهر والعتبة

نبدأ الحديث في هذه المنطقة بالإشارة إلى " شارع كلوت بك " الذي افتتح في عام ١٨٧٥ ، ويبدأ من ميدان باب الحديد وينتهي بميدان الخازندار ويعتبر امتداد لشارع محمد علي^(١).

ويبلغ طول هذا الشارع كيلو مترين ونصف، وقد استلزم شقه القيام بهدم سبعمائة منزل وعدد كبير من المباني من بينها بعض المباني التاريخية مثل جامع قوصون الذي لحقت به أضرار يتعذر إصلاحها^(٢).

وقد شيدت واجهات منازلها فوق بواك على نفس الطرز المستخدمة في الريف الفرنسي في ذلك العصر، واشتمل على عدد من الفنادق المتوسطة، وقسمت منطقة الفجالة بدءاً من ترعة الإسماعيلية إلى سور القاهرة عرضاً، ومن جامع أولاد عنان إلى بوابة الحسينية طولاً لتصبح حياً عامراً بالدور والقصور والحوانيت والمتنزهات .

شارع عبد العزيز : افتتح الشارع الممتد من ميدان العتبة الخضراء إلى ميدان عابدين، وسمى باسم السلطان عبد العزيز تخليداً لزيارته لمصر . وقد وصل للقاهرة مستقلاً القطار من الإسكندرية . وكان إسماعيل قد أصدر أمراً إلى محافظة مصر ببيان المحلات والأماكن اللازم شراؤها من طرف الميرى لأجل تنفيذ الشارع المستجد من سراي العتبة لحد عابدين^(٣).

أما شارع الأزهر، عندما بدأ تنفيذ فتح هذا الشارع تم إزالة جامع أزيك وحمامه الذي كان معروفاً بحمام العتبة الخضراء . وشارع الأزهر هو أعرض الشوارع التي تخرج من ميدان العتبة، ويرجع الفضل إلى الخديوى إسماعيل بإكمال شارع الأزهر

(١) عرفة عبده على : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٢) اندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة - ترجمة فؤاد لطيف - ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٦ .

(٣) عرفة عبده على : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

وإنارته بالغاز وتنظيفه ثلاث مرات يومياً، وتحفه أرصفة مظلمة بالأشجار أو مغطاه بالعقود.^(١)

شارع القلعة (محمد علي) : بدأ التفكير في شقه أيام محمد علي باشا عام ١٨٤٦، ولكن تم في عهد الخديوي إسماعيل عام ١٨٧٤ . ليبدأ من جهة العتبة الخضراء ويصل إلى جامع السلطان حسن . وتولى شقه وتجهيزه ديوان الأشغال الذي كان يشرف عليه علي باشا مبارك ، وتم شراء المباني التي كانت تعترض هذا المشروع الحيوي وكذلك المحال التجارية . وقد تكلف شق هذا الشارع وتعويض أصحاب المباني حوله حوالي ٧٨٦٤٥ جنيهاً و٤٤٨ ملياً.^(٢)

وفي عهد إسماعيل باشا تم توسيع شارع الموسيقى وفتح امتداده شارع السكة الجديدة (جوهر القائد) إلى ميدان العتبة، وكان أمر كريم قد صدر إلى ضبطية مصر في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٢٨٠ هـ بشأن شراء الأماكن والدكاكين التي كانت تلزم لتوسيع الطريق . وينسب شارع الموسيقى إلى الأمير " عز الدين موسك " أحد أمراء الدولة في عهد صلاح الدين الأيوبي.^(٣)

جاردن سيتي

أساس هذه المنطقة التي وصفت يوماً بأنها سلة أزهار انبثقت منها القصور الفخمة والدور البديعة، هو " القصر العالي " الذي شيده الفاتح إبراهيم باشا الذي كان يحده النيل غرباً، ويصل جنوباً إلى شارع قصر العيني، وشمالاً إلى ميدان الشيخ يوسف.^(٤) وكذلك القصر الذي شيده لولده الأمير أحمد باشا.^(٥)

(١) عباس الطرابيل : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٢) عباس الطرابيل : نفس المرجع ص ١٦١ نقلاً عن تقويم النيل في عصر إسماعيل لأمين سامي باشا .

(٣) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٤) عباس الطرابيل : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٥) عرفه عبده علي : المرجع السابق ص ٨٠ (هو احمد باشا رفعت الابن الأكبر لإبراهيم باشا وأخو

الخديوي إسماعيل) .

وفي واقع الأمر كان القصر العالى مكوناً من قصرين يجمعهما سور واحد، والقصر الجنوبي خصصه لزوجته الأميرة خوشيارهانم والدة الخديوى إسماعيل، والقصر الشمالى خصصه لزوجته الأميرة شيوه كارفادين .

وفي أواخر عام ١٨٦٣ تنازل الخديوى إسماعيل بن إبراهيم باشا لوالدته عن القصر العالى مع الأراضى الملحقه به. وفي أغسطس ١٨٧١ أصدر إسماعيل باشا أمراً بكتابة حجة " مستند تملك " باسم زوجته الثالثة لبناء سراى جديدة هى سراى الإسماعيلية.

ومن هذا يتضح أن جاردن سيتى كانت عبارة عن ٣ قصور كبيرة جميعها تطل على النيل غرباً وهى : القصر العالى، قصر أحمد باشا، سراى الإسماعيلية والتي هى الآن مجمع التحرير.^(١)

الشاطئ الغربى للنيل

كان النيل بعد أن يمر تحت مبانى السكن بالجيزة يسير إلى الشمال مائلاً للغرب قليلاً فيمر شرقى مبني كلية الزراعة، ثم يسير مخترقاً أرض حديقة الحيوان، ثم يمر شرقى مبني كلية الهندسة إلى أن يصل إلى شارع الدقى فيسير محاذياً له من الجهة الشرقية، ثم يسير ماراً شرقى مبني وزارة الزراعة فمتحف وزارة الزراعة فعزبة الحوثية، ثم يسير مائلاً إلى الشرق حتى يتلاقى بمجره الحالى جنوب سكة مدينة إمبابة . ولما تولى الخديوى إسماعيل حكم مصر في أوائل ١٨٦٣ أمر بتحويل مجرى النيل الأصلى من الغرب حيث كان يمر تحت سكنه ناحية الدقى إلى الشرق (حيث يوجد الآن شارع الجزيرة وشارع النيل) . وفي سنة ١٨٦٣ بدأ ديوان الهندسة بإجراء عملية التحويل بإقامة جسر في النيل بين مدينتى الجيزة وإمبابة. وفي سنة ١٨٦٥ تمت هذه العملية وأخذ النيل يسير في مجراه تحت الشارعين السابقين ذكرهما.^(٢)

(١) عباس الطرابيل : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٢) شحاتة عيسى : القاهرة ، ص ٣١٠ .

وننتج عن تحويل مجرى النيل تخلف أرض واسعة امتدت من الجزيرة إلى إمبابة محاذية للنهر . فقام بعمل غابة من الأشجار، وقام بتخطيطها المهندس "باريل بك"، وكانت تشمل حدائق الأورمان وحدائق الحيوان وتمتد حتى موقع (كلية الفنون التطبيقية ومدرسة الأورمان حيث موقع سراي الجزيرة)^(١).

تزويد القاهرة بغاز الإنارة والمياه

من أهم المرافق التي واكبت تلك المشروعات العملاقة ، محولات لتزويد القاهرة بمياه الشرب والغاز، ومجاري للصرف الصحي^(٢).

وفي ١٥ فبراير عام ١٨٦٠ 'منحت الحكومة المصرية للشركة التي يملكها "شارل لمبيون" والتي كانت تقوم بتزويد مدينة الإسكندرية بالغاز امتيازاً لتزويد القاهرة ومصر القديمة وبولاق بالغاز وكانت مدة الامتياز ٧٥ سنة^(٣). ومنحت الشركة قطعة أرض في بولاق لتقيم عليها محطاتها .

وفي أبريل ١٨٦٧ كان ميدان باب الحديد مضاءاً بالغاز احتفالاً بدخوله كخدمة عامة، ومن بين الأماكن الأولى التي استفادت من الخدمة الجديدة منطقة الأزبكية وحي الإسماعيلية الجديد والشوارع الرئيسية وقصور الخديوي^(٤).

وفي مايو ١٨٦٥ كانت الحكومة قد منحت امتيازاً للشركة التي يملكها "مسيو كورديه" لتزويد القاهرة وتوابعها بالمياه - هو الذي اشرف على تزويد أربعين مدينة فرنسية بالمياه - وتأسست شركة مساهمة لتمويل المشروع، غير أن المشروع قد صادفته عقبات مالية وهندسية انتهت بإعفاء كورديه من مهمته ، مما أدى إلى تأخر الانتهاء من تنفيذ المشروع إلى عام ١٨٧٢ . وفي ذلك العام مدت شركة المياه شبكة مزدوجة من

(١) محمود محمد فتحي الألفي : العمارة الإسلامية في مصر خلال القرن ١٩ . اسرة محمد علي بالقاهرة -

١٨٠٥ - ١٨٩٩ - رسالة دكتوراه - كلية الهندسة - قسم عمارة - جامعة القاهرة ١٩٨٦ - ص ١٨٥ .

(٢) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٣) جورج جندي و جاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية . ص ١٨٩ .

(٤) اندريه ريمون : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

القنوات إلى حى الإسماعيلية لتوصيل المياه اللازمة للإستهلاك المنزلى ، ورى الحدائق المنتشرة فى هذا الحى ، وقد شيدت الشركة محطة لضخ المياه عند فم الخليج^(١).

حدائق القاهرة فى عصر إسماعيل

حديقة الأزبكية

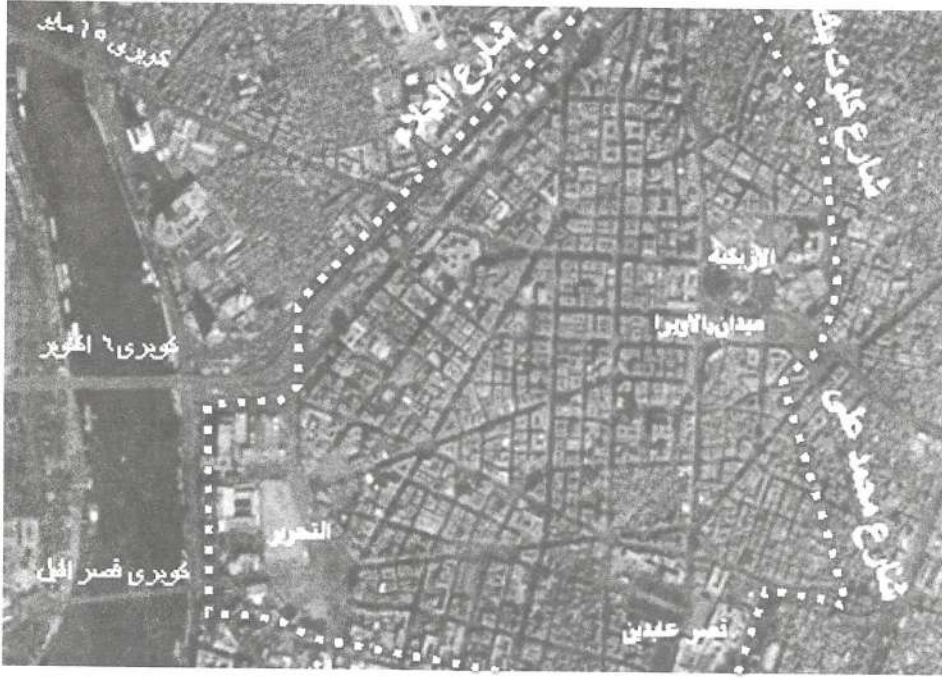
شيدت هذه الحديقة على بركة الأزبكية التى ردمت عام ١٨٦٤ ، وكانت مساحتها ٦٠ فداناً . ويشير " الجبرتى " إلى شهرة الأزبكية كمركز للنزه واللذات والمتع الليلية فى زمن الفيضان ، كما أنها كانت منطقة جذب للطبقة البرجوازية من الأمراء والبكوات وكبار التجار والأعيان . وقد أبدع المؤرخون والرحالة العرب والأوروبيون والشعراء فى وصف بركة الأزبكية خاصة فى احتفالات " كسر الخليج " .

وقد كلف الخديوى إسماعيل المهندس الفرنسى " باريل ديشان " (الذى كان مسئولاً عن بساتين باريس) بتصميم وتنفيذ حديقة الأزبكية ، فشيدها على نمط حديقة " مونسو " و " ريفولى " بباريس على مساحة ٢٠ فدان ، وزودت بـ ٢٥٠٠ مصباح غاز ، وأقيم بها مسرح للعروض الكوميديّة ، وبحيرة رائعة ، وجبلية صناعية ، وممرات مظلمة ، وجسور على بحيرات صغيرة ، وقنوات ومراكب للنزهة تسير بالبدال ، كما كانت مزودة بالحوانيت ، ومنصة لبيع الدخان ، ومعمل تصوير ومطاعم ومقاهى أوروبية وشرقية . وغرس بها مجموعات من أندر أنواع الأشجار التى استوردها باريل بك من أوروبا والهند وأفريقيا والبرازيل وأستراليا .

وعلى شرف الإمبراطورة " أوجيني " غرست شجرة أطلق عليها " أوجينا " ، وشجرة شعناء أطلق عليها " واشنطنونيا " تكريماً لاسم جورج واشنطن ، وكان يحيط بحديقة الأزبكية سور حديدى ضخّم تتخلله أربعة أبواب .

(١) عرفه عبده على : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

شكل رقم (٦)



القاهرة الخديوية

حدائق الأورمان

فيما بين عامي ١٨٦٣ و ١٨٦٥، قامت شركة فرنسية بردم الجزء المتخلف من تحويل مجرى النيل شرقاً، وأنشأ إسماعيل في هذا الجزء بساتين الأورمان (الغابة)، فكانت الأورمان من أعظم المشروعات التي قام بتنفيذها بارييل بك على مساحة ٤٦٠ فداناً، وغرس بها مجموعة من الأشجار النادرة المستوردة من أوروبا والهند والصين والمناطق الاستوائية بعد أن تم تغطية الأراضي بطمي النيل بارتفاع مترين . وكان الخديوي قد أمر بمد خط سكة حديد خاصة لضمان سرعة إنجاز هذا المشروع، فكانت من أجمل المنتزهات بأشجارها وأحراشها وأزهارها وبحيراتها وتلالها ونافوراتها وجبلايتها وأنوارها الغازية .

حديقة الأسماك

عندما كلف إسماعيل باشا مهندس البلاط الخديوي " فرانس باشا " عام ١٨٦٣ بتشييد قصر بجزيرة الزمالك (انتهى منه عام ١٨٦٨) ، وبالقرب من سراي الجزيرة (الماريوت حالياً) شيد إسماعيل باشا حديقة الأسماك التي تطل واجهتها على نيل الزمالك بشارع الجبلية ، وكان اسمها في ذلك العصر " حديقة الجبلية " . وخلال هذه الجبلية الرائعة شقت مغارات وعمرات يسير فيها الزوار ، ووضعت بها صناديق زجاجية مازالت تحوي مجموعات متنوعة من الأسماك النيلية والبحرية وأسماك الزينة تنعكس عليها أشعة الشمس من خلال فتحات علوية تضيء عليها جمالاً ، والحديقة من تصميم المهندسين الإيطاليين " كومباز ودويليو " اللذين اشتهرا بتصميم هذا النوع من الحدائق .

الحديقة اليابانية بحلوان

بدأ الاهتمام بحلوان في العصر الحديث بزيارة إسماعيل باشا لمنطقة العيون الكبرى عام ١٨٧١ ، حيث أمر بإنشاء حوض سعته ٥ آلاف متر مكعب ، وفندق للمسافرين ، ودار للاستشفاء ، وتمهيد طريق من النيل إلى حلوان طوله ٤ كم . ثم افتتح خط سكة حديد حلوان في ٢١ يناير ١٨٧٧ وشيد قصر الوالدة باشا .

ومن أشهر معالم حلوان : الحديقة اليابانية التي اشتهرت بالأربعين تمثالاً لبوذا حول بحيرة كبيرة ، ومظلات على شكل الأكواخ اليابانية تنتظم على الممرات وأشجار عتيقة وارقة .

جدول (١) المتزهات والحدائق الشهيرة بالقاهرة في سنة ١٨٧٨

الجهات	المنشأة	تاريخ الإنشاء	المساحة بالمتر المربع	عدد النباتات المزروعة	عدد الأنواع والأصناف	الدخول
(الجزيرة) غرب القاهرة	المشيل وروضة الزهور	١٨٧١	٥٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	مباحة للمتزهين
	حديقة الخضر الخديوية	١٨٧١	٥٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٢٦٠	مباحة للمتزهين
	حديقة الفاكهة (الخديوية) بالجزيرة	١٨٧٥	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣٨٠	مباحة للمتزهين
	حديقة الأسماك بالجزيرة	١٨٧١	٢٢٠٠٠	٥٠٠٠٠	١٥٠	مباحة للمتزهين
	حديقة القصر الخديوي بالجزيرة	١٨٦٨	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠	مباحة للمتزهين
	حديقة الحرم (الخديوية)	١٨٦٨	١٢٥٠٠٠	٥٠٠٠٠	١٠٠٠	خصوصية
(الجزيرة) الشرق القاهرة	حديقة السلامك	١٨٧٢	٢٣٠٠٠٠	٨٥٠٠٠	٩٠٠	خصوصية
	حديقة الفاكهة (الخديوية) بالجزيرة	١٨٧٣	٤٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠	٣٠٠	مباحة للمتزهين يافئ
	حديقة صاحب السمو حسين كامل باشا	١٨٧٢	١٢٢٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١٨٠٠	خصوصية
	حديقة صاحب السمو عمر طوسون باشا وجليل	١٨٧٢	٢٢٨٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١١٠٠	خصوصية
بولاق	حديقة الوالي بشبرا	١٨٠٦	٢٧٥٠٠٠	٧٥٠٠٠	١٨٠٠	مباحة للمتزهين يافئ
	حديقة الأزبكية العمومية	١٨٧٢	٨٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٨٠٠	عمومية
القاهرة	ميادين القاهرة	١٨٧٨-٧٠	٦٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠	عمومية
	حديقة القبة الخديوية	١٨٢٥	٤٠٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠	٨٥	مباحة للمتزهين يافئ
الشرق القاهرة	حديقة الخطرية الأثرية	-	٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٢٠٠	عمومية
	حديقة إبراهيم باشا بجزيرة الروضة	١٨٣٠	٦٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠	عمومية
غرب القاهرة	شارع من جسر الجزيرة إلى محطة بولاق الدكرور	١٨٧٢	٢٢٥٠٠	٢٢٥٠	١	عمومية
	شارع من قصر بولاق الدكرور إلى السور الخديوي بالجزيرة	١٨٧٣	١٦٠٠٠	١٦٠٠	١	عمومية
	شارع من الجزيرة إلى الأهرام	١٨٦٨	٨٠٠٠٠	٨٠٠	١	عمومية
شرق القاهرة	شارع من العباسية إلى القبة	١٨٦٨	٨٠٠٠٠	٨٠٠٠	٢	عمومية
	شارع قصر العباسية	١٨٦٨	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠	٢	عمومية
	شارع من القبة إلى حديقة الخطرية	١٨٦٩	٢٠٠٠٠	٢٠٠	٧	عمومية
شمال القاهرة	شارع من شبرا إلى القاهرة	١٨٠٦	٦٠٠٠٠	٣٠٠٠	٢	عمومية
	شوارع مختلفة بشبرا	١٨٢٠	٨٠٠٠٠	٦٠٠٠	٤	عمومية
	شارع من القصر العالي إلى جزيرة الروضة	١٨٧٢	٤٠٠٠٠	٣٠٠٠	١	عمومية
	شوارع القاهرة المفروسة فيها إجار البليغ والجميز	١٨٧٠-٧٦	٤٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣	عمومية على جوانبها أنفاق وبضاعة بفاز الانصباع

المصدر: إبراهيم صبحي السيد غنر ثابت: أعمال المنافع العامة بالقاهرة منذ بداية القرن ١٩ وحتى منتصف القرن ٢٠ - رسالة دكتوراه - كلية الآثار - جامعة القاهرة.

القصور

أنشأ الخديوى إسماعيل عدداً كبيراً من القصور، منها سراى عابدين التى جعلها مقراً للحكم وحلت محل سراى القلعة التى بناها محمد على باشا . وسراى الجزيرة، وسراى بولاق الدكرور، وقصر القبة، وقصر حلوان، وسراى الإسماعيلية، وسراى الزعفران بالعباسية، وسراى الرمل بالإسكندرية ، وجدد القصر العالى، وقصر التزهة بشبرا، وسراى المسافر خانة، وقصر النيل، وسراى رأس التين بالإسكندرية .^(١)

وأنشأ سرايات أخرى بالإسكندرية والمنصورة والمنيا والروضة .^(٢)

ويذكر على مبارك فى خططه : انه تم صرف مبالغ كبيرة على هذه السرايات سواء أجز صناع ومفروشات ونقوش . فعلى سبيل المثال ما صرف على سراى الجزيرة ألف ألف وثلاثمائة وثلاثة وتسعون ألفاً وثلاثمائة وأربعة وسبعون جنيهاً ، سراى عابدين ستائة وخمسة وستون ألفاً وخمسمائة وسبعون جنيهاً ، سراى الجزيرة ثمانمائة وثمانية وتسعون ألفاً وستائة وإحدى وتسعون جنيهاً ، وباقى العمارات ألفا ألف وثلاثمائة وإحدى وثلاثون وستائة وتسعة وسبعون جنيهاً ، منها على سراى الرمل أربعمائة واثنان وسبعون ألفاً وثلاثمائة وتسعة وتسعون جنيهاً .^(٣)

وفى الصفحات التالية سوف أتناول الحديث عن بعض هذه القصور .

قصر عابدين

لا شك أن قصر عابدين يعد النواة الأولى لظهور القاهرة الحديثة . ففى الوقت الذى كان يجرى فيه بناء القصر، أمر الخديوى إسماعيل بتخطيط القاهرة على النحو

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية . ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٣) على مبارك : نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

الأوروبي ، حيث القصور والمباني الفخمة والميادين الفسيحة والشوارع الواسعة والجسور والطرق . فأصبحت القاهرة تحفة حضارية . إن قصر عابدين بخاصة اكتسب أهمية كبيرة في قلوب المصريين، لاسيما وأنه المرة الأولى التي يترك فيها الحاكم برجه بالقلعة لقلب العاصمة ويحتك بالجمهور، الأمر الذي يعد نقطة تحول خطيرة ونقله كبيرة في حياة المصريين ^(١).

ينسب قصر عابدين إلى الخديوي إسماعيل الذي بدأ في بناء القصر ١٨٦٣ وتم سكناه رسمياً في ١٨٧٤ ^(٢).

ويرجع الاسم إلى "عابدين بك" أحد أمراء الأتراك ، وكان يشغل وظيفة أمير اللواء السلطاني . وقد اشتراه منه الخديوي إسماعيل ، وانتزع ملكية مئات من المباني والدروب التي حوله في دائرة مساحتها ٢٤ فداناً . واستغرق بناء القصر عشر سنوات ، وقام بهذا العمل المهندس "دي كوريل روسو" وعدد ضخم من النقاشين المصريين والإيطاليين والفرنسيين والأتراك ^(٣).

وتكلف بناء القصر ستمائة وخمسة وستون ألفاً وخمسمائة وسبعون جنيهاً (٦٦٥.٥٧٠ جنيهاً) ^(٤). أما الأثاث فقد تكلف حوالي ٢ مليون جنيه مصري ^(٥).

عندما نزل الخديوي إسماعيل بقصر عابدين أقام على أحد جوانبه ثكنات الحرس الخديوي ، وأمر بفتح طريقين يوصلان إليه سمى أحدهما شارع عابدين وسمى الآخر شارع عبد العزيز (نسبة للسلطان عبد العزيز سلطان الدولة العثمانية)، وأنشأ ميداناً

(١) جريدة الجمهورية - العدد (١٧٧٥٥) بتاريخ ٨ أغسطس ٢٠٠٢ - تحقيق بعنوان "عابدين من الملكية إلى الجمهورية" ص ٤.

(٢) رأفت غنيمي الشيش : حضارة مصر الحديثة ، ص ٢٠٥ .

(٣) محمود محمد الجوهري : قصور الرجعية ، ص ٢٦ .

(٤) علي مبارك : الخطط التوفيقية - ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٥) محمود محمد الجوهري : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

على مساحة تسعة أفدنة أسماه ميدان عابدين ، وردم ما كان في الميدان من برك مثل "بركة الناصرية " " وبركة السقاين " وبركة الفوالة . كما أمر بإزالة جبانة كانت تعرف حينذاك بجبانة الشيخ عبد الله، ولم يبق من معالمها غير مسجد الشيخ عبد الله وضريح الشيخ ربحان ومدفن عماد الدين صاحب الشارع الشهير المجاور لضريحه .^(١)

أهم الأحداث التي شهدتها القصر :

واقعة عابدين ٩ سبتمبر ١٨٨١^(٢)

خاطب عرابي جميع آليات المشاة والفرسان والمدفعية لموافاته بميدان عابدين يوم الجمعة ٩ سبتمبر ١٨٨١ لعرض طلباتهم على الخديوى . وأرسل عرابي أيضاً إلى قناصل الدول يطمنئتهم على رعاياهم من هذه المظاهرة لأنها مقصورة على أحوال البلاد الداخلية .

وعرض عرابي طلباته على الخديوى وكانت تتمثل في :

- ١- عزل رياض باشا .
- ٢- تشكيل مجلس النواب .
- ٣- زيادة عدد الجيش إلى العدد المعين في الفرمانات السلطانية .

حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢

عندما طوقت المدرعات البريطانية قصر عابدين في محاولة شرسة لفرض إرادتها على الملك فاروق، الذي استجاب لمطلب المندوب السامى البريطانى وأسند رئاسة الحكومة إلى مصطفى النحاس زعيم الوفد .

(١) رأفت غنيمى الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصر المجاهدة في العصر الحديث - الحلقة الرابعة ، الثورة العربية والاحتلال وإخلاء السودان .

وصف القصر

في هذا القصر خمسمائة غرفة وقاعة غير الممرات، وفي كل غرفة مائة تحفة على الأقل، وكل تحفة تجذب البصر كأنها مغناطيس، الأرض مرمر ملون منقوش والأبواب والنوافذ من زجاج رسمت عليه لوحات ملونة لأشجار وبحار وأطياف، ولكل صورة قصة عاطفية زاخرة بالمعاني، وبالسقف نقوش هندسية دقيقة بارزة ومذهبة منها زخرفة عربية إسلامية ومنها إيطالية^(١).

ويروي محمود الجوهري قائلاً: " عندما كنت أزور القصر لأول مرة وجدت نفسى ومن كان معى نقف أمام لوحة عصماء لسيدة عجوز كانت موضوعة فى جناح الضيوف واقفة أمام طعام تصلى قبل أن تأكل تشكر الله على هذا الطعام "^(٢).

أولاً : السلامك

يبدأ السلامك بسلم التشريفات المؤدى إلى داخل القصر، فإذا صعدنا الدرج المغطى بالسجاد الأحمر المفروش كمشايات على الألبستر الفاخر تواجهنا مجموعة ضخمة من المرايا البللورية الرائعة حتى نصعد الدور الأول، إلى اليسار سنجد صالونين يؤدى ثانيهما على " صالون قناة السويس " وبه إطارات ضخمة مذهب بها صور تمثل حفل الافتتاح ومراكب تمر فى القناة . وهذا الصالون يؤدى إلى الشرفة التى تطل على ميدان عابدين (ميدان الجمهورية الآن)، وهى الشرفة التى كان الملك السابق يقف فيها يطل على الشعب فى المناسبات والاحتفالات^(٣).

ثم إذا مررنا فى الطرقة رجوعاً سنجد يميناً " حجرة البلياردو " التاريخية التى كانت مهداه من أوجينى لإسماعيل . ثم نمشى قليلاً لندخل " غرفة المائدة الصغيرة "

(١) رأفت غنيمى الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

(٢) محمود محمد الجوهري : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣) محمود محمد الجوهري : نفس المرجع ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

التي كان يدعو فيها الملك السابق الوزراء لتناول الغذاء وهى تطل على " الحديقة الشتوية "، ولها بابان أحدهما كان مخصصاً للملك والآخر للمدعوين . ثم نجد أمامها مكتب الملك فى غرفة بديعة التنسيق، ثم بعد ذلك نتجه إلى "الحديقة الشتوية" وبها تماثيلان من الرخام النادر أحدهما " لاوجينى " والآخر " لمارى أنطوانيت " علاوة على فائز راتعة ضخمة من الصينى عليها نقوش بديعة، أما الزجاج المحيط بهذه الحديقة الرائعة فهو مصنوع بإيطاليا نقوشه منحوتة فى داخله، يبلغ ثمن المتر منه ١٥٠ جنيهاً . ثم نمر فى عمر المناقيد التى تحوى عشرات المناقيد من عهد إسماعيل وكانت تستعمل للتدفئة ثم ينتهى بنا هذا الممر إلى بهو التماثيل وسقفه وجدرانها من زجاج ملون منقوش، وقاعة طويلة صنعت على جانبيها تماثيل أفراد أسرة محمد على، ومن هذا الممر يمكن الاتجاه إلى المقصف وهو متصل بقاعة الطعام وكانت تقام بها معا الحفلات الكبرى . وإذا تركنا هذه القاعات، ندخل إلى قاعات أخرى كانت مخصصة للتدخين، بجوارها نجد " صالون محمد على " وهو من أكبر صالونات القصر كان يجتمع فيه المدعوون فى أثناء الحفلات التى تقام فى قاعة الطعام أو فى المسرح، وأمامها نجد المسرح الرائع الذى يعتبر أفخم من دار الأوبرا وعلى بابه نجد مجموعة من الآلات الموسيقية، بعد ذلك نجد " الصالون الأبيض " وهو صالون صغير يحتوى على مجموعة رائعة من التماثيل وكانت تقام فى هذا الصالون حفلات الشاى الصغيرة المحدودة العدد، ومنها يمكن الخروج من باب يوصل إلى " قاعة العرش " وهى عبارة عن ميدان فسيح من الباركيه وفى صدره مقعد ضخم كالحقبة المشيدة، عن يمينه ويساره مقاعد أصغر حجماً من هذا المقعد الضخم، كان الملك يجلس ويضع قدميه على رأس نمر محنط ينساب منه جلد النمر . وهى قاعة عربية الطراز سقفها وجدرانها من خشب منقوش مذهب، والسقف مرتفع جداً تحمله أقواس على أعمده من رخام ملتصقة بالجدران كل عمودين معاً وفيها آيات من القرآن مكتوبة ببهاء الذهب .^(١)

(١) محمود الجوهري : المرجع السابق، ص ٢٩، ٣٠ .

إلى هنا ينتهي الجزء الذي كانوا يسمونه السلامك أى الجزء الذى يمكن أن يدخله الرجال، وهناك باب يفصل بين هذا الجزء والجزء الآخر الذى كان يسمى "الحرمك" أى الجزء الذى لا يسمح بدخوله إلا لفئة قليلة كالأمراء الخصوصيين "الشاشرجية" و"الأغوات" و"الوصيفات" ^(١).

شكل (٧)

مرقة البلياردو	١٨٠٢٤	تغييرات قيمة محتويات غرف السلامك
صالة الأكل الصغرى	٧٠٩٢	
الصالون الأبيض	١٦٥٠٥	
صالون محمد على	١٩٤٥٥	
صالون قناة السويس	١٦١٥٠	
مكتب الملك	١١١٢١	
قاعة المرش	٧٩٩٠	
المقصف وصالة الأكل الكبرى والحديقة الشتوية	١١	
المسرح	٢٢٦٢٠	

المصدر: محمود الجوهري: قصور الرجعية، ص ٣١

(١) رأفت غنيمى الشيخ: حضارة مصر الحديثة، ص ٢٠٩.

ثانياً : الحرم الملك

الحرم الملك هي المنطقة الحرام بالنسبة إلى غير أهل البيت، هذا الممر الطويل يقودنا إلى " جناح الملك " المفروش بأفخر أنواع السجاد ، وفي كل خطوة تجد تحفة رائعة وتمثالاً بديعاً وقطع السجاد والأثاث التي ترجع إلى عهد لويس الخامس عشر، والتماثيل والزهریات والصور واللوحات والتحف من عهد إسماعيل وتوفيق وعباس حلمي الثاني وحسين كامل وفؤاد، وبعض التحف ترجع إلى عهد محمد علي ونقلت إلى عابدين من قصور أخرى .^(١)

والظاهرة التي تلفت النظر إلى التماثيل التي بالطرقات والموجودة داخل أجنحة الحرم الملك أن أغلبها لنابليون بونابرت بعضها اشتراه فاروق وبعضها ورثه عن أجداده . ولقد كان نابليون نموذج الرجل القوي بالنسبة لحكام الأسرة العلوية ، أما فاروق فقد افتتن بهتلر حتى لقد حرص على وضع صورته في أدراج مكتبه الخاص.^(٢)

ويعتبر قصر عابدين أغنى القصور العالمية بعدد الساعات المتناثرة في طرقاته وأجنحته، وأغلبها محلى بالذهب الخالص، ونقوش ولوحات جميلة، وقبل أن نصل في نهاية هذا الممر إلى جناح الملك الخاص نجد " بيانو " مطعم بالأويمة وكرسيه معمول من قطعة واحدة من الخشب لم يستعمل فيها لا مسمار ولا غراء وهو خاص بالسيدة نازلي كانت تستعمله أيام صباها عندما كانت ملكة مصر . ثم نجد درجاً من الرخام الأبيض، وقد قام عليه " درابزين " من الزجاج الكريستال الفاخر الذي يضاء من الداخل ويطلق عليه " سلم البللور " وتعلو هذا السلم بعض اللوحات

(١) رأفت غنيمي الشيش : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(*) أرسل جنرال ألماني شكوى إلى المختصين يقول فيها أنه سبق له أن عرض صورة فنتلر مهداه إليه منه على الملك السابق فأخذها منه دون رغبته وقد وجدت هذه الصورة في قصر القبة .

التي تكمل بعضها لتكون أسطورة يونانية مسلسل الأحداث قام برسمها أشهر الرسامين في إيطاليا^(١).

نتقل بعد ذلك إلى "جناح الملك فاروق"، والمدخل المؤدى إليه والمشحون بالدواليب المصنوعة بأفخر أنواع الأخشاب بعضها صنع خصيصاً لكل نوع من أنواع الملابس، فبعضها للأحذية والبعض للكرافات والآخى للملابس الداخلية . وفى أول هذا الجناح حجرة مجهزة تجهيزاً خاصاً ليسكنها الشماىرجى الخاص وهو "محمد حسن"، وإلى جوارها جهاز تليفون له شبكة خاصة داخلية تصل الملك برجال الحاشية فقط، وهو ذو لون أخضر وإلى جوار هذا الجهاز "كبة عربية" . وجناح الملك هذا يتكون من عدة حجرات إحداها للمكتب الخاص والأخرى صالون للاستقبال وهى غاية فى الروعة والجمال، أما "حجرة النوم" فهى حجرة رائعة زينت بصور جميلة أغلبها لأسرة الملك السابق وزوجته . وأما الحمام فليس له مثيل فى باقى القصور، وفى كل ناحية من البانيو عيون ماء . إذا فتحت جميعاً قامت بغسل المستحم دون أن يتحرك، وتحت رخام الأرض مدفأة صناعية تدفع الرخام، وعلى الجدران رسوم بنات عاريات مستحبات وفيه غرفة للتجفيف بالكهرباء . وكان الحمام أيضاً يحتوى على مطبخ ليأكل بعد أن يستحم مباشرة علاوة على ميزان ليزن نفسه ، وثلاجة كهربية ليشرب منها ودواليب لحفظ درجة حرارة الملابس ، علاوة على أن الجدران كلها من الألبستر الفاخر والإضاءة مخفية، وصيدلية بها كافة الإسعافات السريعة^(٢).

ويصل هذا الجناح "بجناح الملكة" ممر داخلى، كل ما فى هذا الجناح ينم عن ذوق وبساطة الملكة فريدة، ولم تدخل الملكة ناريمان عليه أى تعديل لا فى الأثاث ولا فى الغرف . ويوجد بهذا الجناح غرفة الولادة وغرفة للاستقبال وغرفة أخرى

(١) محمود محمد الجوهري : قصور الرجعية ، ص ٣١ ، ص ٣٢ .

(٢) محمود محمد الجوهري : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

للمكتب علاوة على غرفة النوم الجميلة وعدة صالات توجد بها جميع ملابس الملكة^(١).

وبجوار هذا الجناح كانت الغرف المخصصة " للكلفوات "، وهي غرف لم تحرم من الترف والفخامة . وفي مواجهة هذا الجناح يوجد " الجناح البلجيكي " وهو بحق أفخم أجنحة هذا القصر، وسمي كذلك لأن أول ضيف نزل فيه هو ملك بلجيكا حين جاء إلى مصر في عهد الملك فؤاد الأول . وقد خصصه الملك فؤاد لولي عهده، فأطلق عليه " جناح ولي العهد " . وهو يتكون من حجرة للاستقبال وحجرة للنوم وحجرة للمكتب وبها مكتب فخم يقدر ثمنه بخمسة آلاف جنيه، وهو محلي بالتماثيل في الأجناب والأرجل والخواف ومشغول باللاويمة به كثير من الأدراج السرية التي لا يمكن اكتشافها لكل غريب عنها . ومن هذا المكتب نخرج إلى " القاعة البيزنطية " وهي قاعة مستطيلة الجدار صدرها من الموزايكو الصغير الدقيق، وقد تألفت من هذه القطع الدقيقة الملونة رسوم راقصات بالحجم الطبيعي يرقصن حول شجرة منقوشة بأبداع النقوش تتدلى منها الأغصان والأزهار، وتتوسط هذه القاعة فسقية رائعة من الألبستر تنساب المياه من نافورة في وسطها ، وحولها آلات موسيقية كان يستعملها العازفون عندما تمر السابحات الفاتنات حول هذه الفسقية^(٢).

ونترك هذه القاعة لندخل جناح "السيدة نازلي" (يسمي جناح الملكة الوالدة)، هو يتكون من سرير ليس فيه من الخشب إلا إطار رفيع مذهب منقوش والباقي قماش في باطنه وظاهره . أما القماش الذي هو جزء من السرير فمن حرير ذي شرائط

(١) محمود محمد الجوهري : نفس المرجع ، ص ٣٤ .

(*) وضع فستان زفاف الملكة ناريان في دولا ب منفصل وهو يحتاج إلى ثمانية أشخاص لحمله نظرا لكثرة الزخارف والحلى الموضوعة فيه .

(٢) محمود الجوهري : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

لامعة ومستطيلة، وخلف السرير إطار بارز هائل من خشب محفور مذهب، وتحت الإطار إطارات، وفوق السرير ستائر فضفاضة من حرير ثقيل. ومن الستائر إلى السرير تنصب الناموسية كأنها شعاع من نور. وجدران الغرفة كلها من حرير تسبح فيه الأزهار. وعن يسار غرفة النوم توجد غرفة الزينة وغرفة الراحة والتدليك بعد الاستحمام ثم الحمام وغرفة الاستقبال، وفيها مجموعة من الصور العارية.^(١)

ونصل بعد ذلك إلى "صالون إسماعيل" وهو صالون كل أثائه من الأوروبيون من عهد إسماعيل. وهو المكان الذي كانت تعقد فيه الزيجات والطلاقات الملكية. ثم إلى جواره عدة صالونات مخصصة للأميرات. ثم نخرج بعد ذلك إلى حجرة المائدة وهي آية من آيات الحسن والبهاء.^(٢)

بهذا نكون قد قمنا وصفاً للحرم ملك، ولم يبق في القصر سوى جناح الضيوف الأجانب الذين كانوا يقدون إلى مصر في زيارات رسمية برفقة رؤساء دولهم. وقد أقام به كثير من الإيطاليين والبلجيكيين الذين رافقوا ملكي بلجيكا وإيطاليا عند زيارتهما لمصر، ومرافقوا الملك إدريس الأول السنوسي عندما نزل بالقصر.

وهذا الجناح يوصله إلى "جناح الخياط الإنجليزي الخاص"، وهو الذي كان يتولى إلباس هذه العائلة البدل والأرواب والملابس العسكرية والمدنية. وكانت الأقمشة تنسج خصيصاً في مصانع إنجلترا أو غيرها. وكان الترزي ينام بهذا الجناح وعملت له الاستعدادات لكي يقيم إقامة سعيدة وكان يتقاضى مرتباً ضخماً يقال في الأوراق الرسمية أنه مائة جنيه.^(٣)

وبجوار هذا الجناح نجد "عيادة الأسنان" وهي غاية في الدقة والجودة. كما نجد جناحاً طيباً كبيراً به كثير من الآلات الطبية ما يكفي لفتح مستشفى يعالج قوماً

(١) محمود محمد الجوهري: نفس المرجع، ص ٣٦.

(٢) محمود محمد الجوهري: نفس المرجع، ص ٣٤.

(٣) محمود محمد الجوهري: نفس المرجع، ص ٣٧.

كثيرين . فمن أجهزة للأشعة المختلفة إلى غرفة كاملة للعمليات وأخري للولادة علاوة علي جهاز طبي للتعقيم .^(١)

وإلي جوار هذا الجناح يوجد جناح الأميرات السابقات الصغيرات وهو أقل أركان القصر حظاً من هذا البنخ ولو أنه غاية في الذوق والرقه . وكانت فريال تنام بمفردها، أما فوزية وفادية فكان لهما حجرة واحدة . هذا إلي جانب مدرسة صغيرة وضعت بها بعض التخت المدرسية والسبورات للتدريس عليها .^(٢)

ثالثاً : الدور الأرضي :

سنبداً الكلام عن الدور الأرضي " بالحديقة " التي تحيط بالقصر والتي ترجع لإنشائها في عهد الخديوى توفيق . وكانت في بادئ الأمر مليئة بأشجار الفاكهة والموايح . وتقع الحديقة خلف القصر علي طول شارع جامع عابدين ، وقد قدرت مساحتها بعشرين فداناً، وهي تحتوي علي ٥٠ حوضاً للورد و ٢٠ طريقاً متشابكاً وكان بها سبعة أجناس من الصبار انقرض بعضه ونقل بعضه إلي أنشاص . وللحديقة ثلاثة أبواب ويشرف علي الحديقة ٧٢ بستانياً، وكان الملك فاروق يستحضر لها أدوات من الخارج .^(٣) وقد استحضر ماكيتين لتسوية الحشائش كل منها مزود بموتور ثمن الواحدة ١٢٠ جنيهاً .

أما بالنسبة لمداخل الحديقة فالأول يسمى " باب ٢٢ " والباب الآخر هو "باب باريس" وقد أطلق عليه هذا الاسم لأن إسماعيل باشا كان يأمل في الانتهاء من تشييد القصر وتأسيسه مع البدء في احتفالات افتتاح قناة السويس، ولكي يستقبل فيه ضيوفه من ملوك وأمراء وأوروبا، وفي مقدمتهم الإمبراطورة " أوجيني " التي

(١) محمود محمد الجوهري : نفس المرجع ، ص ٣٧ .

(٢) محمود محمد الجوهري : نفس المرجع ، ص ٣٧ .

(٣) رأفت غنيمى الشيخ : حضارة مصر الحديثة ٢١٤ (نقلاً عن محمود الجوهري : قصور وتحف من

محمد علي إلى فاروق ص ٣٤ ، ص ٣٥) .

كانت السبب في أن يطلق اسم "باريس" على الباب تكريماً لها .^(١) والباب الثالث يسمى باب "رجب أغا" .

- ومدخل باريس يؤدي إلي ما يعرف "بمتحف الأوسمة" والذي أغلقه الملك لأنه كان مواجهاً لجناح الملكة، وبالتالي كان يمكن للخدم أن ينظروا عليها عندما كانت تفتح النوافذ .

ثم نجد بعد ذلك "مسجد الفتح" وهو جامع أثري جدد بناءه ووسعه الملك فؤاد . وعلى بعد أمتار من الجامع يقع حمام السباحة ، والذي أنشأه الملك فاروق وتكلف عدة آلاف من الجنيهات . وكان إنشاؤه على نفقة الدولة ، وقد زود بأجهزة تصبغ الماء باللون الأحمر والأخضر والأصفر ، كما زود بجهاز ينشر على صفحته أمواجاً صناعية هينة .^(٢)

أهم ما في الدور الأرضي هو "متحف الفضيات" ، وهو المتحف الذي يحتوى على كل لوازم الحفلات من "سرفيس" للإستعمال وأدوات أخرى للزينة . وبهذا المتحف أطنان من الفضة الخالصة بعضها للإستعمال وبعضها أصبح لا يصلح إلا للعرض، وبه ورشة لإصلاح الفضيات وفحص الذهب، وأغلب الموجود بهذا المتحف من الطراز التركي ويرجع إلى عهد إسماعيل . ولم يصف الملك فاروق إلى هذا المتحف إلا طقماً أحضره معه من إنجلترا عندما كان يحاول التعلم هناك .^(٣)

ويلحق بمخزن الفضيات مخازن أخرى للبياضات والمفروشات والكراسى التى تستخدم فى الحفلات ومخازن للملابس السفرجية والفراشين وكلها موشاه بالقصب ومن الصوف الفاخر الذى تتكلف البدلة الواحدة منها ٣٠ جنيه . وإلى جوار هذه المخازن كانت مخازن الخمر التى تحوى خموراً من جميع أنحاء العالم . وتقدر قيمة ما عثر عليه فى هذه المخازن بما يساوى ١٠٠٠٠ جنيه ، وكانت هذه

(١) الموقع الإلكتروني : لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء .

(٢) محمود الجوهري : قصور الرجعية ، ص ٣٥ .

(٣) محمود الجوهري : نفس المرجع ، ص ٣٩ .

الخمور تستعمل في الحفلات التي كانت تقام في الخفاء . ومن الأشياء الطريفة العثور على زجاجة لها فوهتان أحدهما يمكن وضع الخمر بها والآخر يمكن به وضع أى سائل آخر كالليمون مثلاً لمن لا يتعاطى الخمر .^(١)

ويوجد في الدور الأرضي أيضاً " الصيدلية " الخاصة التي كانت تحتكر الأدوية النادرة والتي كان يستولى عليها الملك فاروق ، وكان يشرف على هذه الصيدلية صيادلة متخصصون وكانوا يتقاضون مرتباتهم من الدولة . وكانت هذه الصيدلية وزميلتها في المتزه أشبه بمستودعات كبيرة للأدوية مكدسة من غير حساب بها ما يلزم وما لا يلزم .

وفي مواجهة الصيدلية توجد المطابخ الملكية التي كان يصرف عليها ما لا يقل عن ١٠٠٠٠٠ جنية سنوياً، علاوة على ما كان يصرف على مطبخ العائلة الذي كان مخصصاً لتجهيز الطعام للخدم والبستانيين والفراشين والسعاة والجنود . وكان يشرف على إعداد الطعام عدد كبير من السفرجية التابعين لإدارة القصور التابعة لوزارة المالية . وكان السفرجى الأول موظفاً في الدرجة الخامسة .^(٢)

وقبل أن نترك الدور الأرضي لابد أن نتحدث عن المكوجية والغسالين، فكانت هناك ورشة للمكوجية حكومية وأخرى خاصة . ان المكوجى الواحد يتقاضى ١٢ جنية شهرياً . أما الغسالات فكن من السيدات كانت تحضرهن الخاصة الملكية للقيام بعملية الغسيل نظير أجر زهيد .

ولم يبق في الدور الأرضي من الأشياء التي تستحق الذكر سوى المتحف الحربى الملكى الخاص ، ورش للهندسة وللكهرباء ولوازم العمارة، وورشة التصوير التي كان يشرف عليها المصور الأرمنى الخاص " أرشاك " وهذه الورشة مجهزة بأحدث وأدق

(١) محمود الجوهري : قصور الرجعية ، ص ٤٠ ، ص ٤١ .

(٢) محمود محمد الجوهري : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

الأجهزة للتصوير الملون والعاذى وبها كينات التصوير المختلفة الأحجام والأغراض . وقد قدرت أدوات التصوير بقصر عابدين بها لا يقل عن ٢٤٠٠٠ جنيه .^(١)

وتوضح لنا المصادر كذلك أن قصر عابدين كان يضم حديقة كبيرة - اقتطعت الآن من القصر وتحولت إلى نادى لشباب عابدين - ويضم أيضاً حمام كبير للسباحة كان يصطف حوله المدعوون للموائد الملكية التى كانت تعقد فى شهر رمضان ويدعى إليها الوزراء ورجال الأحزاب وكبار الشخصيات . وإلى جوار هذا الحمام كانت توجد غرفة سرية يمكن الوصول إليها من داخل القصر، وفى وسط هذه الغرفة توجد نوافذ زجاجية صغيرة أنشأها الملك فاروق كى ينظر منها إلى السباحات من مدعواته دون أن يعرفن أن هناك من ينظر إليهن .^(٢)

شكل (٨)

تقديرات قيمة أجنحة وصلات الحرم الملكى (أثنائ فقط)

جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه
١٧١٠	٥٧٤١	١٠٩٧١	٢١٧٢٠	٥٦٧٥	٢٩٧٦٤
القاعة البينونية	جناح الاميرات	جناح السيدة نازلى	جناح ولى المهد	جناح الملكة	جناح الملك
«البليكى»					

المصدر : محمود محمد الجوهري : قصور الرجعية ، ص ٤١

(١) محمود الجوهري : نفس المرجع ، ص ٤٣ .

(٢) رأفت غنيمى الشيخ : حضارة مصر الحديثة ، ص (٢١٦) نقلاً عن حافظ محمود : الممارك فى الصحافة والسياسة والفكر بين ١٩١٩ - ١٩٥٢ ، ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ .

مكتبة قصر عابدين

كانت بالقصور الملكية مكتبتان : إحداها بعابدين والأخرى بالقلعة علاوة على دار للمحفوظات التاريخية التي تهتم الأسرة المالكة . ومكتبة عابدين تعتبر ملكية حكومية حافلة بذخائر ومقتنيات . ولقد أنشأت هذه المكتبة في عهد إسماعيل، وأن بعض القماطر فيها ما يزال منقوشاً عليه الحرف الأول من اسمه . ولا يمكن القطع بنسبة إنشائها وإن كان يرجح أن يكون ذلك في أواخر أيام حكمه .

وكانت أول نواة للمجموعة التي تضمها المكتبة في ذلك العهد كتب الخديوى إسماعيل الخاصة وبعض الكتب التي أهديت إلى والده إبراهيم . ومن ذلك الطبعة الممتازة من كتاب " وصف مصر " الذى وضعه علماء الحملة، والكتاب المصور العظيم عن حفلات قناة السويس عند افتتاحها .^(١)

وفي عهد الخديوى توفيق أسندت أمانتها إلى أحمد شفيق - صاحب المذكرات والحوليات - وقد جاء في مذكراته أنها كانت تشتمل على قليل من الكتب لا يتجاوز عددها خمسمائة مجلد وخرائط شتى لمصر والسودان، أما باقى الكتب فهى أطالس وكتب للجغرافيا والتاريخ والسياحة وفنون العمارة العربية . وما يجدر ذكره أن هدايا الكتب التى توجه إلى إسماعيل وتوفيق وحسين كامل كانت تودع فى هذه المكتبة باعتبارها هدايا للدولة بغض النظر عن أنها كانت تقدم إليهم باسمهم خاصة .^(٢)

وفي عهد الملك فؤاد ونجله فاروق انعكست الآية واعتبروا أن أمثال هذه الهدايا خاصتهم لا للدولة وأفردوا لها مكاناً مستقلاً بقصر عابدين وسميت " المكتبة العامة " . ولما زادت وتمت نقلها فاروق إلى قصر القبة وسمّاها " المكتبة الخاصة " . وقد أشرف على هذه المكتبة فى عهد الملك فؤاد المستشرق " غريفينى " ومن بعده " دينى " العالم الفرنسى الضليع فى اللغة التركية الذى أشرف على المحفوظات

(١) محمود الجوهري : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) محمود الجوهري : نفس المرجع ، ص ٤٥ ، ص ٤٦ .

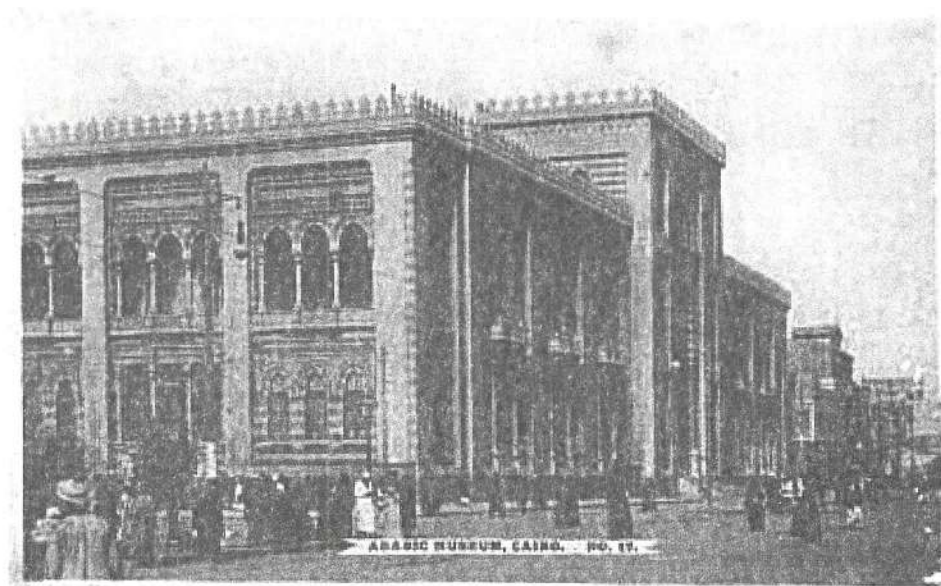
التاريخية ووضع فيها كتاباً قيمياً . ثم أسندت أمانتها إلى المصريين فكان من وطنيتهم وغيرتهم ما دفعهم إلى حد الكمال حتى أصبح ما بها يربو على ١٣٠٠٠ كتاب في القسم الأفرنجي ، وحوالي ستة آلاف مجلد في القسم الشرقي . وتضم المكتبة علاوة على ذلك مجلدات لحفظ الجرائد اليومية من يوم إنشائها . وخلاصة القول أن أهم ما تهتم به هذه المكتبة هو الموضوعات التاريخية عن مصر والشرق عامة، وفيها بعض الوثائق عن الحملة الفرنسية على مصر ، وكذلك أصول مذكرات " كلوت بك " ومجموعة فريدة من الخرائط عن السودان ، تنطق بما بذل من جهد لتخطيط أرجاء السودان الشاسعة .^(١)

وفي ختام حديثي عن قصر عابدين أحب أن أشير إلى أن الخديوي إسماعيل قد أصدر في ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٩١هـ سنة ١٨٧٤م أمراً عالياً بشراء بعض المحلات الواقعة قبل وبحرى سراي عابدين لإجراء بعض التنظيمات والتعديلات بالسراي . وقد أنعم الخديوي إسماعيل بهذه الأراضي التي تم شراؤها لزوجاته الثلاثة . ثم حدث ترميم آخر في سنة ١٨٧٥م ولم تتوقف أعمال التعمير والإضافات في عهد الخديوي إسماعيل وخلفاؤه .^(٢)

(١) محمود الجوهري : المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

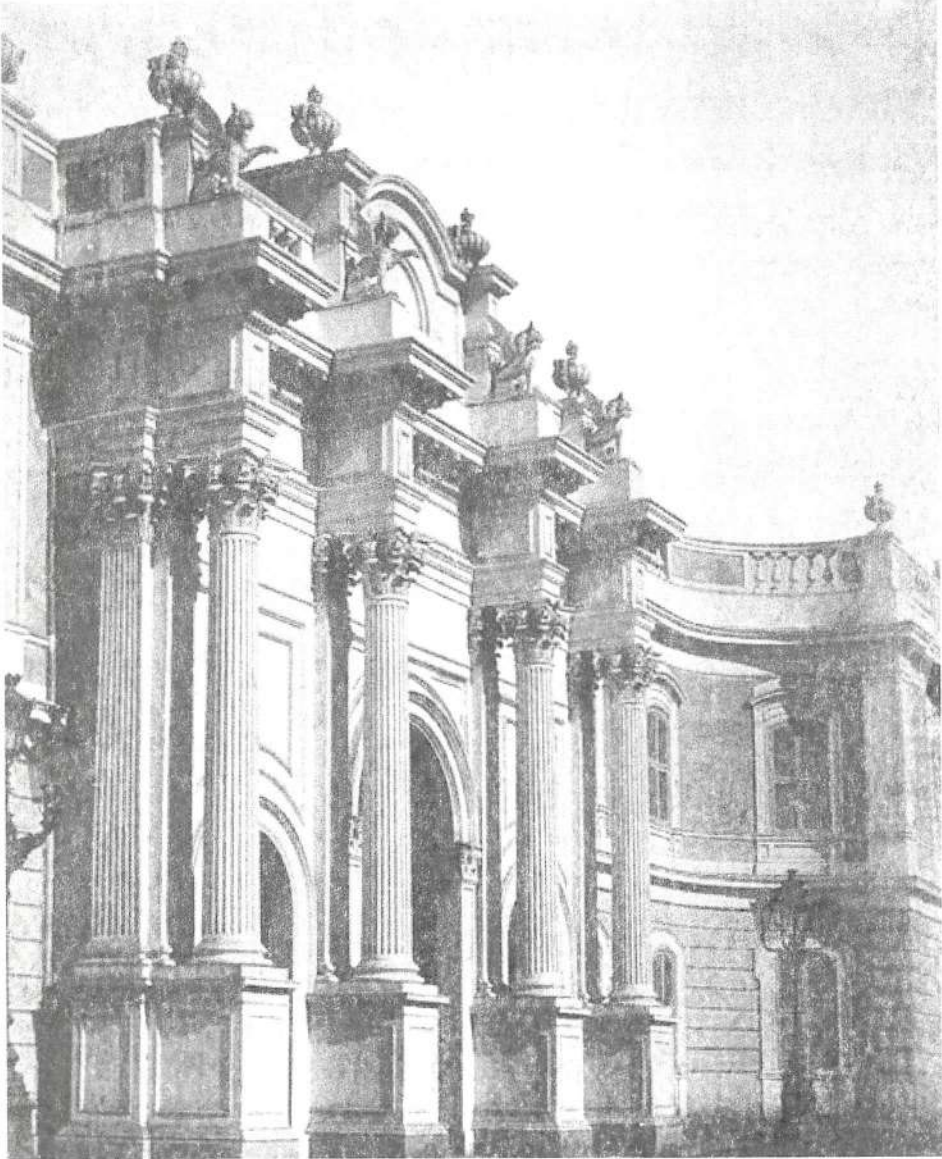
(٢) عبد المنصف سالم نجم : قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر ، ص

شكل رقم (٩)



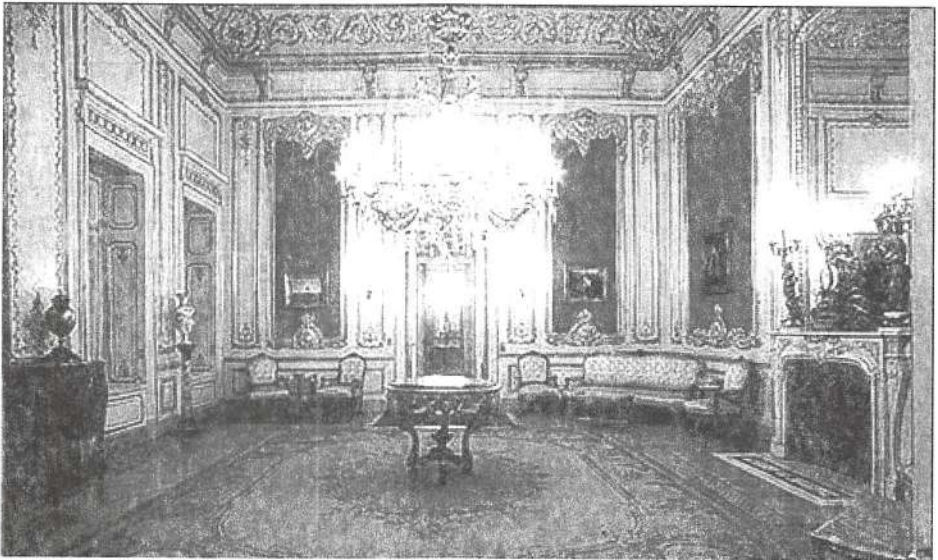
الساحة الأمامية لقصر عابدين

شكل رقم (١٠)



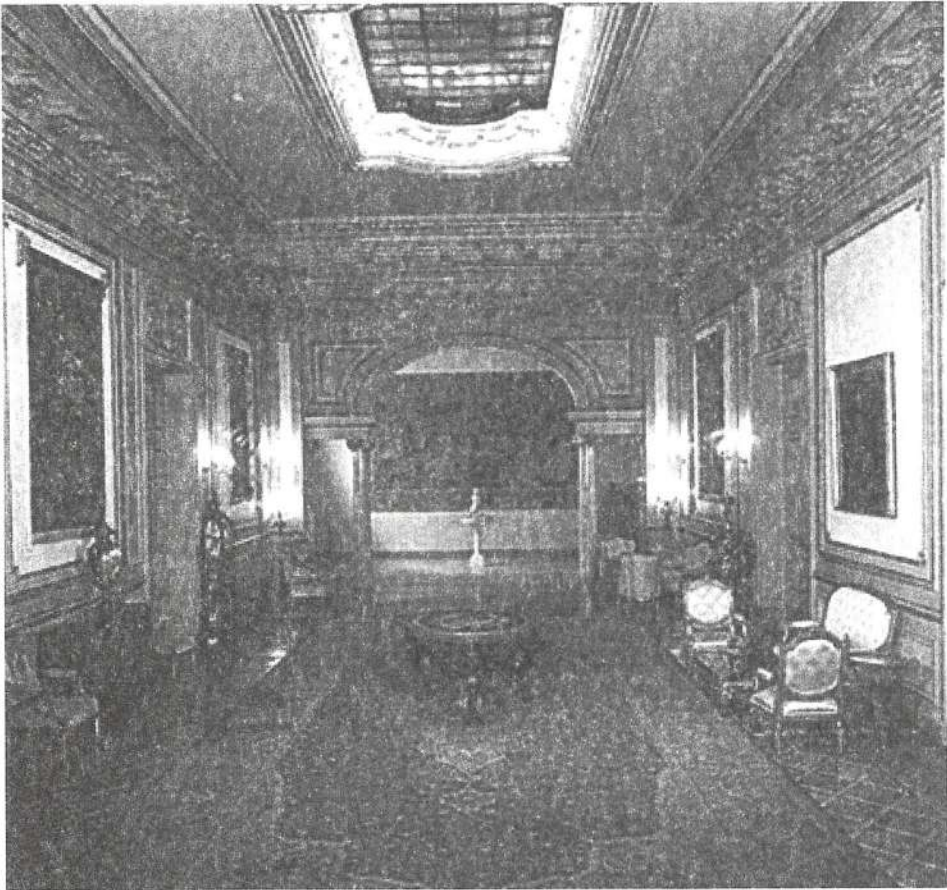
قصر عابدين

شكل رقم (١١)



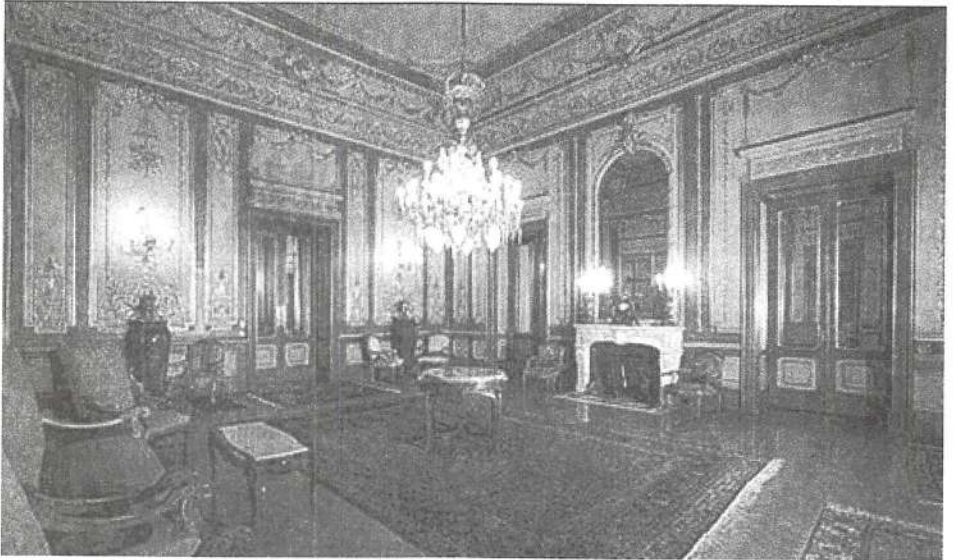
الصالون الأحمر

شكل رقم (١٢)



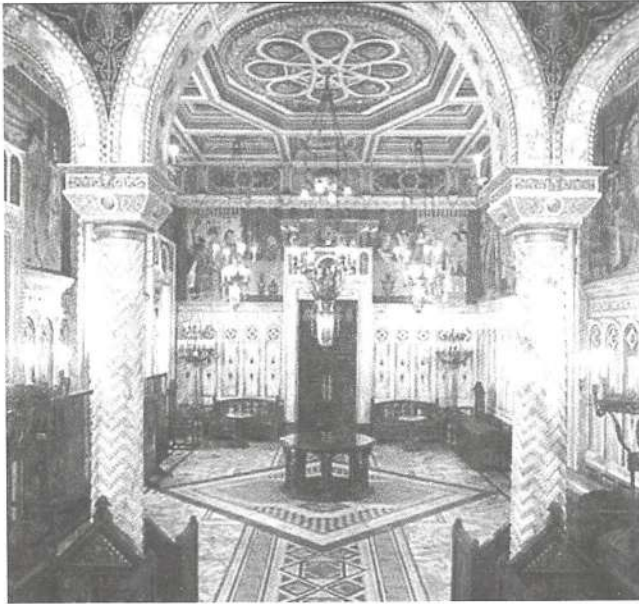
الصالون الأبيض

شكل رقم (١٣)



الصالون الأخضر

شكل رقم (١٤)



قاعات الاستماع البيزنطية

شكل رقم (١٥)



قاعات الاستماع البيزنطية

شكل رقم (١٦)



قاعة العرش



شكل رقم (١٧)

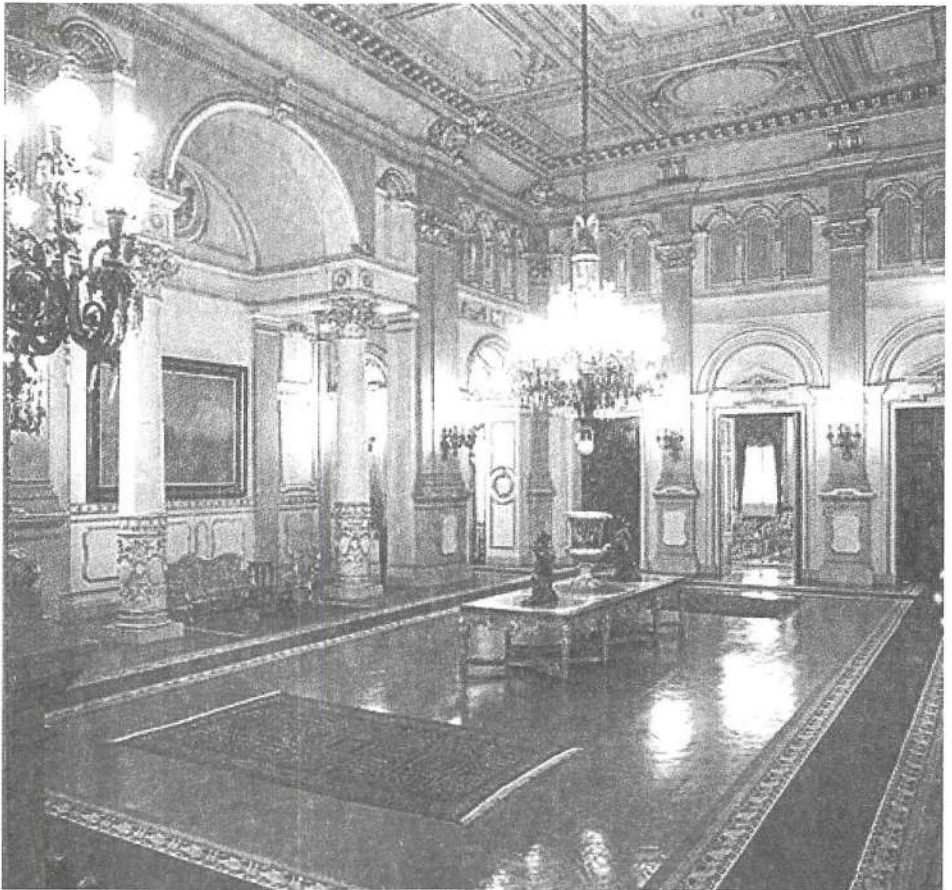
مكتبة قصر عابدين



شكل رقم (١٨)

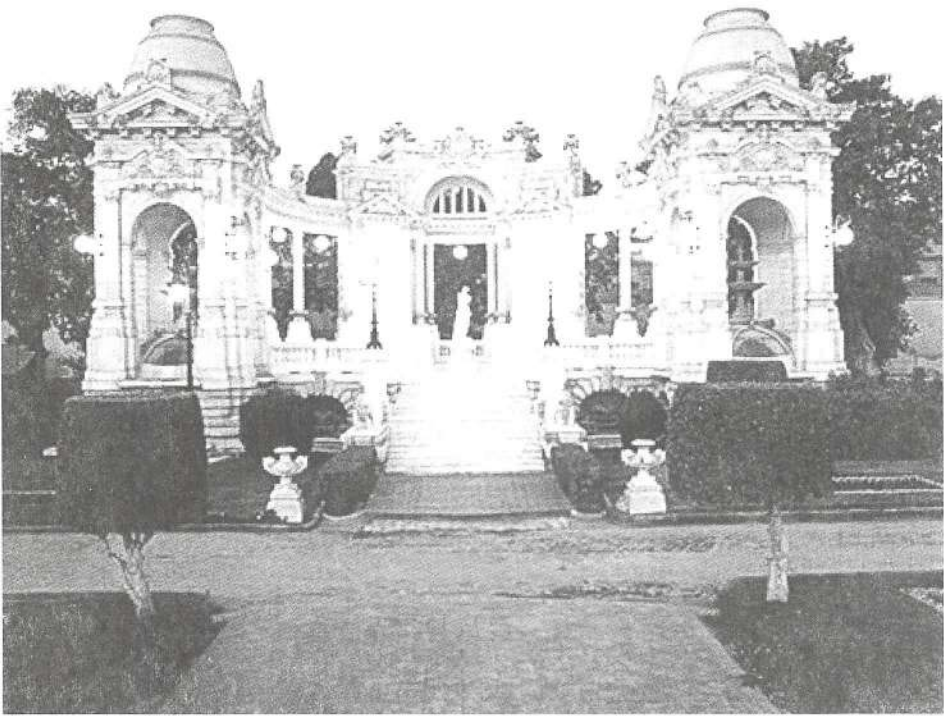
قاعة محمد علي

شكل رقم (١٩)



قاعة محمد علي

شكل رقم (٢٠)



حدائق قصر عابدين

شكل رقم (٢١)



حدائق قصر عابدين

شكل رقم (٢٢)



حدائق قصر عابدين

شكل رقم (٢٣)



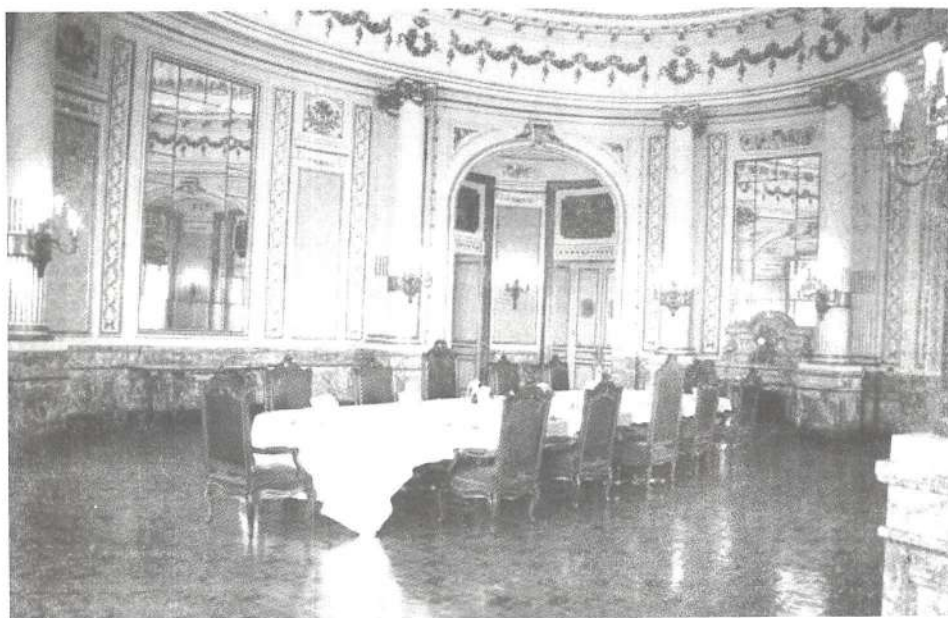
حدائق قصر عابدين

شكل رقم (٢٤)



حدائق قصر عابدين

شكل رقم (٢٥)



قاعة الطعام الصغرى بقصر عابدين

شكل رقم (٢٦)
نماذج من متحف الفضيات بقصر عابدين



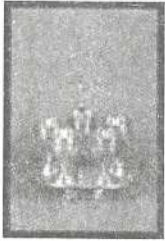
دورق خشاف الخديوى عباس
حلمى الثانى



قنينة الأمير يوسف كمال



دورق عصير الخديوى إسماعيل



حامل أطراف البيض الخديوى
إسماعيل



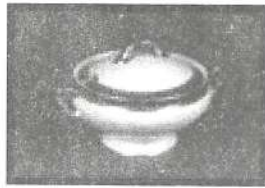
حامل فاكهة الأمير يوسف كمال .



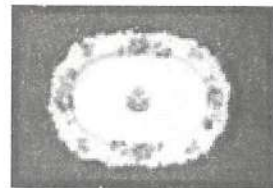
صينية عشاء الملك فواد



حامل للفاكهة الخديوى
إسماعيل



سلطانية شوربة الملك فواد



طبق تقديم الأمير يوسف كمال

شكل رقم (٢٧)

نماذج من متحف الفضيات بقصر عابدين

 <p>طبق الأميرة جويدان هانم</p>	 <p>صينية مستطيلة الأمير يوسف كمال</p>	 <p>تحفة على شكل زهرية من الفضة الخديوى إسماعيل</p>
 <p>قاعدة لصحون السمك الخديوى إسماعيل</p>	 <p>حامل كووس - كوكتيل الخديوى إسماعيل</p>	 <p>براد من الفضة أسرة محمد على</p>
 <p>فازة من الجاليهات أسرة محمد على</p>	 <p>إناء من الجاليهات أسرة محمد على</p>	 <p>فازة من الجاليهات أسرة محمد على</p>
 <p>إناء لتقديم الكريمة الأمير يوسف كمال</p>	 <p>إناء تقديم الصلصة - صلصة الأمير يوسف كمال</p>	 <p>شمعدان الخديوى إسماعيل</p>

سراى الجزيرة

تبلغ مساحة أرض سراى الجزيرة ستون فداناً، وتحتوى على سراية للحريم، وأخرى برسم سلاملك كبير، خلاف سلاملك صغير فى غربى السلاملك الكبير.^(١)

وكلف إسماعيل باشا مهندس البلاط الخديوى فرانس باشا النمساوى عام ١٨٦٣ بتصميم قصر بجزيرة الزمالك، فشيّد له "سراى الجزيرة" على غرار قصر "الهمبرا" بغرناطة وانتهى منه عام ١٨٦٨.^(٢)

والقصر مبنى على الطراز الأندلسى^(٣)، ويذكر على مبارك فى خططه :

"إن فرانس باشا اجتهد فى تشييدها بالمباني العربية القديمة فى شكلها وزيتها ومفروشاتها وجعل فى خارج السلاملك الكبير برسم الزينة بلكونات وبواكى من الحديد جلبت من البلاد الأفرنجية وأحاط البستان بسور وجعل فيه محلات للحيوانات المتنوعة كالفيلة والسباع والتمور والقردة والنسانيس وأنواع الطيور المجلوبة من بقاع الأرض وفرش محاشيه بالرمال والزلط الملون وزرع فيه فوانيس الغاز".^(٤)

وأشار عبد الحميد بك نافع إلى أن هذه السراى قد شيّدت فى نفس موقع "قصر إبراهيم باشا" أمام المطبعة الكبرى بجزيرة إبراهيم، وقال أنها كانت من أعظم المباني التى لم يشيّد مثلها، بها اشتملت عليه بسايتينها من الأشجار والنباتات والأنهار

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

(٢) عرفه عبده على : القاهرة فى عصر إسماعيل ، ص ٦٦ .

(٣) عبد المنصف سالم نجم : قصور الأمراء والباشوات فى مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر ، ص ٢٨٩ .

(٤) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

والبرك والقناطر والجبلديات .^(١) وللقصر أربعة واجهات منها واجهتين رئيسيتين وهما الواجهتان الشرقية والغربية وواجهتين هما الواجهتان الشمالية والجنوبية .^(٢)

تخطيط القصر

يتكون قصر الجزيرة من دور أرضي وثلاث طوابق أخرى . ونلاحظ أن معظم وحدات الطابق الأرضي كانت وحدات خدمية مخصصة للأعمال الخدمية، ويتكون هذا الطابق من قاعة استقبال رئيسية يحيط بها وحدات خدمية ووحدات ترفيهية حيث يوجد بالجهة الشمالية كافيتيريا وقاعة احتفالات وحجرة طعام خاصة، وفي الجهة الجنوبية من قاعة الاستقبال توجد كافيتيريا أخرى، وفي الجهة الشرقية يوجد حجرات غسيل وتخزين اللحوم والثلاجة والمطبخ وحجرات خدمية وحجرات تغيير الملابس، أما في الجهة الغربية يوجد مخزن .^(٣)

أما الطابق الأول فيتوسطه قاعة استقبال رئيسية ، ويتوسطها ستة أعمدة تحمل السقف منها ثلاثة في الجهة الشرقية، وثلاثة في الجهة الجنوبية، وهذه الأعمدة تقسم قاعة الاستقبال إلى صالة وسطى (صالة انتظار) وجناحين للانتظار، وقد انتشرت بهذه الصالة السواتر المعدنية . وبالقسم الشمالى من هذا الطابق توجد كافيتيريا وغرفة الطعام الخاصة، وبالقسم الجنوبي يوجد التليفون والتلكس والسكرتارية ومسجل الزوار وقسم الحسابات، وبالركن الشرقى مجموعة غرف تمثل السكرتارية والعلاقات العامة .^(٤)

أما الطابق الثانى فيتكون من مجموعة من قاعات وصالات ومخازن وممرات، حيث يتوسط هذا الطابق قاعة الاحتفالات الكبرى . وبالجهة الشمالية لهذه القاعة

(١) عرفة عبده على : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(٣) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ، ص ٢٩١ .

(٤) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

حجرتان وصالة اجتماعات ومخزن وبالركن الشمالي الشرقي توجد صالة للاستقبال الكبرى، وبالجبهة الجنوبية من قاعة الاحتفالات يوجد المطبخ والمخزن، أما الجهة الغربية فيوجد ممر خاص يؤدي إلى قاعة الاحتفالات .

أما الطابق الثالث فهو طابق فرعى يشغله ملهى ليلي ومطبخ فرعى ومجموعة مخازن، وهذه الملاحق لا تشغل الطابق بأكمله ولكن تشغل جزء منه ^(١).

ويصل بين طوابق هذا القصر سلم مصنوع من الرخام وحفرت به حليات وزخارف تعد من الأعمال الفنية النادرة، ولهذا السلم درابزين يبلغ ارتفاعه ١ م وهو من الرخام الكرامة المخروط على شكل أعمدة محلية يعملوها عقود متداخلة ومطعمة في شكلها الأفقي بوحدات زخرفية هندسية من الرخام الملون كما أنها محلاة من الجانبين ^(٢).

ويوجد سلم آخر وهو الذي يلي ردهة المدخل الغربي، وهذا السلم يؤدي من الطابق الأول إلى الدور الأرضي ، وهذا السلم يعتبر أكثر السلام استعمالاً كسلم استقبال وهو يربط الدور الأول بالدور الأرضي . ويؤدي هذا السلم إلى وحدات مهمة مثل الكازينو، وصالون أوجيني والملهى الليلي (الإمبراطورة) وكذلك يؤدي إلى خارج القصر ^(٣).

أما حديقة القصر فتوسطها بحيرة رخامية رائعة يحف بها سلام من الرخام النادر وتمثال لأسود تصب الماء من أفواهها، قوارب صغيرة فاخرة تسبح على صفحة الماء بين مجموعات البجع والبط والأوز، بينما تتناثر تماثيل آلهة وآلهات اليونان بين أشجار البرتقال والمانجو، وتمثال بالحجم الطبيعي للآلهة سيراً تحيط به تماثيل لأربعة ملائكة يصبون الماء، وأسوار من أشجار الفل والحناء والياسمين، وبنهاية

(١) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

(٢) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

البحيرة جوسق من الرخام الأبيض الثمين يضم أرائك على شكل ديوان يميزها اللونان الأصفر والقرمزي.^(١)

تكلّف إنشاء هذه السراى مصاريف باهظة ، حيث أنفق على إنشائها ٨٩٨٦٩١ (ثمانمائة وثمانية وتسعون ألفاً وستمائة وإحدى وتسعون جنيهاً).^(٢)

وقد تكلّفت أيضاً أعمال التشطيب الخاصة بالقصر مصاريف باهظة، حيث تكلّفت أعمال النقش بالسقف والحيطان بحجرة السفارة بسلامك سراى الجزيرة حوالى ألف جنيه إنجليزى . وقد قام بعملها كل من الخواجة المهندس فرنسيس والخواجة ديبتش، وكان ذلك فى سنة ١٨٦٤.^(٣)

تحويل القصر إلى فندق

افتتح القصر فى عام ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م فى مناسبة افتتاح قناة السويس لإقامة كبار زوار الخديوى وخاصة الإمبراطورة أوجينى . ثم أصبح بعد ذلك المقر الرسمى لإقامة الخديوى إسماعيل . وفى سنة ١٨٧٩ اشترت شركة الفنادق السويسرية " بهلر " القصر والحديقة المحيطة وحولته إلى فندق أسمته " فندق الجزيرة " .^(٤)

وبعد سنوات بيع القصر ومحتوياته إلى الثرى اللبنانى لطف الله الذى بقى فيه هو وعائلته حتى عام ١٩٦١ حيث آلت ملكيته للدولة . وفى عام ١٩٦١ آلت ملكيته إلى الشركة المصرية للفنادق والسياحة (تور هوتيل) التى حولته إلى فندق اسمه (عمر الحيام)، وأجرت عليه عدة تعديلات مثل إقامة عدة غرف للنزلاء

(١) عرفه عبده على : المرجع السابق ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

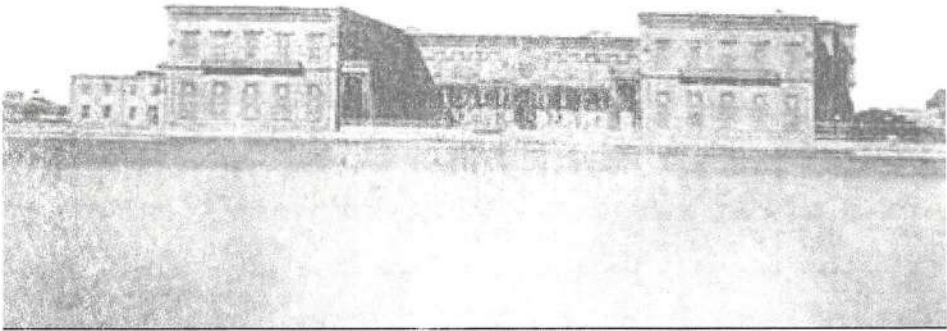
(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

(٤) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ، ص ٢٩٤ (نقلاً عن سيد مدهبولى : فندق ماريوت عمر الحيام -

مقال - مجلة عالم البناء - العدد ٣١ - سنة ١٩٨٣ - ص ٢٤) .

بالدورين الثاني والثالث وملهى ليلي بالدور الأرضي وأضافت أيضاً عدد من الشاليهات بالحديقة وقد بدأ تشغيل فندق عمر الخيام في شهر ديسمبر ١٩٦٣م، وكان إجمالي عدد الغرف ١٨٢ غرفة بها في ذلك الشاليهات . وفي عام ١٩٧٥م تقرر تحويله إلى فندق عالمي يحتوى على ١٣٢٨ غرفة للنزلاء، فكان البدء في إنشاء فندق (ماريوت الجزيرة) على أن يتم الحفاظ على القصر الأثرى وإدماجه في مباني مستجدة تقام حول الحديقة المحيطة به بدلاً من الشاليهات الخشب، وذلك بعد ترميم جميع عناصره المعمارية والتحف المعدنية التي يحتويها.^(١)

شكل رقم (٢٨)



قصر الجزيرة

(١) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .

سراى الإسماعيلية

تعد هذه السراى من أهم سرايات وقصور حى الإسماعيلية، وقد حددتها خريطة جرانديك عام ١٨٧٤ التى رسمت لمدينة القاهرة . وكذلك خريطة التخطيط الجديدة لمدينة القاهرة ، حيث يحدها شمالاً الشارع الذى يفصل بينها وبين قصر النيل (شارع قصر النيل) ويحدها جنوباً الشارع الذى يفصلها عن قصر - الدوبارة (السفارة البريطانية حالياً) ويحدها شرقاً شارع القصر العينى وغرباً نهر النيل . ويطل سور هذه السراى بزوايته الشمالية الشرقية على ميدان الإسماعيلية (التحرير)^(١)

وقد أنشأ الخديوى إسماعيل سراى الإسماعيلية وسميت بالسراى الصغرى وسميت بذلك لأنه قد شرع فى بناء سراى الإسماعيلية الكبرى محل جزيرة العييط بعد شراء ما كان بها من المنازل والقصور . وقد أنفق الخديوى على السراى الصغرى مبالغ طائلة حيث بلغ قيمة ما أنفقه عليها مائتا ألف ومائتان وستة وثمانون جنيهاً .^(٢) وقد آل موقع هذه السراى وما حولها على الزوجة الثالثة للخديوى إسماعيل " جشم آفت " .

وقد استخدمت هذه السراى لسكنى الغازى مختار باشا مندوب السلطان العثمانى كما يتضح ذلك من الخطاب الذى أرسله الأمير محمد على باشا لناظر المالية فى مايو ١٨٩٥ . وما لبثت ان هدمت هذه السراى الضخمة سنة ١٩٠٠ م، ولم يبق منها إلا المسجد الذى كان ملحقاً بها ، وقسمت أراضيها ولم يتبق من هذه السراى أى شئ، حيث شيد فى موقعها مجمع المصالح الحكومية (مجمع التحرير)، وما أمامه من مساحة فضاء وجزء صغير من وزارة الخارجية القديمة . حتى اسم الإسماعيلية نفسه فقد تلاشى مع ثورة ١٩٥٢ وحل محله ميدان التحرير .^(٣)

(١) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

قصر القبة^(١)

شرع في بنائه الخديوي إسماعيل سنة ١٨٦٣ . كما ظهر من إحدى وثائق قصر عابدين الموجهة من الجناح العالي الي قاسم باشا " خازيندار الخديوي " بتاريخ ٦ أبريل عام ١٢٨٥ هـ وهو الذي يقول فيها " أرانى لسنا في حاجة إلى إصدار أمر جديد بتعجيل إتمام قصر القبة بعد أمرى الأكيد الذي صدر إليكم " . ولكن أول من سكن هذا القصر كان الخديوي توفيق وقد سمي باسم الضاحية التى بنى فيها ، ومساحة مبانيه حوالى سبعين فداناً ، وبه من الغرف زهاء ٤٠٠ غرفة .

وتشمل مباني قصر- القبة بلوكات الحرمك والسلامك وأماكن الخدم والأوفيسات الخصوصية والمطابخ الملكية . ويضم " السلامك " عدة حجرات أهمها جناح نوم وصالة الطعام والمكتب الخاص ومكتب التشريفات ، وأهم ما به المتحف الذى يحوى مجموعات طوابع البريد العالمية والنقود الذهبية والأثرية . وتعتبر هذه المجموعات أثمن ما فى القصر- علاوة على الكميات الهائلة من المجوهرات والتحف المرصعة بأثمن الأحجار الكريمة . أما " الحرمك " فيشمل جناح نوم الملكة والأغوات والأميرات والمكتبة ومخازن المطبخ ... إلخ . وفى الحديث عن التحف التى هى أهم ما فى القصر فهى ذات قيمة مالية عظيمة فأغلبها من الذهب الخالص والجواهر والأحجار الكريمة النادرة ، وتشمل هذه التحف مجموعة من الساعات ، ساعات من كل حجم ولون . ساعة جيب قطرها ١٥ سم وساعة يد قطرها نصف سم وساعة من الذهب المحلى بالألماس وأخرى مزينة بالزمرد والزجاج الطبيعى الوردى . وتوجد أيضاً مجموعة هائلة من الدبابيس الذهبية المحلاة بالجواهر بعضها على شكل سيف والباقي على شكل عصا أو طائر

(١) تنسب ضاحية القبة إلى قبة الأمير يشبك بن مهدي ، أحد أمراء دولة المماليك الذى أنشأ قبتين إحداهما تعرف باسم قبة الفداوية بين العباسية والحسنية والثانية أنشأها سنة ٨٨٤ هـ والتي ما تزال قائمة حتى اليوم بحى القبة .

مجنح. وهناك " شخشيخة " أهديت إلى الملك فاروق بمناسبة ميلاد " ولى عهده " محلاة بالجواهر.^(١)

أما طقم الشاى والسفرة فكلها من النوع الذى تجده عند محدثى النعمة هذا علاوة على مجموعة كبيرة من " البييات " بعضها يحمل اسم فاروق وبعضها أسماء فؤاد وإسماعيل وسعيد، فتاحات للخطابات ومعظمها على هيئات سيف بعضها محلى بالماس وبعضها من الذهب الخالص.^(٢)

ومن بين هذه المجموعات نجد مجموعة النقود الذهبية النادرة، حيث توجد مجموعة ترجع إلى عهد قيصر روسيا . وتضم مجموعات النقود أوروباً للنقد المصرى والأجنبى أهمها مجموعة تحمل إمضاء وزراء المالية السابقين على التوالى، ومجموعة أخرى من أوراق النقد السودانى ترجع إلى عهد " غوردون " من بينها ورقة من فئة الخمسين قرشاً . وقد بلغ من حب فاروق للنقود أن أمر بتغطية " الفازات " الفضية التى تزين متحفه العجيب بقطع من النقود الفضية ذات عشرة قروش من عهد السلطان حسين كامل.^(٣)

وأهم من مجموعة النقود، مجموعة طوابع البريد التى قام بتجميعها الملك فؤاد ومعظم هذه الطوابع استولى عليها فاروق من مصلحة البريد ومتحفها . كما كان له فى الخارج عملاء وساسة يحصلون له على كل ما يقع لهم من الطوابع النادرة ليضمه إلى متحفه .

كما عثر أيضاً على مجموعة من أمواس الخلاقة من جميع الماركات، ودبابيس الشعر، ومجموعة أخرى من المحافظ مصنوعة من جلد الخنزير ومكتوب عليها "فاروق". علاوة على مجموعة كبيرة من الأواني الذهبية والخواتم والحلى . أما صينية

(١) محمود الجوهري : قصور الرجعية ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) محمود الجوهري : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٣) محمود الجوهري : نفس المرجع ، ص ٨٩ .

القهوة المصنوعة من الذهب الخالص المرصع بأعلى الماسات واليواقيت فهي قطعة رائعة مرصعة بالماس ومعها ٢٤ فنجان مرصعة بالماس والبرلنت يقدر ثمنها بـ ٥٠٠٠٠ جنيه.^(١)

ومن الأشياء الثمينة للدهشة من تحف قصر القبة هو ذلك "المسطارين" الذي يستعمل لجرف مادة الأسمنت المعجون من القصعة، وبها قطع من الذهب ومرصعة بالماس والبرلنت والياقوت. وكان الملك السابق يستخدمها لوضع حجر الأساس في المنشآت التي كان يضع بها حجر الأساس.^(٢)

نرجع إلى وصف القصر، فتوجد بالقصر حجرات أخرى هامة مثل حجرة المجنزوم المزودة بجميع الأجهزة العالمية التي وضعت لمجرد الزينة. وكذلك حجرة بها جميع آلات الموسيقى اليدوية والآتوماتيكية.

أما حديقة القصر فهي قسمان: الحديقة الخارجية وتبلغ مساحتها ١٢٥ فداناً وقد ضمت إلى القصر في عهد الملك فاروق بعد أن كانت تابعة للأوقاف، وتزرع كلها فاكهة وموالح. أما الحديقة الداخلية فمساحتها ٨٠ فداناً. وهي التي بها مباني الحرم الملك والسلامك ومتنزهات الزينة والزهور والأبصال النادرة التي كانت تستورد من هولندا، وفي وسطها بركة صغيرة للرياضة وملاعب التنس. وكان قد شرع في إنشاء حمام للسباحة فيها وحفرت الأرض لذلك فعلاً ولكنه لم يتم بسبب قيام الثورة.^(٣)

وتوجد على باب القصر محطة خاصة ألحقت بها استراحة فاخرة وجراج خاص بالديزل الملكي "قطار الملذات"، وقد عملت خصيصاً على نفقة الحكومة ليركب منها الملك دون أن يشعر به أحد.^(٤)

(١) محمود الجوهري: المرجع السابق، ص ٩٠.

(٢) محمود الجوهري: المرجع السابق، ص ٩٠.

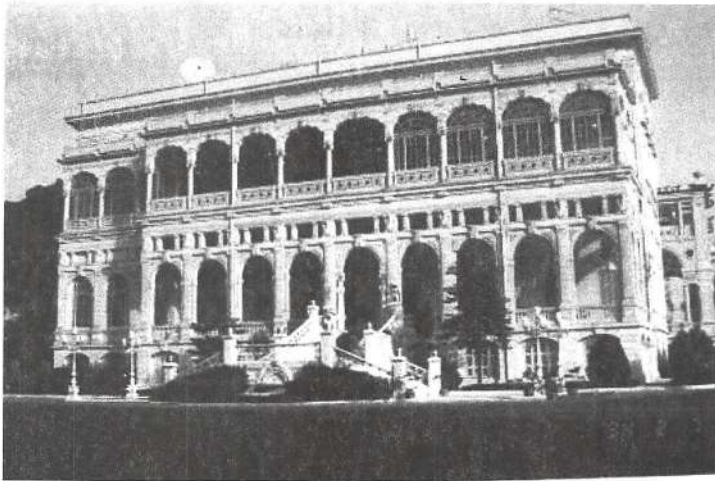
(٣) محمود الجوهري: المرجع السابق، ص ٩١.

(٤) محمود الجوهري: المرجع السابق، نفس الصفحة.

مكتبة القصر

مكتبة قصر القبة تلك التى قيل عنها أنها خاصة . لأنها تشمل الهدايا الرائعة من الكتب التى أهديت إلى الملك السابق ووالده . وهى تتكون من ٢٧ غرفة وتضم أكثر من ١٥٠٠٠٠ مجلد من الكتب النادرة التى قلما أن يوجد لها نظير . وكان يتولى أمر هذه المكتبة " جاك تاجر " والآنسة " سلفانا نورينى " . ولم يعمل لهذه المكتبة فهارس أو كتالوجات وكانت فى طريق الإعداد . وأهم ما فيها حجرة المصاحف وهى تضم مجموعة من المصاحف آية فى دقة الصناعة فهى من الخشب الممتاز المطعم بالصدف ومزينة ببعض الآيات القرآنية المنقوشة بالذهب . وتعتبر هذه المجموعة من أندر وأضخم المجموعات فى العالم . فهذا مصحف طوله نصف متر وعرضه ربع متر كتب بخط اليد، ومصحف آخر سداسى الشكل لا يزيد حجمه على حجم بيضة الدجاجة، وثالث لا يزيد حجمه على الزيتون، ورابع على شكل مسدس صغير، وخامس كتب بهاء الذهب ووضع داخل علبة ذهبية عيار ٢١ تحمل الشعار الملكى.^(١)

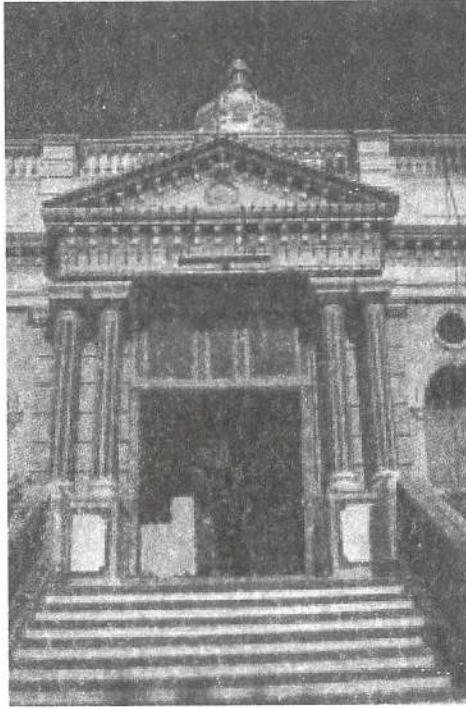
شكل رقم (٢٩)



قصر القبة

(١) محمود الجوهري : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

شكل رقم (٣٠)



واجهة مدخل قصر القبة

شكل رقم (٣١)



قصر القبة من الخارج

سراى الزعفران

تقع سراى الزعفران بمنطقة العباسية شمال قشلاق العباسية والأراضي التابعة له. وتحيط بهذه السراى حديقة من الثلاث جهات الشرقية والغربية والشمالية، ويوجد طريق شمال السراى يربط بين السراى والطريق المؤدى للقبة والمطرية.^(١)

وتعد هذه السراى من أبرز ما شيد من قصور للأمراء والباشوات بمنطقة العباسية . وهذه السراى بناها الخديوى إسماعيل لوالدته خوشيار هانم حيث أعطاهما لأمه عن طريق الهبة وقد أقامت خوشيار هانم بهذه السراى وتركتها بعد أن شيدت لها سراى فخمة وسعة علي النيل في حى جاردن سيتي.^(٢)، وأقامت أسرة مصطفى باشا فاضل بهذه السراى، ووهبتها خوشيار هانم لجهة الميري لعمل المدارس الحربية بها .

وقد عادت خوشيار هانم وسكنت هذه السراى مرة أخرى في عهد حفيدها الخديوى توفيق . وقد طلبت الحكومة من خوشيار هانم أن تتنازل عن هذه السراى في سنة ١٨٨٢ لإقامة ضباط الجيش الإنجليزي فتركتها خوشيار هانم . وقد حدثت بهذه السراى الكثير من التلفيات سواء فى الموييليا والمفروشات أو فى المباني نفسها . وقد طلب الأمير حسين كامل باشا من الجنرال استفانسون كأنه الجيش الانجليزى أن يدفع إيجار شهرى لهذه السراى، يقدر بخمسين جنيه عن كل شهر وذلك من سنة ١٨٨٢ - ١٨٨٧ . وقد طلب استفانسون استشارة حكومة بلاده وعندما عاد ترك هذه السراى فى أواخر شهر سبتمبر.^(٣)

(١) عبد المنصف سالم حسن نجم : الطرز المعمارية والفنية لبعض مساكن الأمراء والباشوات فى مدينة

القاهرة فى القرن التاسع عشر رسالة دكتوراة - كلية الآثار - جامعة القاهرة ص ٢٢٨ .

(٢) هى سراى القصر العالى التى قام الخديو اسماعيل بترميم وتشيد ما تلف منها ومنحها لوالدته .

(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ ، ص ٢٣٠ .

سراي الزعفران الحالية :

يذكر "مصطفى بك فهمي" أن الخديوي إسماعيل أنشأ قصر الزعفران القديم^(١) وعلى ما يبدو أن القصر الذي شيده الخديوي إسماعيل تم تجديده في فترات لاحقة .

وصف القصر

لقصر الزعفران الحالي أربع واجهات تطل على الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية . ويتكون القصر من طابقين بالإضافة إلى البدروم . ويفتح على هذا القصر خمس مداخل اثنان رئيسيان وهما المدخل الشمالى والمدخل الجنوبي الشرقى بالإضافة إلى مدخل بالواجهة الشرقية يؤدى إلى البدروم^(٢) .

القصر من الداخل

يتكون القصر من الداخل من طابق البدروم ثم طابق أول وطابق ثانى (جميع حجرات القصر خاصة برئيس جامعة عين شمس) . ونلاحظ أن تخطيط قصر الزعفران يتشابه إلى حد كبير قد يصل إلى التطابق مع قصر سعيد حليم . ويتكون الطابق الأول من بهو رئيسى يمتد من الشمال إلى الجنوب به عدة أعمدة وفصوص ذات تيجان أيونية حاملة للسقف، ويتصدره من الجهة الجنوبية سلم بفرعين خلفه صالة صغيرة تفتح عليها فتحة الباب الجنوبية للقصر . وعلى يمين ويسار البهو الرئيسي توجد قاعات للاستقبال وقاعة للمائدة .

وفى أقصى الركن الجنوبي الشرقى يوجد المصعد وبعض الحجرات الصغيرة (مستخدمة كمكاتب الآن) .

أما الطابق الثانى فيتكون من بهو رئيسى وبه ثمانية غرف كانت خاصة للنوم بالإضافة إلى حمام به باب يفتح على سطح الفرنجة التى تتقدم المدخل الشمالى للقصر^(٣) .

(١) مصطفى فهمي : القصور والمنشآت - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، ص ٣٧٤

(٢) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

ويغطي القصر سقف مسطح، وأرضية مسطحة مغطاة بخشب الباركيه بنظام السبعيات والثمانيات، (والقصر غنى بالوحدات الزخرفية المكونة من الجص المصبوب المذهب والزجاج الملون المعشق بالرصاص والمعادن المشغولة) .^(١)

سراى الجبل

هى سراى للخديوى اسماعيل وتقع فى الجهة الجنوبية الشرقية لسراى الزعفران وكان يربط بينها وبين سراى الزعفران طريق لا تزال بقاياه كاثثة إلى الآن .

وكانت هذه السراى من أفخم القصور، وقد التهمتها النيران ذات ليلة وبلغ من خطورة هذا الحريق أن اشترك فى اطفائه عشرة آلاف جندى وكانت الجوارى يهربن فيها بالمئات . وكانت هذه السراى محاطة بشكنات العباسية، وكان الخديوى اسماعيل قد أنشأها لسكنه الخاص، وجعل فيها الفين من الجوارى والأغوات وحرّم دخول الرجال فيها . وبلغ من ترف الخديوى اسماعيل واهتمامه بهذه السراى أن أنشأ بالقرب منها محطة سكة حديد ينتقل إليها من محطة مصر مباشرة عبر قطاره الخاص . وكان يربط بين محطة مصر والدمرداش وسراى الزعفران وسراى الجبل، ولا تزال بقايا هذه السراى ماثلة إلى الآن، وهذه البقايا تقع بالجهة الغربية للمستشفى المحاطة بسور كبير ضخّم أصفر اللون مما جعل العامة يطلقون على هذه السراى اسم السراى الصفراء .^(٢)

(١) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٢) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ، ص ٢٢٣ .

شكل رقم (٣٢)



قصر الزعفران

القاهرة فى الوثائق الأجنبية

إلى جانب وصف القاهرة وحياة مجتمعتها التى سجلتها مشاهدات الرحالة والأدباء والفنانين الأوروبيين .. هناك أيضا الوثائق الرسمية، وهى التقارير التى كان القناصل والأجانب يرسلون بها إلى حكوماتهم.^(١)

* من بيردسلي قنصل الولايات المتحدة إلى وزارة الخارجية الأمريكية " القاهرة فى ٩ نوفمبر ١٨٧٢ " .

(رأى إسماعيل ما يترتب من الفوائد على إنشاء مركز دائم لحكومته تلتف حوله مختلف الوزارات ، فقرر ألا يجعل القاهرة عاصمة ملكه فحسب بل أن يجعلها عاصمة تليق بمصر، لذلك أنفق أموالاً كثيرة ، وبدأ الجود فى همه قلما يتحلى - أمير شرقى - فعكف على العمل فى الخمس سنوات الأخيرة لتجميل المدينة التى يمكن تفضيلها اليوم على عدة عواصم أوروبية^(٢))

* من بيردسلي قنصل الولايات المتحدة إلى وزارة الخارجية الأمريكية :

(القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٧٣)

(بلغ التجميل والتغيير فى القاهرة، منذ بضع سنوات، مدى يصعب على الأجنبى تقدير طبيعته ومداه حق التقدير، سكان القاهرة نصف مليون نسمة وهى قائمة بالقرب من المقطم على مسيرة ميل ونصف الميل من النيل، ومنذ ست سنوات لم يكن الحيز الواقع بين القاهرة والنيل وبولاق، إلا أرضاً واسعة منخفضة، تغمرها مياه الفيضان، هو اليوم الحى الجديد الجميل الذى يسمى حى الاسماعيليه تكريماً لسمو الخديوى.^(٣))

(١) عرفة عبده على : القاهرة فى عصر إسماعيل ، ص ٥٣ .

(٢) عرفة عبده على : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٣) عرفة عبده على : نفس المرجع ، ص ٥٤ .

وقد تم تخطيط طرق جيدة واسعة لسير العربات، تحف بها الأشجار، ومنحت الأرض بالمجان، لمن يتعهد بأن يقيم عليها بناء معين الرسم .

هكذا أنشئت مدينة جديدة تماماً تتألف من أبنية رائعة، تمتد من المدينة القديمة إلى ضفاف النيل، فكانها نشأت بفعل السحر.^(١)

وفي مجال إنشاء المباني العامة فكما جاء في خطاب بيردسلي القنصل الأمريكي الى وزير خارجيته أن مباني منطقة العتبة - مباني المحطة المركزية للمطافى - مبني هيئة البريد ومحلات صيدناوى وعمر أفندى والسوق الرئيسي (سوق العتبة الخضرة حالياً) . كل هذه المباني وغيرها الكثير كان قد خطط لها أو تم الانتهاء منها بعد تنازله عن العرش . هذا علاوة على ملاجئ الايتام وتكية للنسوة العاجزات، وكذلك تم بناء عشرين مسجداً جديداً وعلى رأسها مسجد الرفاعى والتي قامت بيناته الوالدة باشا (والدة الخديوى) .^(٢)

ومن خلال المشروعات العمرانية التى أقامها إسماعيل بالقاهرة أحب أن أقول أن إسماعيل قام بعمل مشروع اصلاح عام أطلق عليه (باريس الشرق) وتتلخص خطواته فيما يلي:^(٣)

١- إزالة التلؤل والخرائب التى كانت تحيط بالقاهرة من جميع نواحيها وتمهيد أراضيها واعدادها للبناء .

٢- ردم البرك والمستنقعات التى كانت منتشرة فى جميع أنحاء القاهرة حتى بلغ ما قام بردمه من البرك ما لا يقل عن العشرين بركة ومستنقع تبلغ مساحتها ما يزيد عن ٢٠٠ فدان .

(١) عرفه عبده على : المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٢) حسين كفاى : الخديوى إسماعيل ومعشوقته مصر ، ص ١٥٣ .

(٣) محمود محمد فتحى الألفى : العمارة الاسلامية فى مصر خلال القرن التاسع عشر - اسرة محمد على بالقاهرة - ١٨٠٥ - ١٨٩٩ - رسالة دكتوراة - كلية الهندسة - جامعة القاهرة - ص ٥١٣ ، ص ٥١٤ .

٣- نقل المدافن التى كانت تقع فى وسط القاهرة وتحويلها إلى ميادين وأحياء للسكن.

٤- تزويد القاهرة بالماء الصالح للشرب .

٥- تجفيف الأراضي وعمل مشروع مجارى القاهرة ولم يتحقق تنفيذ الجزء الأخير منه إلا فى سنة ١٩٠٩ على يد " كاركوت جيمس " .

٦- رصف الطرق وغرسها بالأشجار ووقايتها من القاذورات .

٧- تزويد القاهرة بالحدائق العامة التى تعد بمثابة رثى التنفس للمدينة .

٨- تعمير الأحياء الفقيرة وإصلاحها وتزويدها بمياه الشرب والغسيل .

٩- إصلاح مداخل القاهرة وإزالة ما يشوهها من ضرائب .

١٠- إعداد طرق النقل والمواصلات داخل المدينة ورصف الشوارع بعد تجفيفها .

وتعرف الطريقة التى اتبعها اسماعيل فى تخطيط القاهرة باسم " الطريقة الاشعاعية " حيث أقام ميادين واسعة تتصدرها أبنية مهمة كالقصور وتتفرع من هذه الميادين الشوارع الرئيسية التى تحصر بينها خطط أو أحياء، خططت شوارعها بحيث تكون متعامدة (شبكة) أو حدائقية كجاردن سيتي.^(١)

لقد خلق اسماعيل القاهرة الجديدة، كما خلق نابليون الثالث باريس الجديدة، وأن التغييرات التى أدخلها عليها خلال مدة حكمه تعد أكثر من تلك التغييرات التى أدخلت عليها خلال قرن سابق . ويشعر الاجنبى وهو فى القاهرة وكأنه فى أى بلد أوروبى، ويمكنه أن يقيم فى الفنادق المزودة بوسائل الترفيه كمثيلاتها التى فى برلين وفيينا ولندن أو باريس . ويقول "Fraser Rae" فى كتابه "Egypt today" :

(١) محمود محمد فتحى الألفى : المرجع السابق ، ص ٥١٩

(إننى فى الحقيقة أشك إذا كان يوجد فى إحدى تلك العواصم فندقاً به وسائل الراحة ووسائل التسلية كتلك التى فى فندق شبرد).^(١)

ويقول بعض الرحالة " أن القاهرة فى عصر إسماعيل كانت مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة باريز، وأنها كانت فى جمال أبعد من أحياء باس وغابة بولونيا، وأن القسطنطينية كانت تتضاءل بجوارها، وأن الأزبكية كانت أزهى حدائق العالم، وأن دار الأوبرا فيها كانت من أكثر دور الموسيقى والتمثيل سعة وفخامة ".^(٢)

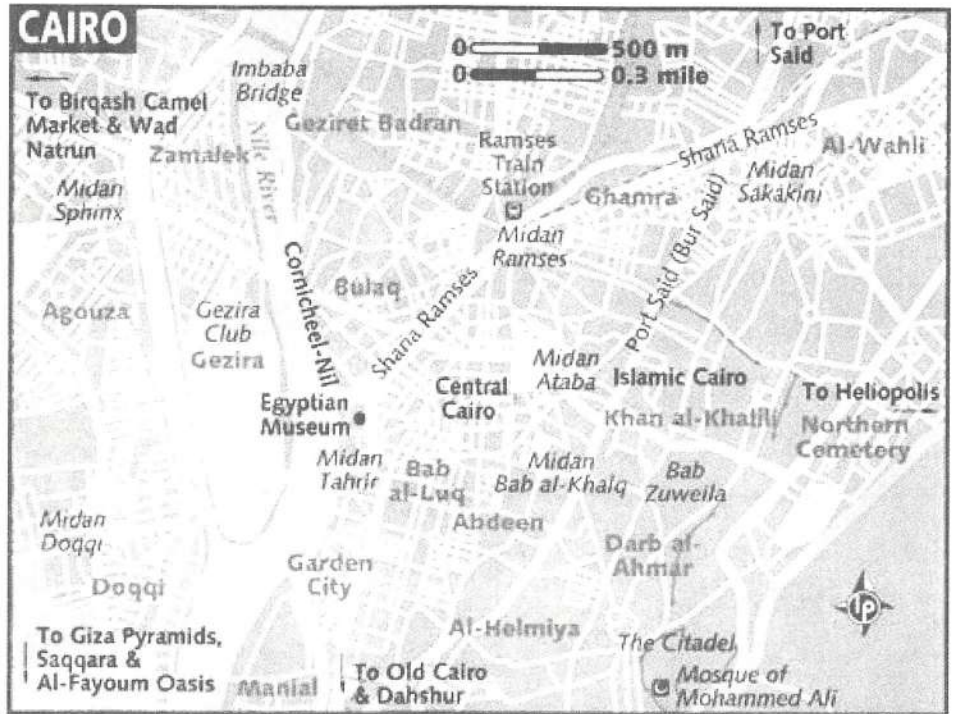
وفى كل هذا ترجمة لناحية هامة من نواحي سياسة إسماعيل وآماله وهى توجيه مصر نحو المدنية العالمية، وإلباسها مظاهر النهضة الحديثة . وقد تحققت آمال إسماعيل، فالقاهرة اليوم تدين له بأحيائها العصرية : أحياء الأوبرا والأزبكية وقصر النيل والجزيرة والزمالك .^(٣)

(١) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر الخديوى إسماعيل - رسالة ماجستير كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٦٠ - ص ٥ .

(٢) أحمد فكرى : القاهرة فى عهد إسماعيل - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ص ٣٨٢

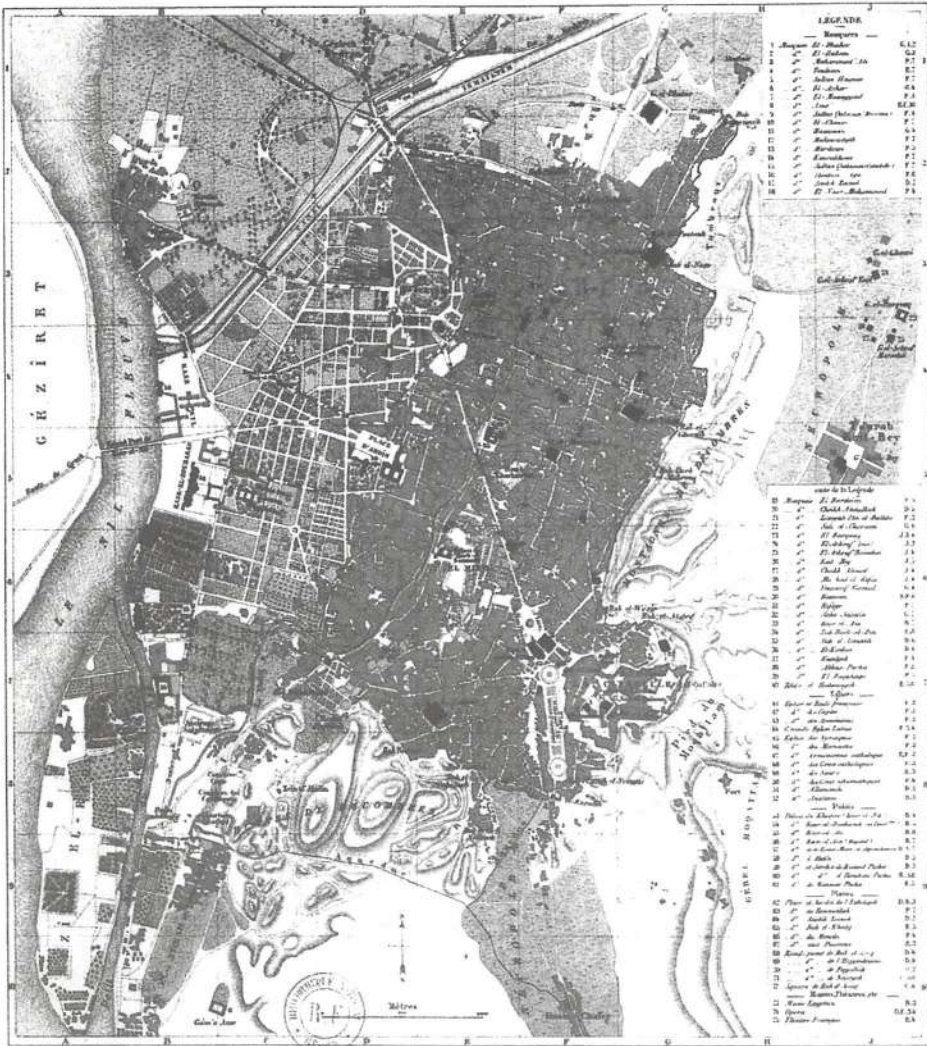
(٣) أحمد فكرى : نفس المرجع ونفس الصفحة .

شكل رقم (٣٣)



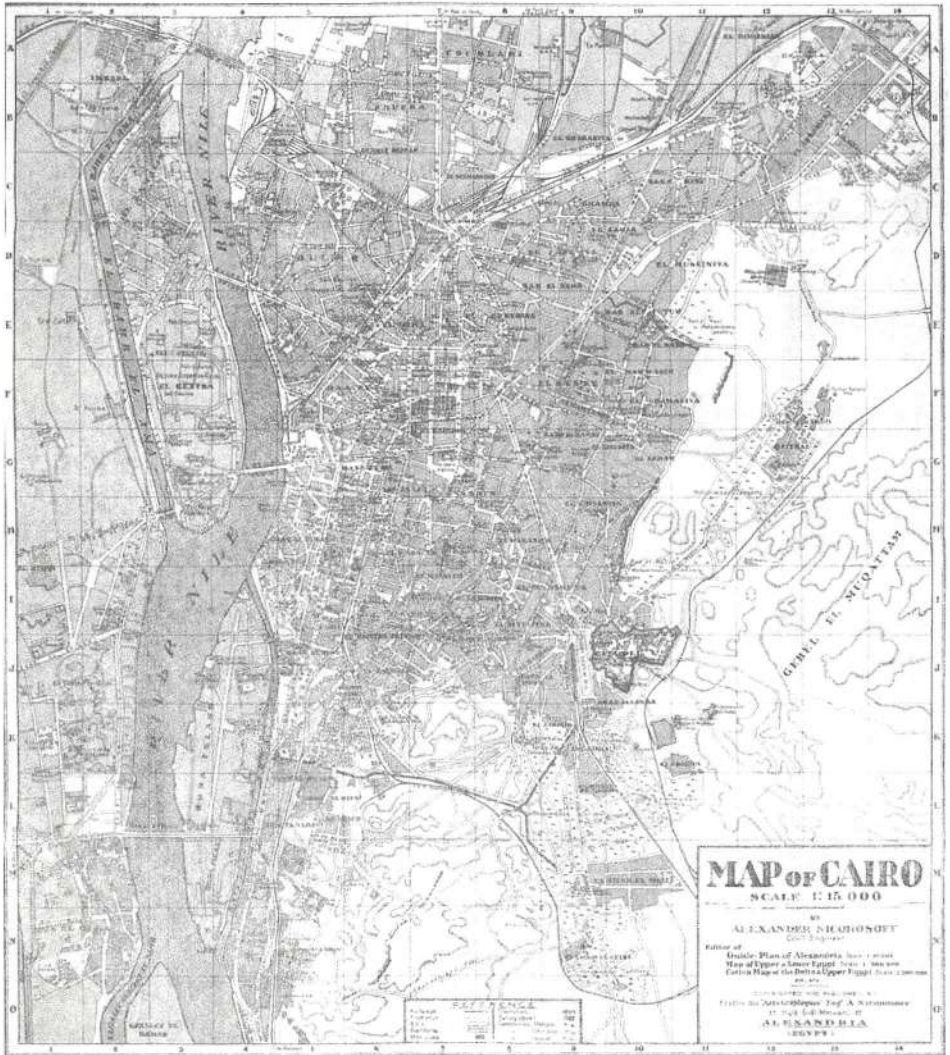
خريطة القاهرة

شكل رقم (٣٤)



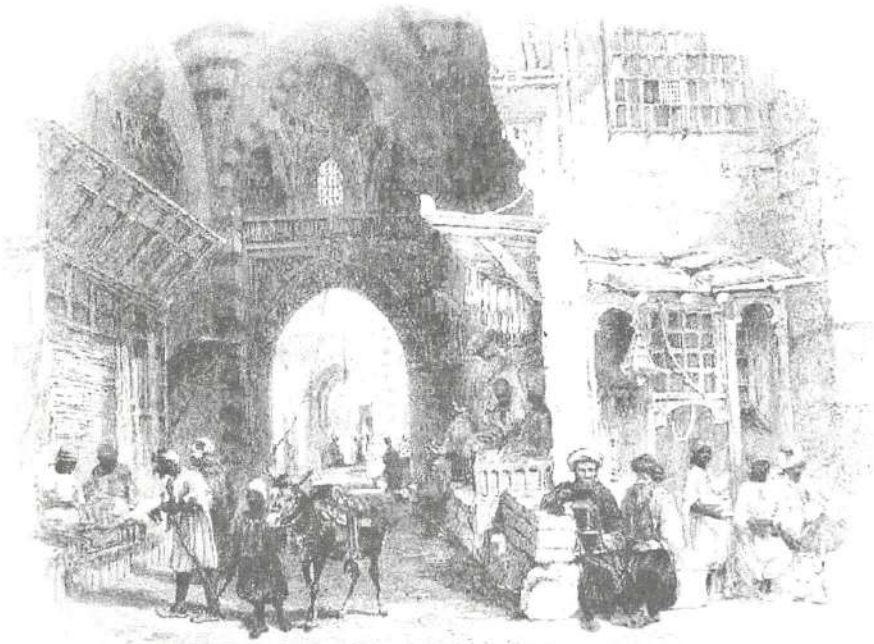
القاهرة ١٨٧٤

شكل رقم (٣٥)



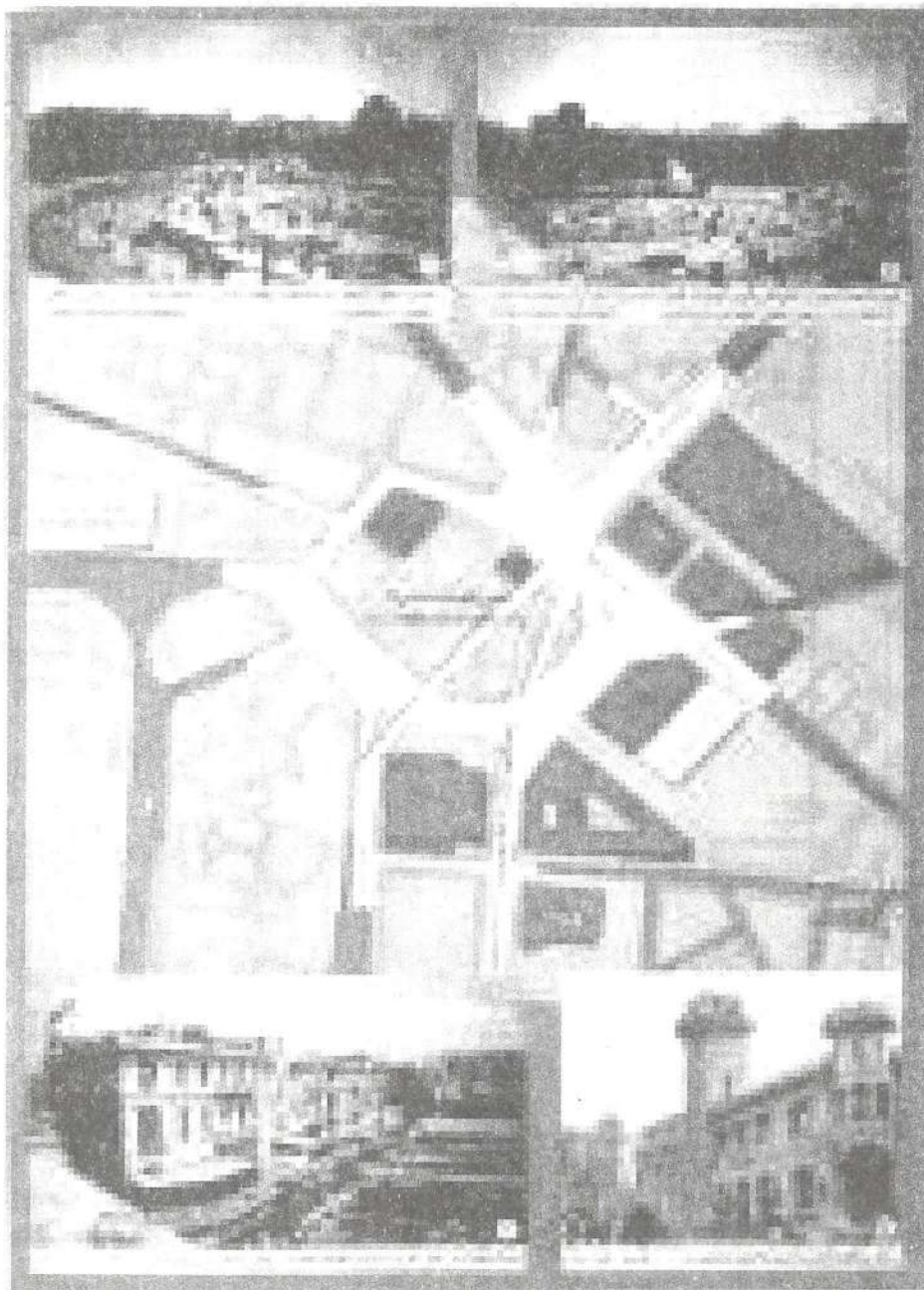
خريطة القاهرة

شكل رقم (٣٦)



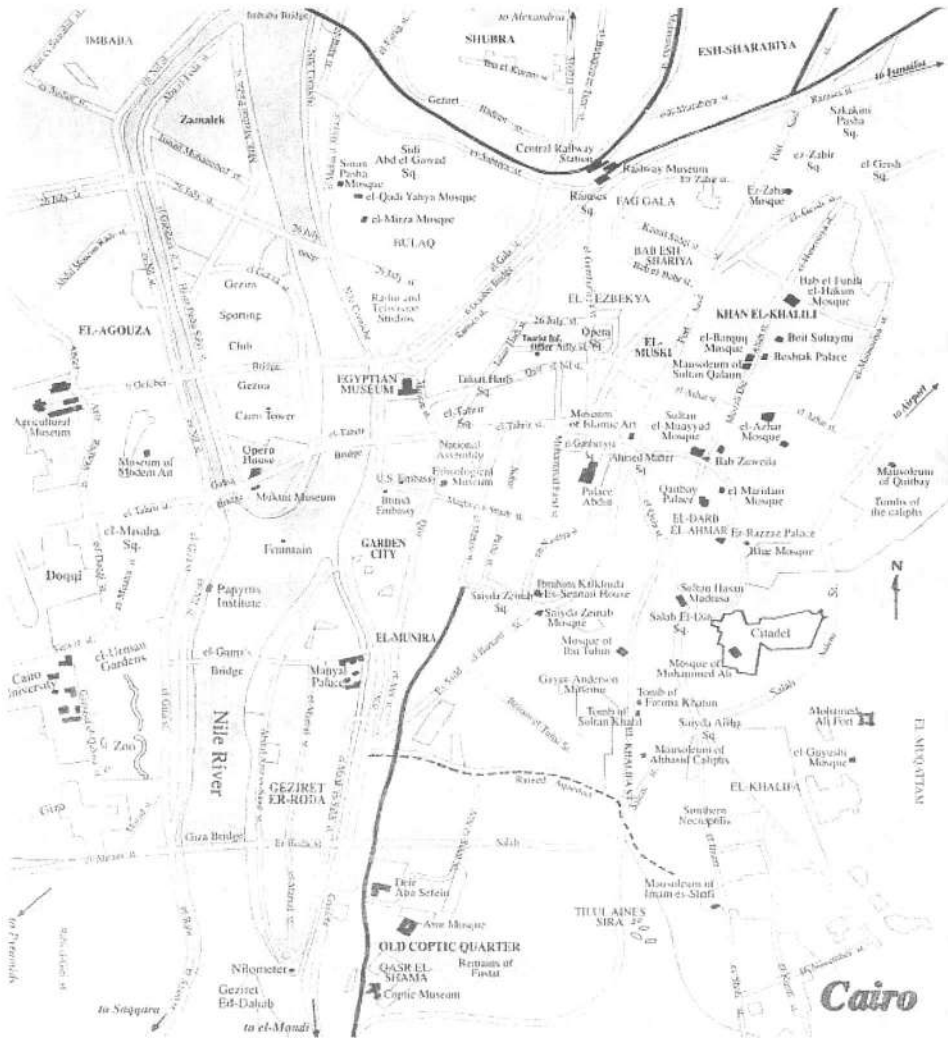
القاهرة في القرن ١٩

شكل رقم (٣٧)



القاهرة

شکل رقم (۳۸)



خريطة القاهرة

٢- الإسكندرية

ازداد عمران الإسكندرية في عهد إبراهيم باشا، وعباس باشا، ثم في عهد محمد سعيد باشا الذي كان يحب الإقامة بها ويؤثرها على عاصمة البلاد . وقد جدد بها مسجد البوصيرى بالميناء الشرقى، وبلغ عدد سكانها في عهده نحو مائة ألف من السكان^(١).

وازداد عمرانها في عهد إسماعيل بالرغم من أن إسماعيل لم يكن يحب الإسكندرية بعد أن قال له منجم بأنه سيلقى حتفه بها . لكنه اعتنى بها، وإذا السائح الذي زار تلك المدينة في أوائل سنة ١٨٦٣ يكاد لا يعرفها لدى عودته إليها في سنة ١٨٦٩ أو إذا عاد إليها من جديد سنة ١٨٧٨^(٢).

فشوارعها وسعت بالتدريج توسيعاً مستمراً وانتزعت منها أكوام الأقدار والأثرية ومهدت تمهيداً حسناً وبلطت بلاطاً جيداً أتى به من " تريستى " بمصاريف كبيرة وغرس بعضها على جانبيه بالأشجار الباسقة وكذلك الحال بالنسبة للحارات والأزقة ، وسعت بالمثل ونظفت وأبعد عنها مسببات الأمراض والأوبئة وفصلت أحيائها بعضها عن بعض بقواعد تنظيمية^(٣).

وأنشأ أحياء جديدة أهمها " حى العمال " بنى على الأرض الواقعة بجوار عامود الصواري وكانت ملكاً للمسئو برافيه فاشتراها إسماعيل منه ووهبها للحكومة^(٤).

(١) عبد الرحمن الراعى : عصر إسماعيل ، الجزء الثانى ، ص ٢٧ .

(٢) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية في مصر في النصف الثانى من القرن ١٩ - رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - ص ٣ .

(٣) إلياس الأيوبى : تاريخ مصر في عهد الخديوى إسماعيل باشا - المجلد الأول - ص ١٣٩ .

(٤) صالح رمضان : المرجع السابق ، ص ٣ .

وأصدر إسماعيل أوامره بفتح عدة شوارع جديدة أهمها " شارع إبراهيم " الممتد من مدرسة البنات على ترعة المحمودية وطوله ١٠٠٠ متر في عرض ٢٤ متر وجعل جانبيه طريقان للمشاة وترك وسطه للعربات والحيوانات، ثم شارع الجمرك، وشارع المحمودية ، وفتح ستة شوارع جديدة ممتدة بين سكة باب شرق وسكة العسكرية المارة حول سور المدينة وطول كل واحد منها ٦٠٠ متر.^(١)

ومن أهم المباني العامة التي قام إسماعيل بتخطيطها بورصة القطن وتخطيط ميدان محمد علي (ميدان المنشية حالياً) الذي يتوسطه تمثال محمد علي باشا.^(٢) ووضع التمثال على قاعدة من الرخام . وكان تمثالاً نحاسياً تجلى فيه محمد علي فارساً مهيباً يشرف على الساحة الفسيحة ويده الثابتة على خاصرته القوية تدل على أن النصر بات طوع بنانه.^(٣) وتكلف حوالى ٢٠٠٠٠٠٠ فرنك.^(٤)

ومن الأمور الهامة أيضاً التي تنسب إلى إسماعيل، إحياء قوة مصر الحربية، وتجديد الأسطول المصرى . فأعاد فتح دار الصناعة، وبدأت الحياة تدب فيها من جديد ونشطت في بناء السفن ، هذا بالإضافة إلى صيانة السفن، الحربية الأخرى المشتراه من الدول الأوروبية مثل شيرجهاد ومحمد علي والخروطوم ومصر المحروسة وغيرها، ورغم أن عدد الأسطول المصرى في عهد إسماعيل لم يزد عن ٢١ سفينة حربية، فقد لعب دوراً كبيراً في حملة كريت وفي حرب البلقان.^(٥)

وكان للمحافظة على الصحة العامة وتنظيم عمليات الذبح في إطار صحى وقانونى، فتم بناء السلخانة . وقد بلغت التكاليف في هذه الأمور حوالى ٤٦٠ ألف جنيه تقريباً.^(٦)

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية (عن طبعة بولاق - ج ٧) ص ٦٦ .

(٢) حسين كفاى : الخديوى إسماعيل ومعشوقته مصر _ ص ١٥٤

(٣) إلياس الأيوبى : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٤) على مبارك المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٥) محافظة الإسكندرية : تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور ، ص ٣٨١ .

(٦) حسين كفاى : المرجع السابق ، ص ٦٥٤ .

ونلاحظ أن امتداد العمران في الإسكندرية في هذه المرحلة قد اتخذ ثلاثة اتجاهات، هي الاتجاه الجنوبي والاتجاه الشرقي والاتجاه الغربي . أما في الشمال فكانت المدينة قد شغلت جزيرة فاروس القديمة عن آخرها تقريباً قبل سنة ١٨٥٥ . وكان أسبق الاتجاهات التي امتد إليها العمران خلال هذه المرحلة هو الاتجاه الجنوبي أى في منطقة كوم الشقافة وغربي كرموز وباب سدره ولم يصل العمران الكثيف جنوباً إلى ترعة المحمودية .

أما الاتجاه الغربي فلم يمتد العمران لمسافة كبيرة خلال هذه الفترة إذ لم يتعد غرباً حى القبارى والمفروزة، أى أنه لم يصل إلى حى الوردبان أما الاتجاه الشرقي أى تجاه الرمل، فإن الحد الشرقي للعمران كان يمثل خط يمتد من رأس السلسلة تقريباً نحو الجنوب ويسير مع ترعة الغرفة حتى خروجها من ترعة المحمودية . ومعنى هذا أن العمران لم يكن يتعدى حى الأزارطة وإن كانت المباني تتأخم مدافن الطوائف المسيحية المختلفة والإسرائيليين الموجودة بالشاطبي ولكن لا تتعداها إلى الشرق .^(١)

(١) محمد صبحى عبد الحكيم : مدينة الإسكندرية، ص ١٤٩، ١٥٠، ١٥١ .

شكل رقم (٣٩)



ميناء الإسكندرية سنة ١٨٧٢

تعد الإسكندرية أولى مدن القطر التي أدخلت نظام المجارى بها ففي سنة ١٨٧٨ مدت الشبكة الأولى من شبكات المجارى.^(١)

أما عن الإضاءة، فإن نمو المدينة وكثرة ما بها . من شوارع ودروب قد دفع المسؤولين على منح امتياز الإنارة بالمدينة وضواحيها إلى " شركة ليون " وشركاه سنة ١٨٦٥ . فأقامت لهذا الغرض وابور الغاز والكهرباء على ترعة المحمودية بحى كرموز لإمداد المدينة بكل ما تحتاج إليه من غاز الاستصباح والتيار الكهربائى.^(٢)

(١) محافظة الإسكندرية : المرجع السابق ، ص ٣٨٤ .

(٢) محافظة الإسكندرية : نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

ولما كانت حاجة سكان المدينة إلى الماء النقى لا تقل عن حاجتهم إلى الكهرباء فقد أنشئت شركة للقيام بهذا العمل في سنة ١٨٧٩ باسم " شركة مياه الإسكندرية ". فأخذت على عاتقها بناء وابور المياه بمنطقة باب شرق لتكرير المياه التي تؤخذ من ترعة المحمودية قبيل وصولها إلى محرم بك عن طريق ترعة الغرفة . وبعد إتمام عملية التكرير تدفع المياه إلى الخزان الموجود بأعلى مرتفع كوم الدكة.^(١)

وقد تنازلت شركة المياه عن حقوقها للحكومة المصرية نظير مبلغ ٥٣٦٠٧٧ جنيه.^(٢) وأنشأت بلدية للاعتناء بأمور التنظيم والصيانة والنظافة ، فأبطل الذبح داخل البيوت والحوانيت، وأبطل دفن الأموات في المدافن الخاصة بجوار المنازل وداخل المساجد، وأقيمت الوقايات الصحية على يد الإدارة الصحية المعروفة باسم " الانتداس سانيتير " فخفت وطأة الأمراض والأوبئة.^(٣)

سكك حديد الرمل

لا شك أن خطوط المواصلات هي شرايين الحياة بالنسبة لنمو المدن وامتداد العمران . فحي الرمل الذي يعتبر الآن من أعظم أحياء الإسكندرية من ناحية الأناقة والفخامة والتنظيم مدين إلى حد كبير إلى خط سكة حديد الرمل.^(٤) ففي ٦ أغسطس ١٨٦٠ أعلنت الحكومة المصرية امتيازاً لبريطاني بإنشاء خط حديدي يربط الإسكندرية بضاحية الرمل^(٥)، ويدعى السير " إدوارد سان جون فيرمان " . واحتفظت الحكومة لنفسها بحق سحب الامتياز منه في أى وقت تشاء على أن تقوم بدفع قيمة موجودات الخط المذكور . وفي سبتمبر ١٨٦٢ وضعت أول قضبان

(١) محافظة الإسكندرية : نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٢) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، ص ١٨٧ .

(٣) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٤) محافظة الإسكندرية : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ .

(٥) محمد صبحى عبد الحكيم : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

حديدية بجهة (مسلة كليوباترا) - محطة الرمل حالياً - وكان يعمل على الخط ١٢٠٠ عام ١٨٦٣ ، وفي ٨ يناير ١٨٦٣ افتتح الخط لنقل الجماهير بقطار واحد من الإسكندرية إلى جهة منزل الشيخ إسماعيل (محطة بولكلي حالياً) عن طريق جامع سيدى جابر، وكان القطار يتكون من عربة واحدة درجة أولى وعربتين درجة ثانية وعربة واحدة درجة ثالثة يجرها أربعة خيول.^(١)

وفي ٢٢ أغسطس ١٨٦٣ استعملت قاطرة بخارية في جر القطار بدلاً من الخيول.^(٢)

وقد بلغت الإيرادات في السنة الأولى ٤٤٢١ جنيهًا، والمصروفات ٣٠٣٣ جنيهًا.^(٣) وقد ساعد هذا الخط على عمران منطقة الرمل، فأنشأ بها الخديوى عدة قصور له ولذويه للإقامة في الصيف وإليه يرجع الفضل في جعلها مصيف القطر المصرى، وفتح شارعاً عظيماً يبدأ من باب رشيد وينتهى إلى حدود الملاحة بزمام المنذرة ماراً بالسراى الخديوية بالرمل، طوله من باب شرق إلى السراى ٤٠٠ متر × عرض ١٢ متر، ومن السراى إلى الملاحة ٤٠٠٠ متر × عرض ١٨ متر، ومد طريق من الملاحة إلى ترعة المحمودية.^(٤)

الحياة الثقافية والاجتماعية في الإسكندرية

من أهم المؤسسات الثقافية التى أنشئت بالإسكندرية " الجمعية الخيرية الإسلامية "، والتي أنشأها عبد الله النديم في سنة ١٨٧٨ بموازة سعد الله بك حلاوب من أغنياء المدينة . وكانت رسالتها تتلخص في وقف زحف انتشار النفوذ

(١) فاطمة علم الدين : تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩١٤ - ص ١٠٧ ، ص ١٠٨ .

(٢) محمد صبحى عبد الحكيم : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٣) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل - ج ٢ ، ص ٢٧ .

الأجنبي وتسلمه على مرافق البلاد وثرواتها عن طريق بث الوعي في نفوس النشء بالتعليم والثقيف، فقامت الجمعية بفتح مدارس الحرة لتعليم البنين والبنات.^(١)

ومن الناحية الفكرية فقد صدرت بالإسكندرية عدة جرائد ومجلات كان لها دور كبير في إيقاظ الوعي القومي . ومن هذه الجرائد جريدة كوكب الشرق التي أصدرها سليم الحموى في سنة ١٨٧٥ ولكنها لم تعمر طويلاً ، وفي سنة ١٨٧٥ أصدر سليم وبشارة تقلا جريدة الأهرام أسبوعية ثم أصبحت جريدة يومية وبعد فترة انتقلت إلى القاهرة . وفي سنة ١٨٧٨ أصدر سليم حموى جريدة أسبوعية أطلق عليها اسم جريدة الإسكندرية . ومن الجرائد الوطنية جريدة التجارة التي أصدرها أديب اسحق بمعاونة سليم نقاش في سنة ١٨٧٨ وإلى جانب هذه الجرائد ظهرت جرائد أخرى أوروبية مثل جريدة البروجيه ايجيپسيان وجريدة الريفورم.^(٢)

ومن ناحية أخرى، فقد أنشئت بالمدينة في عهد إسماعيل عدة مستشفيات أهمها المستشفى الأميري وبه من الأسرة ٣٥٠ سريراً، والمستشفى الأوروبي ويستوعب ١٥٠ سريراً، والمستشفى اليوناني ويضم ٦٠ سريراً، ومستشفى الدياكونيس ويحتوى على ٨٠ سريراً.^(٣)

كذلك أنشئت مصلحة البريد بالإسكندرية في سنة ١٨٦٥، وحديقة التزهة على ترعة المحمودية وجعلها متنزهاً عاماً، وبنى سراى الحقاينة التي أنشئت بها المحكمة المختلطة في سنة ١٨٧٦، وأصلح ميناء الإسكندرية.^(٤)

وزادت مساحة المدينة حتى أصبحت أربعة أضعاف ما كانت عليه في عهد سعيد، وزاد عدد سكانها حتى أصبح يزيد على ٢٤٠ ألف نسمة منها ٤٨ ألف

(١) محافظة الإسكندرية : المرجع السابق ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(٢) محافظة الإسكندرية : نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٣) محافظة الإسكندرية : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .

(٤) عبد الرحمن الرافعي : عصر إسماعيل - ج ٢ ، ص ٢٧ .

غربيون بعد أن كانوا سبعة آلاف فقط عند ممات محمد علي . وإزداد قدوم الأجانب عموماً إلى هذا النغر إزدیاداً ظاهراً^(١).

وهكذا نجد أن الاهتمام بمدينة الإسكندرية ومشروعاتها كان موازياً للاهتمام بالمشروعات وتطوير مدينة القاهرة . فتم تسوية شوارعها حتى ترعة المحمودية، والاهتمام بكنسها ورشها وتنظيفها أول بأول، وترتيب الخدمة اللازمة لهذه الأشغال وتنظيم الأنفار والعمال اللازمين لذلك^(٢).

وفي هذا الصدد يقول الأمر الكريم الصادر من الخديوي إلى محافظ الإسكندرية في ٢ فبراير ١٨٦٣ :-

" تسوية شوارع الإسكندرية لحد المحمودية والاهتمام بكنسها ورشها وتنظيفها وترتيب الخدمة اللازمة لهذه الأشغال وتنظيم الأنفار اللازم ترتيبها للطبعية علاوة على الموجود حسب الأمر الصادر بتاريخ ٦ شعبان سنة ١٢٧٩ وبمرة ١١ والحضور إلى الديوان الخديوي باستصحاب الترتيبين المذكورين "^(٣) في ١٢ شعبان سنة ١٢٧٩ - ٢ فبراير ١٨٦٣ (سجل ٥٢٥ معية تركي) .

(١) صالح رمضان : المرجع السابق ، ص ٣ ، يذكر الرافعي أن عدد السكان كان ٢١٢،٠٠٠ نسمة حسب كتاب إحصاء مصر سنة ١٨٧٣ - ص ٢٠ .

(٢) حسين كفاي : الخديوي إسماعيل ومعشوقته مصر ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية - ص ١٩٠ .

ثانياً : المدن الحديثة

١- بورسعيد

الموقع

كانت المنطقة التي نشأت فيها بورسعيد^(١) في شمال شرق الدلتا وقطاع علي البحر المتوسط قد عرفت قبل عدة قرون باسم مدينة الفرما . فهي تقع بين منطقة زراعية في الغرب وتواجه في الشرق الجهات الرعوية . ولهذا الموقع أثر في حياة هذا الجزء ، فإن الإقليم المحصور بين النيل من ناحية وبين البحرين من ناحية ثانية وبين الصحراء الشرقية من ناحية ثالثة ، فإن طبيعة الموقع قد سهلت أمر الاتصال بين البحرين وذلك بطريق النيل والبحيرات.^(٢) ويذكر أن بورسعيد قبل حفر القناة لم يكن يوجد بها أى نوع من الحياة فيما عدا نقاط محدودة صغيرة حيث يعيش بعض السكان علي صيد الأسماك .^(٣)

ونلاحظ أن الموقع الذي بدأت فيه بورسعيد لم يكن سوى شريط ساحلي يتراوح عرضه بين الأربعين والخمسين متراً من بحيرة المنزلة والبحر المتوسط . وكانت مياه البحر تغطيه أحياناً أثناء هبوب العواصف من ناحية ، ومن ناحية أخرى مياه بحيرة المنزلة . ويلاحظ أيضاً أن هذا الموقع يبعد عن مدينة يبلوز القديمة ، ولذلك يمكن القول أن نشأة بورسعيد لا يمكن اعتبارها امتداداً لهذه المدينة أو بديلاً لها.^(٤)

(١) بورسعيد : اسم مركب من كلمة بورت الفرنسية ومعناها ميناء وكلمة سعيد والي مصر ومعناها ميناء سعيد : زين العابدين شمس الدين - بورسعيد تاريخها وتطورها ١٨٥٩ - ١٨٨٢ ص ١٤ نقلاً عن الخطط التوقيفية لعلي مبارك ، ج ١٠ ، ص ٢٦ .

(٢) محمود جلال الدين الجمل : بورسعيد ملتقي الشرق بالغرب - ص ٣٦ .

(٣) حلمي أحمد شلبي : فصول في تاريخ تحديث المدن في مصر ١٨٢٠ - ١٩١٤ ص ٤٨

(٤) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، ص ١٩

وبالنظر إلى فرمان الامتياز الأول الذي منحه سعيد باشا لدلسبس في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤، خلا من تحديد موقع الميناء في مدخل القناة الشمالي، حيث ترك للشركة انشاء مدخلين كافيين للقناة أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب . وهكذا لم يظهر اسم بورسعيد بعد .

أما الامتياز الثاني الذي جاء عقب تقرير اللجنة الدولية في ٥ يناير ١٨٥٦ قد حدد في البند الثالث طرفي القناة حيث أن حفر القناة، يكون من ميناء السويس إلى البحر المتوسط عند نقطة من خليج الفرما يصير تحديدها في المشروعات النهائية التي يضعها مهندسو الشركة .^(١)

وقد قام دللسبس بتشكيل المجلس الأعلى لأعمال واشغال القناة في ٢٢ نوفمبر ١٨٥٨ . وذلك لدراسة المشروع بالتفصيل ودراسة خطة سير العمل وطريقة تحقيقه.^(٢) وقد تم توقيع عقدين لبداية المرحلة الأولى من الأعمال مع مسيوها ردون في ١٤، ٢٩ فبراير ١٨٥٩ . وكان دللسبس قد زار هذه المنطقة في أوائل عام ١٨٥٩ ومعه ما لا يزيد على عشرة اشخاص ومعهم المأكل والمشرب في هذه البقعة النائية والتي لم يكن بها سوي قرية الجميل على بعد ٩ كيلومترات، حيث اقتنع دللسبس أن هذا الموقع أصلح ما يكن لإنشاء مدينة جديدة تشرف على مدخل القناة .^(٣)

وهكذا لا يستطيع أحد أن ينكر قيمة وأهمية الموقع الجغرافي لبورسعيد على شاطئ ذلك البحر الذي تطل عليه دول ذات نشاط بحري بوجه خاص تشترك فرنسا في ساحلها الجنوبي بالمساهمة في نشاط هذا الخوض البحري، وإن موقع المدينة على هذا البحر له قيمته الخاصة . نظراً لسهولة تغذية وتموين المدينة الناشئة بالمواد اللازمة عن طريق البحر وخاصة وأن البقعة التي نشأت فيها بورسعيد لم تكن تتصل

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق، ص ١٩ .

(٢) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق، ص ٥٩ .

(٣) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق، ص ٢٠، ص ٢١ .

بالبلاد المصرية بمواصلات سهلة . وعلى هذا فمنذ مبدأ إنشاء القناة كان لهذا الموقع قيمته حيث أن المعدات اللازمة للحفر والأعمال المتعلقة بالمدينة يمكن أن ترد عن طريق البحر من فرنسا والخارج .

ميناء بورسعيد

كان اختيار المكان الذي نشأت عليه مدينة بورسعيد موقفاً للغاية، لأن هذا الجزء الذي بدأ منه حفر القناة يمكن أن يستخدم كميناء مؤقتة .^(١)

ولما كان الساحل الذي نشأت عليه بورسعيد والواقع بين البحر والبحيرة ليس مرتفعاً عن سطح البحر، فقد تطلب ذلك القيام بعمليات ردم كثيرة لكي تنشأ أرض المدينة على ارتفاع مناسب عن مستوى البحر .

وقد قامت الكراكات بنشاط عظيم حول حوض الميناء، فأزاحت من أعماق المياه كميات ضخمة من الرمال أضافتها إلى أراضي بورسعيد . ويلاحظ أن منشآت المدينة قد تركزت إلى جانب الميناء . مما ترتب علي امتداد بورسعيد نحو الجنوب حتي وصل إلى حوض الترسانة في عام ١٨٦٢، حيث توجد الورش التي تم إنشاؤها في أوائل ١٨٦٣ .^(٢)

كان قد تم تحديد موقع ميناء بورسعيد علي البحر المتوسط، والذي ظهرت أهميته من خلال الدور الذي لعبه الميناء منذ نشأته . إذ أن المهمات وأدوات التموين الخاصة بإنشائه وبأشغال القناة كانت ترد إليه عن طريق البحر . وبعد إقامة رصيف أوجيني وتقدم أعمال إنشاء الميناء كان لابد من إقامة حاجزين للأمواج أحدهما في الغرب والآخر في الشرق لحمايته من العوامل الطبيعية التي تهدده، ولكي تكون المياه هادئة، ولمواجهة الرمال والرواسب التي يدفعها التيار البحري والرياح لخطورة

(١) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، ص ٢٦

ذلك علي الميناء . ولم يكن من السهل إنشاء تلك الحواجز المائية التي تتطلب الكثير من الأحجار، وهي غير موجودة في البيئة المحلية . وقد أمكن التغلب علي هذه المشكلة باستيراد الأحجار من الإسكندرية . ولكن عدل عن ذلك واتجهت الشركة بعد ذلك إلى محاولة الاعتماد علي موارد البيئة المحلية . وذلك بعمل كتل مصنوعة من المواد المحلية . وقد قامت صناعة هذه الكتل في المدينة نفسها ومن هذه الناحية يظهر أثر المجهود البشري في التغلب علي الظروف الطبيعية والوصول إلى غرضه عن طريق إمكانياته الخاصة .^(١)

• الحاجز الغربي : ويعرف باسم رصيف دلسيس وينتهي إلي المياه التي يبلغ عمقها عشرة أمتار وكان مبدؤه من نقطة تقابل رصيف أوجيني (شارع أوجيني) برصيف فرنسوا جوزيف (شارع السلطان حسين) .^(٢)

وبدأ العمل في بناء الحاجز الغربي في تمام عام ١٨٥٩ . وكان الاهتمام منذ البداية بإنشاء مرسي مؤقت لاستقبال المواد التي كانت تصل عن طريق البحر إلي بورسعيد . وكان هذا المرسي المؤقت مكوناً الجزء الجنوبي للحاجز الغربي . وفي عام ١٨٦٠ تقرر إنشاء جزيرة علي امتداد الساحل بعرض خمسة أمتار وعمق نصف متر وطول نحو ستين متراً وتمتد في خط مستقيم نحو البحيرة لحماية السفن ولتفريغ السفن القادمة إلي بورسعيد، وقد بدأ العمل فيها في مارس ١٨٦٣، وانتهى في سبتمبر من نفس العام .

وقد استخدمت الحجارة من محاجر المكس بالإسكندرية في البداية كما سبق أن أشرنا حتى تم إسناد الأمر إلي إخوان "داسو" لتصنيع هذه الأحجار في سنة ١٨٦٣ . وفي سنة ١٨٦٤ بدأ في تأسيس مصنع الكتل الحجرية المصنوعة، وبدأ غمر هذه الكتل في الماء في أغسطس ١٨٦٥، واستمرت حتى ديسمبر ١٨٦٨ حيث انتهى

(١) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق ص ٧٨ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

العمل من الحاجز الغربى وقد بلغ طوله ٢.٥٠٠ متراً ويرتفع من سطح البحر بمقدار مترين.^(١)

• الحاجز الشرقى : بدأ العمل فيه فى عام ١٨٦٦ وانتهى فى يناير ١٨٦٨ ويبلغ طوله ألف وتسعمائة متر وارتفاعه متر واحد عن سطح الماء.^(٢) وقد استخدم فى بناء الحاجز الكتل التى تم تصنيعها فى بورسعيد وذلك لعمق ٣ أمتار وعلى بعد ٢٧٠ متراً من بدايته.^(٣)

ونلاحظ أن الحاجز الشرقى أقل طولاً من الغربى، وذلك لأن مصدر الرواسب كان من الغرب وكانت المسافة بين الحاجزين ٧٠٠ متر، وتزداد كلما اتجهنا إلى الجنوب، ومن ناحية أخرى فإن الأعمال الخاصة بإنشاء الميناء لا تقتصر على عمليات الحفر ولا على إنشاء الحاجزين فحسب، فهناك منشآت أخرى لابد من إنشائها حتى يتيسر تحقيق الغرض النهائى للشغل فقد أنشئ فى أول الأمر ممر مائى ضيق بين منشآت الثغر وبحيرة المنزلة . وقد حفر هذا الممر المائى على طول الساحل الغربى للبحيرة وقد أصبح هذا الممر مدخلاً للشغل.^(٤)

وقد أقامت شركة القناة أحواض الميناء الداخلية لشحن وتفريغ السفن وهى حوض التجارة وحوض الترسانة وحوض شريف وملحق به مبنى ضخم . وفى ٥ أكتوبر ١٨٦٦ كانت قناة الميناء الأمامية قد بلغت أعماقها ٨ أمتار، وكذلك عمقت الأحواض فى الميناء . وفى سنة ١٨٧٠ كان بميناء بورسعيد ثلاثة أحواض : فى الشاطئ الغربى حيث خصص حوض التجارة فى الشمال للمراكب المحلية والرسو الصغير . حوض الترسانة فى الجنوب فقد خصص لأجهزة شركة القناة أمام الحوض

(١) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق، ص ٨٠ ، زين العابدين شمس الدين المرجع السابق أيضا ص ٢٨ ، ٢٩ .

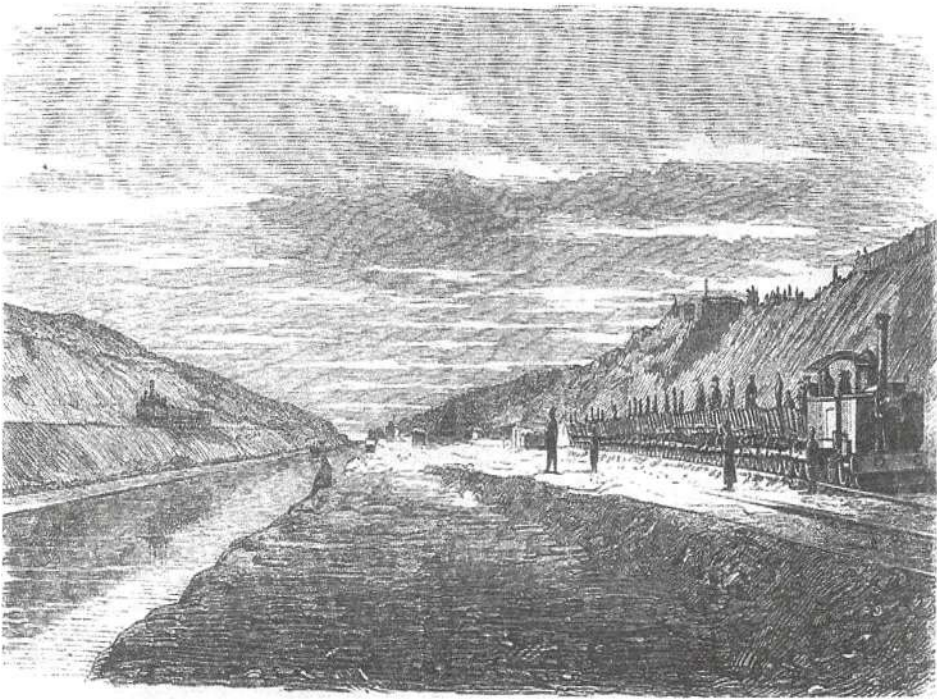
(٢) زين العابدين شمس الدين . المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٣) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق ص ٨١ نقلاً عن op.cit Voisin ، T.٦ ، ١٨٥ .

(٤) محمود جلال الدين الجمل : نفس المرجع ، ص ٨١ ، ص ٨٢ .

الآخر قد خصص لرسو السفن الكبرى وهى العزيزية واللوية النمساوية والمساجري امبريال الفرنسية والشركة الروسية للملاحة والتجارة وشركة مارفر فرنسية وأولاده من مارسيليا وكان ذلك فى العام الثانى لافتتاح القناة.^(١)

شكل رقم (٤٠)



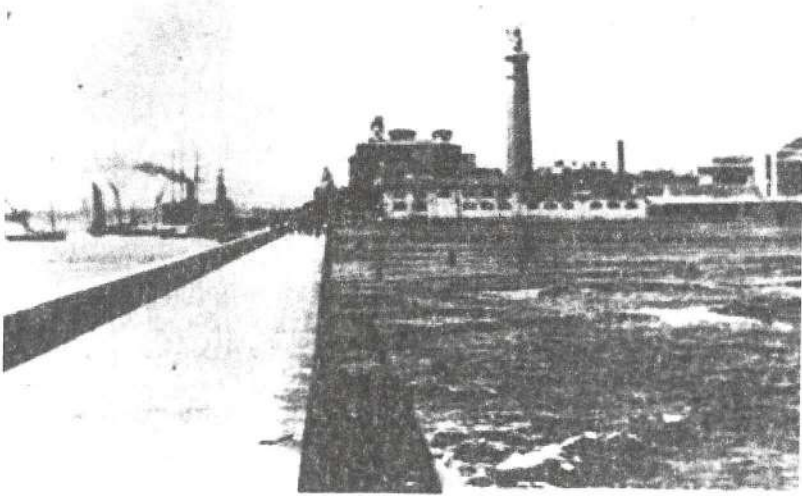
ميناء بورسعيد

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، ص٢٩ ، نقلا عن : Paul, Remond ، op. cit ، p٦٩

بناء الفئار

كان وجود الفئار أمراً هاماً لحياة الثغر ، فقد تقرر إنشاؤه منذ عام ١٨٥٩ . وكان الميناء قد اضيئ بواسطة فئار مؤقت من الخشب على الساحل وكان يضيئ لمسافة عشرة أميال .^(١) وكان هذا الفئار علي ساحل يبعد قليلاً عن الحاجز الغربي وكان مبنياً من هيكل خشبي مرتفع وكان يضيئ بالغرض المطلوب منه في بادئ الأمر . ولكن اختلف الحال بعد اتمام بناء الحاجز الغربي الذي بلغ ارتفاعه ٢.٥٠٠ متر فلم تعد هذه الإنارة كافية . ولذلك فقد أقيم فئار جديد علي الحاجز الغربي ، وتم إنشاؤه في مارس ١٨٧٠ ، وقد بني من الخرسانة وكان ذا لون رمادي ، كما أقيم عند الحاجز الشرقي فانوس صغير لإضاءة مدخل الميناء ليلاً وكان الفئار يضاء بغاز الاستصباح ويضيئ لمسافة عشرين ميلاً .^(٢)

شكل رقم (٤١)



فئار بورسعيد

(١) محمود جلال الدين : المرجع السابق ، ص ٨٣ ، زين العابدين شمس الدين المرجع السابق ص ٢٩

(٢) زين العابدين شمس الدين : بورسعيد تاريخها وتطورها ، ص ٢٩ ، ص ٣٠ .

شوارع بورسعيد :

يلاحظ من البداية أن شركة القناة قد اهتمت بالعناية بتنظيم بورسعيد، وأن تقوم المباني والمساكن والمحلات وحتى العشش في قرية العرب على أساس من التخطيط والتنظيم بحيث لا تخرج أى منها عن خطوط التنظيم التي تم وضعها على خرائط خاصة بذلك، وكانت تتدخل لدى المحافظة بإزالة العشش التي يقيمها الأهالي إذا ما كانت خارجة عن خطوط التنظيم.^(١)

وكانت الشركة مسئولة عن شوارع بورسعيد بحيث تقوم بتحصيل ستة قروش عن كل منزل في المدينة تحته مطعم، وخسة عن كل دكان، وقرشين ونصف قرش عن كل عشة بقرية العرب في نظير قيامها بهذا العمل، بالإضافة إلى ما كانت تقوم بتحصيله من يرغب في البناء نظير قيامها بردم أراضي بورسعيد لإعدادها للبناء .

ومنعاً لأي خروج عن حدود التنظيم، فقد قامت الشركة بالاشتراك مع المحافظة بوضع أوتاد بجميع حارات بورسعيد لمراعاتها عند البناء . وقد أعيد تنظيم قرية العرب ببورسعيد في عام ١٨٦٩ بعد الحريق الهائل الذي وقع بها للشروع في بنائها وعمارها حسب خطوط التنظيم التي أعدتها الشركة.^(٢)

وقد اتصفت شوارع بورسعيد بأنها كانت متوازية ومتقاطعة مع بعضها . كما اتصفت بالاتساع عن مثيلاتها بمدن القناة . وشوارع بورسعيد وطرقها الرئيسية تخرج من رصيف أوجيني الذي يحد مدينة بورسعيد من الشمال، وهى شوارع موازية لمحور القناة البحرية، وهى ثلاثة شوارع تحمل أسماء أجنبية فحمل الأول اسم كانبيير " Cannebiere " وأطلق عليه الأهالي اسم ميدان الميناء، والثاني اسم " Scierie " منشر خشب ويرجع تسميته بهذا الاسم إلى وجود مصنع قديم في

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : نفس المرجع ، ص ٣١ .

هذا المكان ويخترق هذا الشارع ميدان دلسبس وهو النقطة المركزية للمدينة ويمتد حتى الورش.^(١)

أما الاسم الثالث فهو " الأرسنال Arsenal " ومعناها الترسانة . وهو موازى للشارعين السابقين بنفس الطول والعرض، كما وجدت شوارع أخرى رئيسية عديدة أقل أهمية يزيد عرضها عن خمسة عشر مترا وتخترق المدينة بنفس الاتجاه من الشمال إلى الجنوب .

ويعتقد أن إطلاق الأسماء الأجنبية على الشوارع ببورسعيد وكذلك الميادين كان بمبادرة من شركة القناة للقيام بها وحدها دون مشاركة الإدارة المصرية . وكان دلسبس يقيم احتفالات خاصة بهذه المناسبات، وقد سمح له الخديوى بذلك، وأمر محافظ بورسعيد بعدم الاعتراض على ذلك، وأن يعين مندوباً من المحافظة ليثبت اللوحات الخاصة بهذه الأسماء . وجدير بالذكر أن الخديوى إسماعيل رفض إطلاق اسمه على ميدان دلسبس - كرغبة دلسبس نفسه - وأمر باستمرار اسم الميدان على ما كان عليه . وقد شارك الجنود في هذه الاحتفالات بعزف الموسيقى وإطلاق مدفعية سفيته " سير الجهاد " .^(٢)

ويمكن القول أن مدينة بورسعيد كان لها شخصيتها المتفردة ومظهرها الفريد، بفضل تخطيطها المنظم الذى كان على نسق المدن الأوروبية وبخاصة الفرنسية، وظهور المباني الضخمة ذات الأسقف المائلة والشرفات الأنيقة الساحرة المريحة والشائقة . وقد أضيف إلي جمال بورسعيد وبهجتها وتحضرها إنارتها بالغاز لتحل محل الفوانيس التى كانت تنير شوارع وميادين المدينة .^(٣)

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ص ٣٣

(٢) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ص ٣٥ ، نقلا عن الأرشيف الأوروبي محافظ قناة السويس .

(٣) زين العابدين شمس الدين ، المرجع السابق ، ص ٣٥

وفي هذا الصدد فقد عقد مسيو " مونورى " مع الحكومة المصرية عقداً يتعهد فيه بإنارة المدينة بالغاز، ورخصت له الحكومة بقطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ متر لإقامة هذا المشروع، وتقرر أن يبدأ العمل في ٢٣ إبريل ١٨٧٥. ولكن المشروع لم يبدأ بالفعل إلا في ٢٧ أكتوبر ١٨٧٦ حيث تم إنارة المدينة بواسطة ٢٠١ فانوس في الميادين والشوارع الرئيسية بها، كما تم إنارة ديوان المحافظة وبعض الأماكن الهامة التابعة للحكومة مثل الجمرك فيما خلا قرية العرب .

ويلاحظ أن الطريقة التي تمت بها إنارة مدينة بورسعيد تختلف كثيراً عن مثيلاتها في كل من مدينتي القاهرة والأسكندرية . وذلك لأن المبنى ببورسعيد يختلف عن مثيلاتها بالقاهرة والأسكندرية حيث أن مبانيها خفيفة فأكثر مبانيها من الأخشاب وأقلها من مواد البناء، لذا تعذر تركيب الأعمدة والكوابيل على حوائط هذه المباني أو على أعمدة حديدية. ولذلك أقامت شركة الغاز أعمدة خشبية في الشوارع الكبرى بمدينة بورسعيد .^(١)

مياه الشرب :

عندما بدأت أعمال حفر قناة السويس في بورسعيد كانت مشكلة الامداد بالمياه العذبة إحدى المشكلات التي واجهة القائمين على المشروع .^(٢) الأمر الذي تسبب في موت بعض العمال .^(٣) ففي البداية اتجهت الشركة إلى جلب الماء لشرب العمال من دمياط في مراكب عبر بحيرة المتزلة على ظهور الجمال والحمير، كما كان يتم إحضار الماء أيضاً من الأسكندرية عن طريق مركب مجهز لهذا الغرض وكانت تحصل بذلك على نحو ٨٠٠٠ لتر من الماء .^(٤) وفي سنة ١٨٥٩ مع بدأ العمل استحضرت الشركة

(١) زين العابدين شمس الدين ، نفس المرجع ، ص ١٢٣ .

(٢) زين العابدين شمس الدين ، المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٣) محمود جلال الدين الجمل : بورسعيد ملتقى الشرق بالغرب ، ص ١١٠

(٤) زين العابدين شمس الدين : نفس المرجع ، ص ٣٩

جهازىي تقطير كان فى استطاعتها ان ينتجا ٥٠٠٠ لتر يومياً من المياه العذبة أحدهما بدأ العمل يونيو والآخر فى يوليو، وهنا يظهر أن فترة الإنشاء الأولى ما بين إبريل حتى يونيو كان الاعتماد فيها قاصراً على الموارد المائية التى يحضرها الأهالي، وهذا المورد من الماء لم يشفع فى بعض الفترات فى سد الحاجة فكان الحل فى جهازىي التقطير^(١).

ولكن مع زيادة عدد المشتغلين تزايدت الحاجة إلى الماء العذب، فقد تم إنشاء جهاز تقطير ثالث وصل إلى بورسعيد سنة ١٨٦٠، وبدأ العمل فى السنة التالية . فكان فى استطاعة الأجهزة الثلاثة إنتاج ٩٠٠٠ لتر من الماء يومياً . وفى سنة ١٨٦١ عقدت الشركة عقداً مع مصطفى عنانى بك أحد كبار المصريين المشتغلين بصيد الأسماك فى منطقة بحيرة المتزلة لإرسال كميات من الماء العذب لا تقل عن ستة أمتار مكعبة من الماء يومياً فى براميل قدمتها له الشركة مقابل ستة فرنكات للمتر المكعب . وكان يتم توزيعها على المنازل بواسطة السقاين وفى يونيو ١٨٦١ توصلت الشركة إلى اتفاق مشابه مع أحد ملاك السفن فى بحيرة المتزلة ويسمى محمد الجيار .

وفى سنة ١٨٦٤ وصلت المياه من الاسماعيلية عن طريق امبوية (ماسورة) . وكانت الماسورة الممتدة من الإسماعيلية حتى بورسعيد لا تكفى . فتم إنشاء أخرى فى يوليو ١٨٦٦، وكانت فى مبدأ إنشاءها تصل إلى الكاب ثم امتدت بعد ذلك إلى بورسعيد^(٢).

وكان يوجد ماسورة فى كل شارع لبورسعيد يختلف قطرها حسب أهمية الشارع والأغراض المخصصة لها، وتوجد حنفيات عامة موزعة فى الميادين وهى مفتوحة ليلاً ونهاراً .

(١) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق، ص ١٠١ .

(٢) محمود جلال الدين المرجع السابق، ص ١٠٣ .

وفي عام ١٨٧٥ كان يوجد ببورسعيد ستة حنفيات نصفها بمدينة بورسعيد، اثنتان بقرية العرب والسادسة ببر الإنجليز بالإضافة إلى سبع حنفيات أخرى أربعة منها بالمدينة واثنتان بالقرية والسابعة ببر الإنجليز.^(١)

وفي عام ١٨٦٩ أنشأت شركة القناة شركة لتقسيم المياه ببورسعيد . وكان على الشركة توفير المياه اللازمة إلى المحافظة وفروعها . وفي عام ١٨٧١ تم توصيل الماء العذب إلى ديوان المحافظة مقابل سداد قيمة تكاليف توصيلها إلى مصلحة المياه، بالإضافة إلى دفع ثمن الماء وذلك بواقع نصف الثمن عن كل ما يتم استهلاكه من ماء في فروع المحافظة المختلفة مثل المستشفى والصحة والجمرك ومكتب التلغراف وحديقة المنشية والسفن الحربية الموجودة ببورسعيد . وكان ديوان المرور يقوم بسداد تكاليف المياه التي يستهلكها مكتب التلغراف ببورسعيد.^(٢)

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بورسعيد

تميز الأجانب المقيمون في بورسعيد بإحتفالهم بجميع المناسبات، وإقامة الاحتفالات والتمتع بأوقات الراحة وسماع الموسيقى والرقص وخاصة في أعيادهم، وكانت تقام حفلات (بالو) كما كانت الشركة تقيم الاحتفالات عند إنجاز مراحل هامة من مراحل العمل بمشروع القناة، منها الاحتفال بإلقاء آخر حجر في الحاجز الغربي لميناء بورسعيد .

وعندما ظهر الخديوي إسماعيل بورسعيد استقبله الأجانب أحسن استقبال . فأقاموا الزينات الفخمة، وعند حلول المساء أضأوا المدينة بالمصابيح الساطعة، وأطلقوا الصواريخ النارية، وأقامت شركة القناة حفلاً (بالو) رائعاً.^(٣)

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : نفس المرجع ، ص ٤٣ .

(٣) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، ص ٧٢ نقلا عن الوقائع المصرية عدد ٢٨٢ في ١٩

مارس ١٨٦٩ .

أما المناسبات الدينية فكانوا يحتفلون بها في كنائسهم ويطلقون النار في أعيادهم .
أما بالنسبة للمصريين فكانوا يقيموا الحفلات الدينية في المناسبات الدينية ،
وكانت تتلى فيها آيات القرآن والأذكار ودلائل الخير . وقد أمر الخديوى إسماعيل
بإقامة احتفال للدعاء ببورسعيد في غرة شهر رجب ١٢٨٥ هـ على نفقة الحكومة .^(١)

ولما كان سكان بورسعيد يحسون بشئ من الرتابة والملل لأن هذه المدينة نشأت
على بقعة من الصحراء ، وقد تغلبوا على ذلك بإنشاء الحدائق ، وكان من أكبر الحدائق
التي وجدت في بورسعيد حديقة المنشية وكانت تتوسط مدينة بورسعيد وقد حظيت
باهتمام كبير من المحافظة ، وقدج تم شراء عدد من أشجار الفواكه والأزهار وغيرها
من الأشجار من محافظة الإسماعيلية ومن تفتيش الشرقية مثل الرمان والبرتقال
واليوسفي والتوت والزيتون والعنب والجميز واللبخ والورد البلدى . وفى سنة
١٨٧٣ قامت الشركة بإصلاح فسقيتها وطرقها وإقامة كشك لعزف الموسيقى بها
مرتين أسبوعيا ، كما جري بها توسيع آخر في ١٨٧٥ بإضافة مساحة أخرى إليها
وأضيئت بالفوانيس التى أحضرت إليها من الأسكندرية ووضع بها الدكك الخشبية
لراحة روادها .

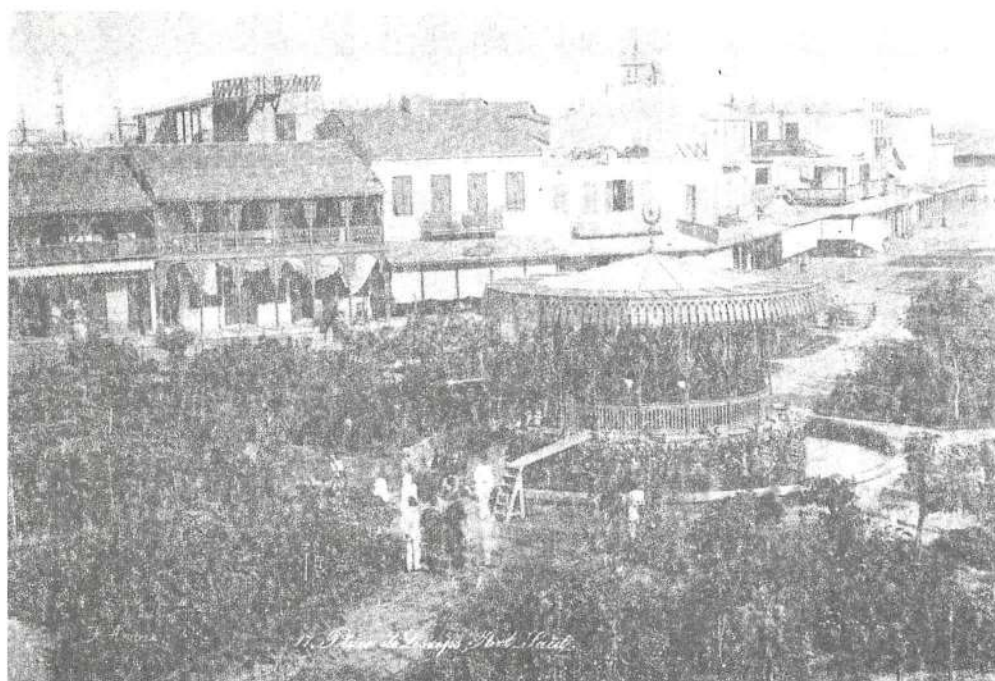
وظهرت الفنادق في بورسعيد في وقت مبكر من تاريخ المدينة . ففى أوائل عام
١٨٦٥ كان يوجد بها فندق " مدام بانيو " وكان فندق ضخم يضم العديد من المباني
السكنية ، وأقام أحد الفرنسيين فندق آخر أطلق عليه اسم " اللوفر " ، كما أقام أحد
الهولنديين فندقا آخر بالمدينة . وظهرت عدة فنادق أخرى فيما بعد وكانت هذه
الفنادق فخمة ومريحة ونظيفة مما يدل على مدى العناية بها وكان أصحابها يبعثون
بالمترجمين والمندوبين عند وصول السفن لجذب النزلاء إليها .

(١) زين العابدين شمس الدين : نفس المرجع ، ص ٩٣

واختتم حديثي عن بورسعيد بما قاله (بيرتون) أحد الرحالة البريطانيين الذي عبر عن سعادته لوصوله إليها وهي من وجهة نظره " مدينة جميلة صحية، موقعها ممتاز على البحر وتنقسم المدينة إلى قسمين، القسم الأوربي يتسم بالجمال به عديد من الأشجار والورود، وتم بناء كشك موسيقي يعزف أجمال الألحان في المساء وقد شيدت فيه المحلات والفنادق أشهرها فندق اللوفر، كما يوجد بالمدينة كنيسة يونانية وأخرى فرنسية وتتسم منازل الأوروبيين بالفخامة والأناقة تشبه منازل سويسرا وهي مصنوعة من الأخشاب أما الحي العربي فيختلف كثيرا فمنازله متواضعة يبدو عليها علامات الفقر وشوارعه ضيقه " ^(١).

(١) الهام محمد علي زهني : مصر في كتابات الرحالة البريطانيين في القرن التاسع عشر ، ص ١٣١

شكل رقم (٤٢)



بور سعيد

٢- الإسماعيلية

النشأة والتسمية

تم الاحتفال بوضع حجر الأساس لمدينة التمساح (الإسماعيلية) في ٢٧ أبريل ١٨٦٢ في عهد محمد سعيد باشا . لتكون نقطة من نقاط حفر قناة السويس، ولتصبح مركز لأعمال شركة القناة، ومقر إقامة مهندس الشركة المقيم " سيد فوزان بك " . فقام المهندس الفرنسي " جومار " بوضع تخطيط المدينة الذي يخدم في المقام الأول مرفق القناة . وعلى ضوء هذا التخطيط تم تقسيم المنطقة إلى قسمين أحدهما خاص بالأجانب يسمى " حى الإفرنج "، والثاني خاص بالمصريين أطلق عليه " حى العرب "، ونظراً للموقع الفريد الذي تتميز به الإسماعيلية فقد جاء تصميمها على شكل شريط ممتد على الطرف الشمالى من بحيرة التمساح لتصبح واجهة المدينة على هذا الأساس عكس اتجاه الرياح وعلى أن تكون متعامدة مع مسار الشمس، الأمر الذى جعلها مشتهرة للأجانب ^(١).

أما بالنسبة للتسمية، فبعد أن تولى إسماعيل باشا حكم مصر، رأت شركة القناة أن تستغل هذه الفرصة وتطلق اسمه على هذه المدينة الجديدة اعتقاداً منها أن هذا العمل سوف يساعد على خلق جو ودى بينها وبين إسماعيل فيسير على سياسة سلفه في تأييد المشروع . وفى هذا الصدد أقامت الشركة في ٤ مارس ١٨٦٣ حفلاً كبيراً وألقى دلسبس خطاباً جاء فيه :-

" إن اسم سعيد قد أطلق على مدينة بورسعيد عند مدخل القناة، ألا يجدر بنا أن نطلق اسم الوالى الحالى على مدينة التمساح اعترافاً بفضلته " ^(٢).

(١) محافظة الإسماعيلية : صفحات مضيئة من تاريخ الإسماعيلية ، ص ١٥ .

(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى الديمقراطى بالإسماعيلية : الإسماعيلية بوابة مصر الشرقية ،

وحينما قدم إسماعيل من رحلة الأستانة، طلب إليه دلسيس أن يقر إطلاق اسم الإسماعيلية على مدينة التماسح . وقال له " لقد كرست بورسعيد لتخليد اسم الأمير الذى بدأ إنشاء القناة والإسماعيلية سوف تخلد اسم الأمير الذى يتابع ويتم مشروعنا الكبير، ولما كان هذا الطلب موافقاً لرغبة إسماعيل فقد وافق بالفعل على إطلاق اسمه على مدينة التماسح .^(١)

وحرصاً من إسماعيل على سيادة المنطقة قام إسماعيل بإنشاء الإدارة المصرية فى منطقة قناة السويس فى مارس ١٨٦٣ (الإسماعيلية وبورسعيد) . حين أصدر أمراً بإنشاء محافظة القناة ومقرها مدينة الإسماعيلية، وقام بتعيين إسماعيل باشا حدى محافظاً لها .^(٢)

لاشك أن إسماعيل تفنن فى جعل الإسماعيلية تضارع المدن الحديثة فى التنسيق والتنظيم إذ أنها كانت ممتلئة بحدائقها العامة وسط المدينة والخضرة منتشرة بها دائماً أبداً، ونافورات المياه تعطيها منظراً وكأنها قطعة من أوروبا نقلت إلى داخل مصر .^(٣)

وكان من الطبيعى أن يكون للخديوى إسماعيل مقراً فى الإسماعيلية . ولما كانت مرتفعات تلال الجسر الواقعة إلى الشمال الشرقى من مدينة الإسماعيلية هى أعلى نقطة فى هذه الجهة، فقد أقيمت فوقها مقصورة للخديوى إسماعيل وكانت تشرف على بحيرة التماسح . وقد استبدلت هذه المقصورة بعد ذلك ببناء سراى للخديوى إسماعيل تلك السراى التى استقبل فيها ملوك ورؤساء وأمراء أوروبا فى إحتفالات افتتاح قناة السويس .^(٤)

(١) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، ص ٢٧٩ .

(٣) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى عهد الخديوى إسماعيل - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ص ٦ .

(٤) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، ص ٣٠٣ .

ومضى الناس في بناء العشش في حى العرب، ومضت الشركة في إقامة الفيلات للأجانب وكبار المصريين في الإسماعيلية . كما وجد شاليه فرديناد دلسبس وآخرون والتي تحيط بها الحدائق المليئة بالأزهار والفواكه، وحوانيتها الصغيرة المليئة بالبضائع الباريسية أعطتها طابع المدن الصغيرة التي تحيط بباريس . يضاف إلى ذلك انتشار اللغة الفرنسية على الشفاه العربية بالإضافة إلى الأجانب الذين يكونون معظم سكانها ويضيفون على المدينة طابعاً أوروبياً^(١).

وكما أشرنا كانت الإسماعيلية مركزاً لإدارة قناة السويس . ويرجع ذلك إلى قرب الإسماعيلية من الأقاليم المصرية والقاهرة وربطها بالقاهرة بخط حديدي مما جعل الاتصال بينها وبين الإسماعيلية ومدن الدلتا ميسوراً . وكذلك توافر الماء العذب والغذاء بالإسماعيلية جعل أرضها صالحة لزراعة أنواع عديدة من الخضراوات والفواكه^(٢).

ومن أهم الأحداث البارزة في تاريخ الإسماعيلية هو إنشاء خط السكة الحديد من الزقازيق إلى الإسماعيلية في سنة ١٨٦٨ . وكان الهدف من إنشاء هذا الخط هو أنه يساعد على تقليل طول الرحلة من القاهرة إلى الإسماعيلية والتي كانت تقطع من قبل بواسطة النقل النهري وقبل ذلك بالسير في الصحراء، وكان يهدف أيضاً إلى خدمة الأهالي، وتسهيل عمليات النقل، واستخدامه أثناء تنفيذ المشاريع العامة في منطقة الإسماعيلية في نقل العمال بالمجان^(٣).

هكذا ترتب على إنشاء هذا الخط زيادة العمران في منطقة الإسماعيلية . وخدمة الزراعة والتجارة في الأجزاء التي كان يمر بها الخط . وأدرك الأهالي أهمية هذا الخط في تسهيل نقل مزارعتهم وتجارتهم وخلق نشاطات مختلفة بها خلقه من فرص عمل جديدة .

(١) صالح رمضان محمود : المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : بورسعيد تاريخها وتطورها منذ نشأتها ، ص ٤٩ .

(٣) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطني : نفس المرجع ، ص ٣١٠ .

كذلك اهتمت الحكومة فى عهد إسماعيل باشا بأرصفتة المحطات فى هذا الخط وغيره من أجل سهولة استخدام الركاب ونقل البضائع . وكان الاهتمام بنظافة محطات هذا الخط وصيانتة وإجراء الترميمات فيه واضحاً حتى تبدو صورتها أمام الزائرين كمثيلاتها فى الدول الأوروبية، كما تم الاهتمام بإنارة تلك المحطات .^(١) واهتم أيضاً بإنشاء المظلات والسقائف التى تحمى الركاب والبضائع من التأثيرات الجوية كحرارة الصيف أو أمطار الشتاء .

كانت محطة السكة الحديد فى عصر إسماعيل من أطرف المباني فى مدينة الإسمايلية . فقد كان من حول المبنى من جهاته الأربعة مظلة ذات أعمدة حديدية مثبتة فى قواعد من المباني . ولم يكن حول شريط السكة الحديد أى سور أو خلفه، وعلى هذا الأساس كانت بائعات البرتقال وراكبى الحمير يشغلون الشريط غير عابئين بزمارات القطار وهى ترسل صوتها القوى فى أرجاء المحطة بل فى المدينة حتى يصبح القطار على بعد أمتار فيفرون .^(٢)

وبانتهاء عام ١٨٦٩ كان بمدينة الإسمايلية خمسة أو ستة مقاهى ومدرسة وكنيسة ومسجد ومكتب للتلغراف . وبعد انتهاء أعمال الحفر فى القناة وبمقتضى اتفاق أبريل ١٨٦٩ آلت إدارة مكاتب البريد والتلغراف التابعة للشركة إلى الحكومة المصرية .

أضحت الإسمايلية بعد افتتاح قناة السويس مدينة حدائق هائلة تغص بالفيلات الضخمة ينمو بجوارها شجر الكافور الضارب إلى السماء وشجر الجميز الضخم وشجر المانوليا زكى الرائحة وشجرة الميموذة الأنيقة وشجر النخيل البديع الذى يصل إرتفاعه إلى عشرين متراً والأشجار المجلوبة من جزيرة مدغشقر التى ينعكس

(١) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : المرجع السابق، ص ٣١١ .

(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع، ص ٣١٢ .

ظلها على بحيرة التمساح وأشجار الفواكه الأوروبية وأشجار المانجو والجوافة وشجيرات البن الأفريقية.^(١)

ومن الملاحظ ان محطة السكة الحديد بالإسماعيلية جعلت المدينة أشبه بالمستطيل. عرف القسم الغربى منه بالحى الغربى مشتملاً داخله على ما عرف بالمربعات وهى مربعات سكنيه متساوية وأحياناً مستطيلات متوازية قائمة الزوايا . أما القسم الشرقى - الأفرنجى - فقد تميز بمبانيه الفاخرة من الفيلات والشوارع العريقة الظليلة التى أعطت طابع مدن الحدائق Gron City التى شاعت فى فرنسا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

وعند الخروج من محطة سكة حديد الإسماعيلية فى ذلك الوقت، كان أمام المحطة شارع متسع منظم سُمى شارع الإمبراطورة وعند نهايته ميدان الكونت دى سيرون الذى عرف فيما بعد باسم ميدان الخلافة ومنه إلى الهويس المقام على ترعة الإسماعيلية، وبعد اجتياز الهويس نجد امتداد شارع الإمبراطورة المسمى شارع جيشار ويتقابل شارع الإمبراطورة مع شارع محمد على، وتقوم حدائق مدينة الإسماعيلية المشهورة على جانبي الشارع وتبلغ مساحتها ٤ أفدنة.^(٢)

وعما يجدر الإشارة إليه أنه بعد افتتاح قناة السويس صارت بحيرة التمساح ميناءً لمدينة الإسماعيلية، وأقيمت بها على هذا الأساس الأحواض الواسعة وأرصفت وورش وأوناش قوية وكل ما يلزم لاحتياجات الملاحة .

وعندما كان مراد بك حاكماً للإسماعيلية، وكان الخديوى إسماعيل قد بدأ تنظيم القضاء فى مصر فأمر بإنشاء محاكم ابتدائية منها واحدة فى الإسماعيلية . ونظراً لتعدد الأجانب فى الإسماعيلية أمر الخديوى بتكوين قوة بوليسية لحفظ الأمن والنظام فى

(١) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، ص ٣٣١ .

(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، ص ٣٣٢ .

الإسماعيلية، كما أوجد مجموعة من عساكر الجهادية لحراسة السجون والمرافق الحكومية.^(١)

أما عن الناحية التعليمية في مدينة الإسماعيلية، ففي سنة ١٨٧٨ تقدم أهالي الإسماعيلية بطلبات يرغبون فيها بفتح مدارس لأبنائهم . فقد كان التعليم الوطني في الإسماعيلية كما كان في كثير من أنحاء القطر المصري يقتصر على الكتاتيب وانحصر في حي العرب . أما الجاليات الأجنبية فقد كانت لها مدارسها الخاصة بها.^(٢)

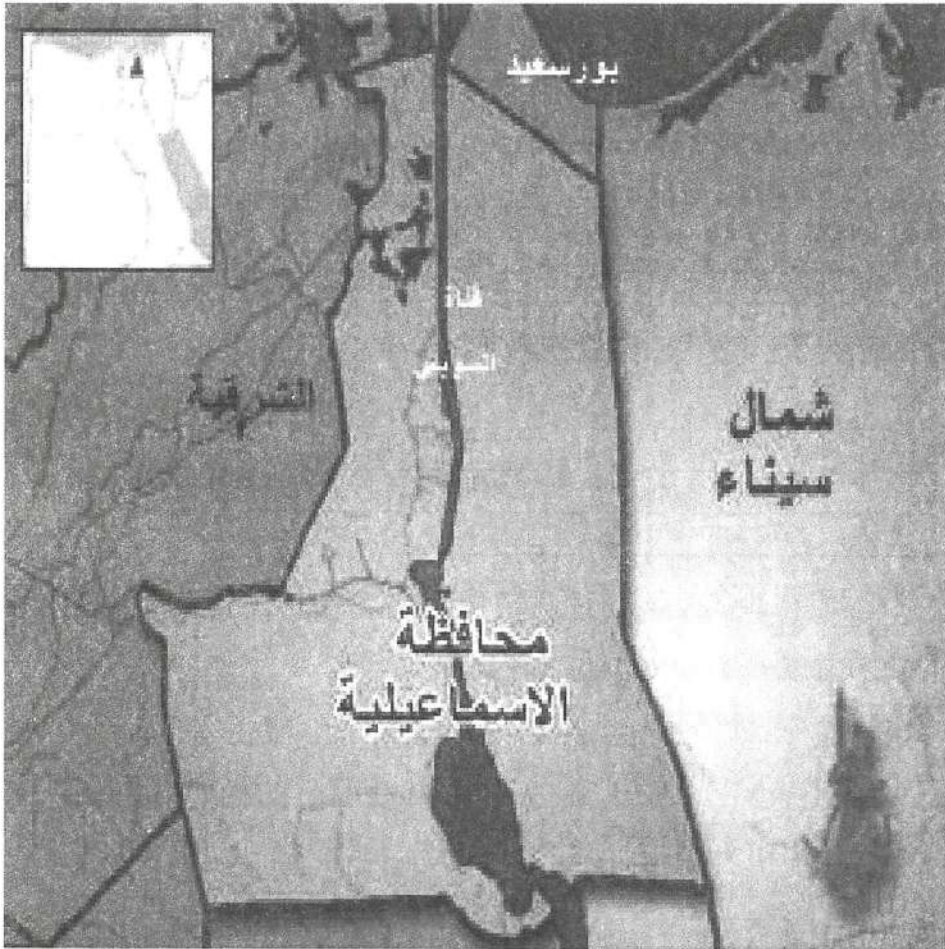
وأختتم كلامي عن الإسماعيلية بوصف أحد الرحالة البريطانيين وهو " بيرتون " حيث يقول " أنها من أجل الموانئ، بها مبنى مخصص للخديوى تم بنائه لاستقبال ضيوفه عند افتتاح القناة . كما تتسم منازل المدينة بالفخامة والأناقة، فتبدو كالقصور، ونظراً لأهمية المدينة فقد تم ربطها بخط حديدى يصلها بالسويس. " هذا وقد أرجع " بيرتون " الفضل في العناية بنظافة المدينة لفرديناند دلسبس الذى أراد أن يجعل منها إسكندرية ثانية.^(٣)

(١) محافظة الإسماعيلية : صفحات مضيئة من تاريخ الإسماعيلية ، ص ٢٠ .

(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٣) إلهام محمد على ذهني : مصر في كتابات الرحالة البريطانيين في القرن التاسع عشر ، ص ١٣١ .

شكل رقم (٤٣)



الإسماعيلية بوابة مصر الشرقية

الفصل الثاني

مشروعات النقل والمواصلات

- أولاً : السكك الحديدية
- ثانياً : البرق (التلغراف)
- ثالثاً : السكك الحديدية
- رابعاً : المواصلات النهرية
- خامساً : قناة السويس

أولاً : السكك الحديدية

يعتبر عصر إسماعيل من أزهى العهود في تاريخ السكك الحديدية المصرية، والتي كونت حلقة اتصال بين المدن الرئيسية في الوجهين البحرى والقبلى حتى انتعشت التجارة وحركة العمران وازدادت الحركة الاقتصادية رخاءاً.^(١) لقد كانت بداية عهده هي البداية الفعلية للتطور الذي تتمتع به مصر الآن في وسائل النقل المواصلات حتى يمكن القول بأن ما أنشأه من سكك حديدية كانت الأساس التى بنيت عليها الخطوط في العهود التالية خاصة في عهد الاحتلال البريطانى التي كانت غالبيتها تفرعات من خطوط إسماعيل.^(٢)

فعمل إسماعيل على ترتيب مواعيد سفر القطارات ووصولها، وأنشأ مجلس للإشراف على شؤون السكك الحديدية في مصر، وكان أول رئيس لهذا المجلس هو " عبد الرحمن رشدى بك ".^(٣) ويتضح ذلك من الأمر الصادر في ٩ رجب ١٢٨١ هـ لتوبار باشا ناظر الأشغال العمومية " حيث أن مصلحة السكك الحديدية من أعظم أسباب وبواعث تمدن وعمران البلاد وتقدمها، فبناء عليه قد اقتضت إرادتى ضم هذه المصلحة إلى مأموريتكم وجعلها من فروع الديوان المذكور ".^(٤)

ومما يدل أيضاً على اهتمام إسماعيل بالسكك الحديدية ما جاء في رسالة إسماعيل إلى وفد من شركة الشرق (بينانسيو لاراند أوريتال كومباني) :

-
- (١) محمد أمين حسونه : مصر والطرق الحديدية ، ص ١٥٥ .
 - (٢) فاطمة علم الدين : تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩١٤ ، ص ٤ .
 - (٣) صالح رمضان محمود : دراسات عن الحياة الاجتماعية في مصر في عهد الخديوى إسماعيل - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - ص ١٧ .
 - (٤) أمين سامى : تفويم النيل في عصر إسماعيل - المجلد الثانى ، ص ٥٨١ .

"إن وسائل النقل فرع من فروع الإدارة ما فتئت أوجه إليه عناية فائقة، وسيتهي عما قريب إنشاء خطوط جديدة للسكك الحديدية مما يقصر المسافات تقصيراً آخر، ونأمل أن البلاد ستجنى من فوائدها ما يعوض عن التضحيات التي تحملتها وهي تضحيات تعلمها الشركة كل العلم".^(١)

فلما ارتقى إسماعيل العرش لم يكن في القطر المصري سوى الخط الحديدي الواصل بين الإسكندرية ومصر بطول ١٣٠ ميلاً والخط الواصل بينها والزقازيق وطوله ٢٤ ميلاً، والخط الواصل ما بين مصر والسويس عن طريق بلبس وطوله ٩٠ ميلاً (أى ما كان مجموعه ٢٢٤ ميلاً) فزاد هو على أكثر من ألف ومائة ميل.^(٢)

أهم الخطوط التي أنجزت في عهد إسماعيل

(١) خط السويس : بعد أن شقت قناة السويس، قصر الطريق البرى عن أداء الغرض الذى أنشأ من أجله وهو أن يكون طريق للاتصال بين إنجلترا والهند . فرأى في سنة ١٨٨٦ أن يمتد خط الزقازيق بطول ٧٦ كم مخترقاً وادى الطميلات . وأنشأت وصلة طولها ٨٨ كم على بعد ٤ كم من الإسماعيلية إلى نفيسة، ثم اتجهت إلى الجنوب نحو السويس على شاطئ الترعة الإسماعيلية . فبلغ طول الخط من القاهرة إلى السويس عن طريق الزقازيق ٢٤٧ كم بدلاً من ١٤٤ كم وهو الخط القديم (خط الصحراء) الذي تم إزالته نهائياً سنة ١٨٧٩ . وكان عدد المحطات في بداية إنشاء الخط ١٢ محطة ومدة السفر المقررة عشر ساعات .^(٣) وكان من أهم النتائج التي ترتبت على إنشاء هذا الخط هو عمران جزء من مديرية الشرقية.^(٤)

(١) جورج حندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية، ص ١٩١

(٢) إلياس الأيوبى : تاريخ مصر في عصر الخديوى إسماعيل باشا - ١٨٦٣ - ١٨٧٩ - المجلد الأول، ص ٣٥ .

(٣) - محمد أمين حسونة : المرجع السابق، ص ١٥٩، ١٦٠ .

(٤) فاطمة علم الدين : المرجع السابق، ص ٤٨ .

(٢) خط قليبوب القناطر : أنشئ هذا الخط في سنة ١٨٦٥ وطوله ١٢ كم يبدأ من قليبوب إلى القناطر ويمر بقلعة السعيدية .

(٣) خط قلوب الزقازيق (عن طريق بليس) : أنشئ هذا الخط في سنة ١٨٦٥ وطوله ٦٢ كم ، ويبدأ من قلوب إلى شين القناطر فبليس فالزقازيق ، ثم من الزقازيق إلى المنصورة بطول ٦٩ كم عن طريق السنبلوين . الأمر الذي أدى في شرق الدلتا إلى قيام شبكة كبيرة من خطوط السكك الحديدية خدمت إلى حد كبير التجارة والزراعة في هذه المنطقة. ^(١)

(٤) الخط الفرعى بين القاهرة وطنطا : أنشئ هذا الخط على دفعات فى المدة الواقعة بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٩١١ . بدأها الخديوى إسماعيل بالخط بين طنطا إلى شبين الكوم وطوله ٢٨ كم وتم مد ١٣ كم حتى منوف .^(٢) وفى سنة ١٨٩٣ مد الخط حتى أشمون ، وأخيراً فى سنة ١٩١١ وصل من أشمون للقناطر بطول ٢١ كم . وتبلغ المسافة من القاهرة إلى طنطا على هذا الخط ١٠٧ كم على حين أنها لا تتجاوز ٨٧ كم على الخط الرئيسى .

(٥) خط دمياط : وهو عبارة عن امتداد للخط السابق، وقد بدأه سعيد باشا من طنطا إلى سمند بطول ٣٥ كم . وفي سنة ١٨٦٣ مده إسماعيل باشا إلى طلخا بطول ١٧ كم باتجاه المنصورة . هكذا اتصل الخطان ولم يفصلهما إلا النيل فشيّد كوبري في عام ١٨٩٥ ومرت عليه السكك الحديدية، وكان قد أنشئ قبل ذلك خط طوله ٤٠ كم من شرين إلى دمياط على بعد ١١٨ كم، وافتتح للاستغلال في سنة ١٨٦٩ .

(١) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٢) محمد أمين حسونة : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٦) خط دسوق - زفتى : افتتح في سنة ١٨٦٧ وطوله ٨٣ كم . وهو يصل فرع رشيد

بفرع دمياط ويمتاز مناطق زراعية خصبة ويلتقى بخط دمياط عند محلة روح .

(٧) ضواحي القاهرة : كالخط من ميدان الإسماعيلية إلى قصر النيل بالقبة فالعباسية،

وبعض الخطوط المؤقتة والنهائية التي أنشأت لاستغلال المحاجر . وفي سنة

١٨٧٢ أنشئ خط من القلعة إلى حلوان .

(٨) ضواحي الإسكندرية : أنشئت خطوط بضواحي الإسكندرية أسوة بالقاهرة

ورغبة في استغلال موارد المدينة . ومن هذه الخطوط : خط سيدى جابر رشيد

بطول ٧١ وقد بدأ مده في مارس ١٨٧٥، ووصلة أبوقير بطول ٣ كم وقد

أنشئت في سنة ١٨٧٦ .

(٩) خط الخطاطبة : في سنة ١٨٧٢ مد الخط من بولاق الدكرور إلى بشتيل ومنها إلى

إيتاي البارود . وفي سنة ١٨٦٩ أنشئت مواصلة إلى محاجر الخطاطبة، وأخيراً في

سنة ١٨٩٨ مد الخط من إمبابة إلى بشتيل بطول ١٢٠ كم.^(١)

وبالنسبة للموجه القبلي : حيث الأراضي الأهلة بالسكان جنوب القاهرة عبارة

عن وادى ضيق تقع معظم أراضيه على الضفة الغربية من النيل، تم إنشاء خط واحد

يمتد من بولاق الدكرور ليصل المنيا في ١٨٦٧ ، وعام ١٨٧٠ إلى ملوى، وعام

١٨٧٤ إلى أسيوط حيث استوقف الخط نتيجة للأزمة المالية ثم استأنف العمل عام

١٨٩٣ في عهد الاحتلال البريطانى . وقد تفرع من خط الوجه القبلي في عهد

إسماعيل خط الواسطي - الفيوم والذي أمتد إلى أبو كساه^(٢) عام ١٨٦٩ .

(١) محمد أمين حسونة : المرجع السابق، ص ١٦٢، ١٦٣ .

(٢) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ص ٤٩ .

جدول (٢)

الخطوط الحديدية التي مدت في عصر إسماعيل

السنة	من	إلى	طول الخط بالكيلومتر
١٨٦٣	سمنود	طلخا	١٧
١٨٦٤	دمنهور	القبارى	١٤
١٨٦٥	بنها	طنطا	٤١
١٨٦٥	كفر الزيات	دمنهور	٤٣
١٨٦٥	القاهرة	سرني القبة	٧
١٨٦٥	القاهرة	المحطة	١٣
١٨٦٥	قليوب	القناطر الخيرية	١٠
١٨٦٥	محلة روج	دسوق	٥٢
١٨٦٥	قليوب	الزقازيق	٦٣
١٨٦٥	محلة روج	زفتي	٣٢
١٨٦٦	قليوب	بنها	٣١
١٨٦٦	شين الكوم	طنطا	٢٨
١٨٦٧	بولاق الذكور	المنيا	٢٣٨
١٨٦٨	الزقازيق	الإسماعيلية	٧٨
١٨٦٨	نفيسة	السويس	٩١
١٨٦٨	الواسطي	الفيوم	٣٨
١٨٦٩	الفيوم	أبو كساه	٢٤
١٨٦٩	طلخا	دمياط	٦٦
١٨٦٩	أبو كبير	الصحافة	٣٤
١٨٧٠	المنيا	ملوى	٤٨
١٨٧٠	الزقازيق	بنها	٣٩
١٨٧٠	للخس	محاجر الدخيلة	١٦
١٨٧٢	بشتيل	إيتاى البارود	١١٦
١٨٧٢	بولاق الذكور	بشتيل	٤
١٨٧٢	باب اللوق	حمامات حلوان	٢٥
١٨٧٤	ملوى	أسيوط	٨٢
١٨٧٥	قلين	كفر الشيخ	١٧
١٨٧٦	سيدى جابر	رشيد	٦٦
١٨٧٦	المعمورة	أبو قير	٣

المصدر : " محمد فهمي لطيفة : تاريخ مصر الاقتصادي في المصور الحديثة - ص ٢١٥ ، ص ٢١٦ .

ومن خلال ما سبق يوضح لنا الجدول أن الموانئ البحرية : الإسكندرية، دمياط، رشيد، البرلس، على ساحل البحر المتوسط قد وصلتها الخطوط الحديدية التي تربطها بمنطقة الدلتا والقاهرة، وذات الطريق يتصل بصعيد مصر ونفس الشيء بالنسبة للسويس . وإن كان اتصاله المباشر يجيء بالإسماعيلية ثم الزقازيق ثم القاهرة حيث تجتمع محطات السكك الحديدية التي تصله بالدلتا والصعيد . وبوجود السكك الحديدية أصبح التغلب على مشكلة انحصار المياه التي تعوق الملاحة مطلباً متاحاً ومن خلالها توفر عامل السرعة في نقل الركاب أو البضاعة سريعة التلف والبريد، وأصبحت تشكل مع الملاحة النيلية عنصري التكامل.^(١)

ومن نتائج التوسع في إنشاء السكك الحديدية في عهد إسماعيل أن ارتبطت المدن الرئيسية في الوجه البحري بشبكة من السكك الحديدية واتسعت صناعة السكر في الوجه القبلي بسبب الخط الحديدى من بولاق الدكرور إلى أسيوط . ولا شك أن التوسع في السكك الحديدية في عهد إسماعيل كان سبباً من أسباب النهضة الاقتصادية والاجتماعية، كما ساعد على إتساع زراعة القطن بإيجاد وسيلة سريعة لنقل محصول القطن إلى السوق في الأسكندرية حيث يصدر للخارج.^(٢)

ويذكر إلياس الأيوبي " إن ما صرف على إنشاء هذه الخطوط قد تجاوز ١٣ مليوناً من الجنيهات ".^(٣)

ثانياً : السبرق (التلغراف)

في الواقع أنه يمكن اعتبار عام ١٨٥٦ بداية لتعميم إنشاء الخطوط السلكية للاتصالات التلغرافية في جميع أنحاء القطر المصري والسودان بما منحته الحكومة المصرية من امتيازات لشركات أجنبية بغرض إنشاء وإدارة بعضها . ففي ٢٧ فبراير

(١) خلف عبد العظيم الميرى : تاريخ البحرية التجارية المصرية ، ١٨٥٤ - ١٨٧٩ ، ص ١٢٥ .

(٢) احمد الحنة : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر ، ص ٢٣٤ .

(٣) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

سنة ١٨٥٦ ، و ٧ فبراير ١٨٦٢ ، و ٨ مارس ١٨٧٠ ، قامت الحكومة المصرية بالترخيص لشركة (British India submarine telegraph) وشركة (Anglo Mediterranean Telegraph) لإقامة خطوط تلغرافية داخل القطر المصري . ثم نقل امتياز هاتين الشركتين إلى شركة التلغرافات الشرقية (Eastern telegraph).^(١)

ولما استلم إسماعيل زمام الحكم بيده أقبل على هذا الفرع أيضاً من طرق المواصلات العمومية حتى بلغ طولها في مدة وجيزة ٥٥٠٠ ميلاً فيها من الأسلاك ١٠٥٠٠ ميل ، وبلغ نفقات ما تم إنشاؤه من هذه الخطوط مليوناً من الجنيهات.^(٢)

(١) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٢) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

جدول (٣)
الخطوط البرقية التي أنشئت في عهد إسماعيل

من	إلى	عدد الأسلاك	طول الخط بالكيلومتر
القاهرة	قليوب والقناطر الخيرية	٢	٢٨
القاهرة	غزة (فلسطين)	٢	٤٥٥
القاهرة	بنها والسويس	١	٢٤٢
القاهرة	قليوب والمنصورة	٢	١٥٤
بنها	ميت بره	٢	١٤
بنها	الزقازيق والسويس	٢	١٩٧
طنطا	طلخا ودمياط	٢	١١٥
طنطا	زفتي	٢	٥٣
طنطا	دسوق	٢	٧٤
طنطا	شين الكوم	٢	٣٠
الإسماعيلية	بور سعيد	١	٧٤
القنطرة	بور سعيد	١	٤١
القاهرة	المنيا	٢	٢٧٦
المنيا	أسيوط	٢	١٤٤
أسيوط	قنا	٢	٢٢٥
قنا	أسوان	٢	٢٧٥
قنا	القصر	٢	١٨٨
أسوان	وادي حلفا	٢	٣٣٧

المصدر: محمد فهمي لهبطة "تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة - ص ٢١٦، ص ٢١٧.

من الجدول يتضح لنا امتداد المواصلات التلغرافية إلى كل المدن المصرية الهامة وكذلك أغلب القرى الهامة والمراكز التجارية الرئيسية والمحطات التجارية من أسوان إلى حدود مصر الجنوبية ^(١).

وقد قام إسماعيل بإنشاء مكاتب لهذه الأسلاك البرقية على طول مسافات امتدادها، وقسمها إلى أكثر من قسم القسم الأول ويشمل كل محطات الوجه البحرى، القسم الثانى كان بين القاهرة وأسيوط ، والقسم الثالث بين أسيوط وإسنا والرابع بين إسنا ووادي حلفا ^(٢)، ويذكر " إلياس الأيوبي " : " أنه كان هناك ٤ أقسام أخرى وهى ما بين دنقلا وبربر، ما بين بربر والخرطوم ، ما بين الخرطوم ومصوع، ما بين مصر وسوريا " ^(٣).

وحدد أجر التلغراف ذات العشرين كلمة (غير العنوان) بمقدار عشرة قروش، واتفق أن تكون لغة التراسل جنوبي القاهرة بالعربية فقط، أما شياها فتكون بالعربية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو التليانية أو التركية ^(٤).

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن مصر السفلى كان بها أكبر تجمع من الجنسيات المختلفة . ومن ناحية أخرى كانت خطوطها متصلة اتصالاً مباشراً بالخط الرئيسى (القاهرة - الإسكندرية) فى نفس الوقت الذى كانت تمثل فيه الإسكندرية مركز الاتصال التلغرافى بالخارج .

ويذكر " عبد الرحمن الرافعى " أن عدد مكاتب التلغراف فى مصر والسودان بلغ فى سنة ١٨٧٨ (١٥١ مكتب)، منها (٨٦ مكتب بالوجه البحرى) و (٤٤ مكتب بالوجه القبلى) و (٢١ مكتب بالسودان) ^(٥).

(١) أحمد الشربيني : التجارة المصرية ١٨٤٠ - ١٩١٤ - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٨٥ - ص ٢١٦ .

(٢) أحمد الشربيني : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٣) السيد فهمى : طرق المواصلات : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، ص ١٥٩ .

(٤) أحمد الشربيني : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٥) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، الجزء الثانى ، ص ١٩ .

وإلى جانب الخطوط الحكومية كانت هناك الخطوط الخاصة ببعض الشركات، فسمحت الحكومة لشركة التلغرافات الشرقية بإقامة خطين بين الإسكندرية والسويس للخدمة أغراضها في البحر الأحمر، أحدهما عن طريق القاهرة وطريق الصحراء القديم وطوله ٢٣٣ ميلاً والآخر عن طريق بنها والزقازيق وطوله ٢٢٩ ميلاً. وكذلك أقامت شركة قناة السويس خطاً على طول القناة بطول ٩٦ ميلاً للخدمة أغراضها، وكذلك الخطوط التلغرافية الخاصة بشركة سكة حديد الدلتا.^(١)

ولعل أهم ما تم إنشاؤه في عهد إسماعيل، الخط التلغرافي البحري بين الإسكندرية ومالطة فضقلية فأوروبا، والخط التلغرافي الواصل من الإسكندرية إلى السويس فعدن فالهند حيث يتصل بخط الشرق الأقصى وأستراليا. وهكذا تحقق الاتصال بين الإسكندرية وأوروبا والشرق الأقصى وأستراليا. وقامت بإنشاء هذا الخط الشركة الشرقية.^(٢)

وأصبح الاتصال بأوروبا والقارات الأخرى ميسوراً إما عن طريق غزة وإما بواسطة الشركة الشرقية كالاتي^(٣):-

- من الإسكندرية إلى الآستانة عن طريق كريت ورودرس وأزمير.
- من الإسكندرية إلى أوترنتو عن طريق كريت وزانتى.
- من الإسكندرية إلى إيطاليا عن طريق مالطة وصقلية.
- من الإسكندرية إلى إنجلترا عن طريق مالطة وجبل طارق ولشبونة.
- من الإسكندرية إلى فرنسا عن طريق مالطة وبونا ومرسيليا.
- أما الاتصال بين القطب المصرى والشرق الأقصى ونيوزيلاندا فعن طريق البحر الأحمر.

(١) أحمد الشربيني: نفس المرجع، ص ٢١٧.

(٢) فاطمة علم الدين: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٣) إلياس الأيوبي: المرجع السابق، ص ١٠٣، ١٠٤.

- وهكذا اتصلت المدن والقرى المصرية الهامة بالخطوط التلغرافية وفوق ذلك اتصلت مصر بالعالم الخارجى بشبكة لا بأس بها من ذات الخطوط وقد ساعد ذلك على تنشيط الحركة التجارية ، فكانت أخبار الأسواق المالية وأسواق القطن فى الخارج (على سبيل المثال بورصة هول وليفربول وبأريس) تنتقل إلى مصر فور إعلانها والتي سرعان ما تنتشر فى أنحاء القطر المصرى . ومن الجدير بالذكر أن هذه التلغرافات كانت تزداد فى موسم القطن .^(١)

ومن ناحية أخرى تم إنشاء مصلحة التلغرافات وجعلت تابعة للسكة الحديد . وفى ٤ أغسطس ١٨٦٦ تم افتتاح قسم تعليمي بالمدارس لهندسة هذا النوع من التعليم سميت " مدرسة التلغرافات " حول إليها التلاميذ المقرر تعليمهم فن التلغراف ، وكانت أعمارهم تتراوح ما بين ١٥ - ١٨ سنة ، وجعل لكل منهم راتب شهري مدة تعليمه ، وكثيراً ما طلب ناظر الأشغال من من ناظر الجهادية تحويل عدد من طلاب المدارس الحربية إلى ديوان الأشغال ليلحقوا بمدرسة التلغراف لإعدادهم لمراكز التلغراف المزمع تأسيسها .^(٢)

وفى ١٦ يناير ١٨٧١ ، صدرت لائحة منظمة لأعمال التلغرافات مكونة من ١٠٦ بند ، مرتبة فى ستة فصول .

ثالثاً : البريد

يعتبر محمد على هو أول من رتب بريداً رسمياً يحمل على أيدي السعاة برأ وفي السفن بحراً واستمر الوضع كما هو فى عهد عباس وسعيد فلم يزدوا عليه شئ .^(٣) ولولا إقدام الدول الأجنبية وبعض أفراد من الجاليات الغربية على إنشاء مكاتب

(١) أحمد الشرييني : المرجع السابق ، ص ٢١٧

(٢) حامد على دسوقي : النظام الإدارى فى مصر فى عهد إسماعيل - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٧٩ م ، ص ٧٩

(٣) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، ج ٢ ، ص ٢٠

بريدية في الإسكندرية والقاهرة لاستمرت مصر محرومة من التواصل البريدي كما كانت في عهد المماليك^(١).

ومن أهم اللذين عملوا في هذا المجال "ميراثي"، وبعد وفاته عهدت الأعمال إلى حفيده المدعو "شيني" وكان لهذه الإدارة امتيازات داخل القطر مثل نقل ما يتعلق بها بالسكك الحديدية بلا مقابل، وكانت أعمالها منظمة ولكن أجرة نقل الخطابات كانت عالية.

ثم جاء بعد ذلك السنيور "موتسي" الإيطالي وكان حتى سنة ١٨٦٥ قائماً لحسابه الخاص بأعمال بريدية عامة في العاصمتين، يساعده جملة مستخدمين بأجور يدفعها إليهم على استلام الخطابات والمراسلات^(٢).

فرأى إسماعيل عدم استمرار وسيلة كهذه في يد إدارة فردية، فاشتري مصلحة البريد من ذلك الإيطالي وجعلها مصلحة حكومية سميت "بالبوستة الخديوية" وعين موتسي مديراً عاماً عليها^(٣). وبدأت أولى خطوات تقدم البريد في مصر.

وتذكر الوثائق الرسمية أنه تم توقيع العقد في ٢٩ أكتوبر ١٨٦٤ بمبلغ (٤٦.٠٠٠)، وسلمت هذه المكاتب في ٢ يناير ١٨٦٥^(٤). فأبقى موتسي مستخدميه القدماء فيها وكان معظمهم من الإيطاليين وخليطاً من السوريين والفرنسيين واليونانيين والنمساويين والروس والمصريين. واجتهد في إنهاء عدد المكاتب وحركة التراسل.

(١) الياس اليربي : المرجع السابق، ص ١٠٥

(٢) صالح رمضان : المرجع السابق، ص ١٢

(٣) أحمد الشربيني : المرجع السابق، ص ٢١١

(٤) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية : ص ١٩٦ (تم توقيع العقد بين موتسي من جهة ومصرف ديرفيو وشركاه الذي اشترى بمقتضاه لحساب الحكومة المصرية)

وألحقت مصلحة البريد في أول الأمر بوزارة الأشغال، وفي ديسمبر ١٨٦٥ تبعت وزارة المالية، وفي ٢٨ سبتمبر ١٨٦٧ وضعت تحت إشراف وزير مصر الأول وقتئذ " شريف باشا "، ثم ألحقت في ١٩ مايو ١٨٧٥ بوزارة الحقانية والتجارة، واتبعت في سنة ١٨٧٦ وزارة الزراعة والتجارة، وفي ١٠ ديسمبر ١٨٧٨ ألحقت بوزارة المالية.^(١)

وفي عام ١٨٧٦ طلب " موتسي " إقالته من مصلحة البريد، فأعفى وعين بدلاً منه المستر " كاليار " الانجليزي^(٢) الذي استغني عن ¼ موظفي المصلحة تقريباً لزيادتهم عن حاجاتها، ونظم أقلام المصلحة، وأقبل ينشئ مكاتب جديدة في القطر المصري حتى وصل عددها إلى ٢١٠ مكتب.^(٣) وجعل توزيع المراسلات يومياً بين مصر والإسكندرية وجميع الجهات المهمة . ونتيجة لاستمرار التحسن في إدارة المصلحة صار التوزيع أربع وخمس مرات في النهار على محطات السكك الحديدية الكبرى . كما أنشئت في العاصمتين (القاهرة والإسكندرية) صناديق خاصة لمراسلات من أراد الإشتراك فيها من التجار والأعيان.^(٤)

ومن التحسينات التي أدخلت على مصلحة البريد في عهد إسماعيل استعمال طوابع البريد لأول مرة . فأخذت هذه الطوابع تحمل محل النقود كما هو الحال في أوروبا.^(٥) وفي عام ١٨٦٦ صدرت أول طوابع للبريد في مصر حيث صنعت بمدينة جنوة وكانت فئاتها ٥ ، ١٠ ، ٢٠ بارة و ١ ، ٢ ، ٥ قروش وبعد ذلك تم تمصير طوابع البريد وذلك بطبعها في البلاد . وفي سنة ١٨٦٧ طبعت الطبعة الثانية في

(١) حسن الخطيم : تقدم البريد - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، ص ١٦٥ ، ص ١٦٦ .

(٢) الذي أصبح فيما بعد كليار باشا ، وعين مديراً عاماً للجبارك المصرية

(٣) الياس الايوبي : المرجع السابق ص ١٠٦ ، مج ١

(٤) حامد علي دسوقي : المرجع السابق ، ص ٢٠

(٥) صالح رمضان : المرجع السابق ص ١٣ .

مطبعة برناسون الحجرية بشفر الإسكندرية، ثم صدرت الطبعة الثالثة في عام ١٨٧٢ حيث طبعتها المطبعة الأميرية ببولاق.^(١)

فبلغ عدد المراسلات في سنة ١٨٧٨ مليونين ونصف معظمها تجارى، وبلغت قيمة النقود التي تصدرت من عموم المكاتب عشرة ملايين من الجنيهات.^(٢)

وبازدياد نشاط مصلحة البريد المصرية ألغيت مكاتب البريد الأوروبي في مصر على الوجه التالي:^(٣)

مكتب بريد مسكوب	ألغي في أول نوفمبر ١٨٧٥
مكتب بريد إنجلترا	ألغي في أول إبريل ١٨٧٨
مكتب بريد اليونان	ألغي في أول يناير ١٨٨٢
مكتب بريد إيطاليا	ألغي في أول فبراير ١٨٨٤
مكتب بريد النمسا	ألغي في أول أكتوبر ١٨٨٩
مكتب بريد فرنسا في القاهرة	ألغي في أول مارس ١٨٧٥
مكتب بريد فرنسا في السويس	ألغي في أول ديسمبر ١٨٨٨

وفي عهد إسماعيل وضعت أول صناديق للبريد بالقاهرة . وكان محددًا عليها مواعيد تفريغها، وكانت الرسائل الخارجية يخلص عليها بطوابع مصرية إلى الإسكندرية ثم بطوابع أجنبية من نوع طوابع الجهة المرسل إليها.^(٤)

وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ البريد المصري وهي الدخول إلى العالمية . وبدأ ذلك في سنة ١٨٧٤ بانضمامه إلى اتحاد البوستة العام واشترائه في جميع مؤتمرات

(١) حسن الخطيم : المرجع السابق ، ص ١٦٦

(٢) الياس الأيوبي : المرجع السابق ، ص ١٠٦

(٣) أمين سامي : تقويم النيل في عصر إسماعيل ، المجلد الثالث من الجزء الثالث ، ص ١٢٨٨ .

(٤) حامد على دسوقي : المرجع السابق ، ص ٧١ .

البريد التى انعقدت مع تنفيذ قرارات تلك المؤتمرات بدقة . ويمكن تلخيص هذه المؤتمرات وقراراتها فيما يلي :^(١)

المؤتمر الدولى الأول للبريد فى عام ١٨٧٤ ببرن :

تقرر فى هذا المؤتمر تأسيس إتحاد البوستة العام . وقد انضمت إليه مصر منذ تأسيسه وتقرر فيه إلغاء الرسوم الخاصة بتبادل المراسلات لأن المتحصل عن المراسلات غير خالصة الأجرة كان حقاً للبلد الصادر منه تلك المراسلات . كما تقرر إلغاء الرسوم العالية التى تفرضها البلاد المختلفة والإتفاق على وضع رسوم متساوية لجميع البلاد المنضمة للإتحاد وذلك عن المراسلات التى ترد غير خالصة الأجرة أو غير مستكملتها .

مؤتمر باريس عام ١٨٧٨ :

فى هذا المؤتمر قبلت الحكومة المصرية أحكام النظام الخاص بتبادل الحوالات الخارجية . وفى الواقع كانت مصلحة البوستة المصرية قد سبق لها عقد اتفاقيات ثنائية مع بعض الدول فيما يتعلق بهذا الموضوع منها اتفاقاً مع البوستة الإيطالية ١٨٧٢ ، والبوستة البريطانية ١٨٧٤ .

مؤتمر باريس ١٨٨٠ :

تقرر فى هذا المؤتمر تبادل طرود البريد داخل البلاد ومع البلدان الأجنبية . وفى هذا الصدد تم فتح مكتب مصري للبريد فى اسطنبول فى سنة ١٨٦٥ وفى السودان ١٨٧٧ وفتحت مكاتب مصرية للبريد فى جدة وأزمير سنة ١٨٦٦ ، وفى غاليبولي وبيروت ، وكذلك فى قولة وسالونيك وطرابلس الشام ١٨٧٠ .^(٢)

(١) فاطمة علم الدين : تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ -

١٩١٤ ، ص ١٧٨

(٢) جورج جندى وجاهك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، ص ١٩٧ .

تقدير الدول الأوروبية للبريد المصري :

تذكر لنا الوثائق الرسمية من خلال مراسلات قناصل الدول الأجنبية لحكوماتهم مدي تقدير هذه الدول لمصلحة البريد المصري ويتجلى ذلك من خلال :^(١)

الخطاب الذى أرسله " بردسلي " قنصل الولايات المتحدة إلى وزارة الخارجية الأمريكية جاء فيه " ترغب الحكومة المصرية أن تأخذ على عاتقها خدمة البريد وتأمل أن تحمل الدول الأجنبية على إلغاء مكاتبها البريدية الموزعة في مصر وأظننا نستطيع إجابة هذا الطلب وخدمة البريد في مصر - ولو أنها لم تبلغ درجة الكمال - منظمة تنظيمياً حسناً، أنها تلائم حاجات الوقت الراهن ومكاتب البريد اليوم موزعة توزيعاً حسناً ومهيئة تهيئة طيبة وقد شيدت في العام الماضى عمارة كبيرة تستخدم الآن مكتباً مركزياً للبريد "

القاهرة في ٤ فبراير ١٨٧٥ .

والرسالة الأخرى من " جون تيلي " إلى " الأنور ابل روبرت بورك " (مصلحة البريد الإنجليزية) " يقر المدير العام للبريد بأن مصلحة البريد المصرية تدار إدارة حسنة وأنها فوق ذلك مستعدة لإتباع كل وسيلة من شأنها تحسين نظام البريد " .

أما خطاب " السير هنرى اليوت " سفير إنجلترا إلى وزارة خارجيته يذكر فيه " إن إدارة البريد الإنجليزية لم تتلق تقريباً أية شكوى عن التأخر أو عدم انتظام في توزيع البريد في القاهرة أو في المدن الداخلية في مصر " .

وإلى إسماعيل أيضاً يرجع الفضل في تخفيض الرسوم التى كانت تتقاضاها عن الرسائل إلى قرش عن كل سبعة جرامات ونصف ، ثم إلى قرش عن كل عشرة جرامات ، ثم إلى قرش عن كل خمسة عشر جراماً سنة ١٨٧٨ .

(١) جورج جندى و جاك تاجر : المرجع السابق ، ص ١٩٩ ، ص ٢٠٠ .

وكان تخفيض الرسوم تتبعه زيادة في عدد الرسائل وبالتالي زيادة في هذا المظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي بل التقدم العمراني الذي تناول البلاد . فقد كان عدد الطوايح في عام ١٨٦٦ ٣ ملايين ، وصعد إلى ٨.٧٠٠.٠٠٠ في عام ١٨٦٧ ثم إلى ٢٠ مليون في عام ١٨٧٢ . وكل هذا ينطق بما لإسماعيل من فضل في وضع أحدث النظم البريدية في مصر كأثر من أثاره الخالدة في شتى النواحي العمرانية للبلاد .^(١)

رابعاً: المواصلات النهرية

للتقل النهرى أهميته الخاصة في مصر إذ أن المدن الهامة فيها يقع معظمها أو كلها تقريباً على ضفتي النهر أو فرعيه أو على الترع الملاحية المتفرعة منه ، وكثير منها ملاهى طول السنة وإن يكن انخفاض منسوب مياهها في فصل الشتاء مما يحول دون شحن المراكب بكامل حمولتها . ومما يساعد على نشاط الملاحة النهرية عاملان هما: ^(٢)

١- أن اتجاه النهر من الجنوب إلى الشمال مما يساعد الملاحة على القيام بوظيفتها في هذا الاتجاه نازلة في النهر .

٢- أن الرياح السائدة في معظم السنة رياح شمالية تساعد المراكب في حركتها صاعدة في النهر ضد التيار .

وعلى الرغم من قيام الحكومة بإصلاحات للملاحة النيلية في عهد سعيد باشا إلا أنها لم تجن ثمار هذا الإصلاح ولكن قطفها الأجانب . ولما اعتلى إسماعيل باشا عرش مصر كان يتمتع بنظرة ثاقبة، ففي عهده ثم التوسع في الأدوات الملاحية المملوكة للإنجرارية وخاصة السفن التى تستخدم البخار ، وقد قدر البعض أعدادها بنحو ٥٨ سفينة، منها ٢٨ خاصة بمصالح الدائرة السنية . وهنا تجدر الإشارة إلى أن إصلاحات الملاحة الداخلية التى تمت في عهد إسماعيل من حيث شق الترع كان يفي بأغراض الملاحة والرى معاً .^(٣)

(١) حسن الخطيم : تقدم البريد ، ص ١٦٧ .

(٢) محمد محمود الصياد : النقل في البلاد العربية ص ٢٥ .

(٣) خلف عبد العظيم الميري : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

ورغم قيام السكك الحديدية ، والتي أخذت تؤثر بشكل كبير على النقل النهري نتيجة لتحول جزء كبير من ذلك النقل إلى السكك الحديدية، إلا أنه كانت هناك عدة سفن تجارة وشرعية تعمل في وسائل النقل والمواصلات النهرية بلغت (٩٥٦٣) سفينة شرعية حولتها (١١٧٢٨٦) طنّاً و(٥٣) سفينة تجارية عام ١٨٧٢ . وكان بعض هذه السفن ملكاً للشركة العزيزية التي تحولت فيما بعد إلى مصلحة وإبورات البوستة الحديدية . وبالتالي كان لتلك المصلحة العديد من السفن للنقل والمواصلات النهرية تحطمت معظمها أثناء الثورة المهدية التي نشبت عام ١٨٨١^(١).

ومن الإصلاحات التي تمت في عهد إسماعيل أيضاً أنه أصلح مجرى النيل جنوب وادي حلفا إذ نسفت الصخور والعقبات التي كانت تعترض سير السفن فأصبح المجرى في تلك المنطقة صالحاً للملاحة ومرور السفن الشرعية والبواخر. وبذلك سهلت المواصلات بين مصر والسودان . فضلاً عن ذلك أزيل جزء من السدود على النيل الأعلى وأصلح ترسانة الخرطوم التي أنشئت في عهد محمد علي وكثرت بها البواخر النيلية .^(٢) وفي مارس ١٨٧٥ أصدر أوامره لتطهير ترعة المحمودية بالكرات بعد أن لوحظ توقف ملاحة السفن بها لعدة أيام لضحالة مياهها واستغرقت عملية التطهير نحو الشهر .^(٣)

ومن النتائج التي ترتبت على تلك الإصلاحات أن أحييت ترعة الإسماعيلية الملاحة النيلية إلى منطقة القناة حيث سرت نقل منتجات مصر الوسطى والعليا، والفحم بين بولاق والإسماعيلية.

وأدى ذلك أيضاً إلى إهتمام الحكومة بالملاحة النيلية حيث تم إعداد وتجهيز ورش تصنيعها وصيانتها في ترسانة بولاق ، كذلك تخصيص مخازن خاصة بها ،

(١) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، ص١٧

(٢) أحمد أحمد الحنة : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر ، ص٢٢٩

(٣) خلف عبد العظيم الميرى : المرجع السابق ص١١٨

بالإضافة إلى وجود محطات الخدمات الخاصة بسفن الإنجارية . وكذلك اشترطت الحكومة وجود آلات التطهير وفوانيس لإضاءة الشواطئ .

ومن مزايا النقل النهري مقارنةً بالسكك الحديدية، أنها لعبت دوراً هاماً في أوقات الفيضانات المدمرة التي كانت تتعرض لها مصر مثلما حدث سنة ١٨٦٣ ، الذي حطم الجسور بين القاهرة والدلتا وانقطعت السكك الحديدية مع الإسكندرية لعدة أشهر، وكذلك فيضانات عامي ١٨٧٤ ، ١٨٧٨ .

كذلك أيضاً عدم اتصال السكك الحديدية في بعض المواقع، ولذا كانت تستخدم المعديات البخارية .^(١) وعلى الرغم من ذلك واجهت الملاحة النيلية عقبات استطاعت السكك الحديدية التغلب عليها في مقدمتها السرعة والانتظام وأيضاً انخفاض منسوب المياه.

خامساً : قناة السويس

• نبذة تاريخية عن المشروع

أولاً: في عهد الفراعنة والفتح الإسلامي

كانت ترعة الفراعنة القديمة تخرج من فرع النيل البيلوزي القديم وتسير بمحاذاة وادي الطميلات ثم تنثني جنوباً فتخترق البحيرات المرة ثم تصب في البحر الأحمر.^(٢) وفي عام ٦١٠ ق . م أعاد الفرعون نخاو الثاني من الأسرة السادسة والعشرين شق هذه القناة فنجح في إعادة وصل النيل بالبحيرة المرة غير أنه لم يوفق في وصل البحيرة المرة بالبحر الأحمر .

وفي عام ٥١٠ ق . م ازدهر برزخ السويس في عهد الفرس باعتباره الطريق الموصل إلى فارس ماراً بوادي الطميلات . فاهتم ملك الفرس بإعادة الملاحة للقناة

(١) خلف عبد العظيم الميرى : المرجع السابق ، ص ١٢١

(٢) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل - ج ١ ، ص ٥٧

فأدخل عليها تحسينات كبيرة ، وأعاد ربط النيل بالبحيرة المرة ولم ينجح في وصلها بالبحر الأحمر^(١).

وفي عهد الفتح الإسلامي أنشأ عمرو بن العاص الخليج المعروف بـخليج أمير المؤمنين بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ . وكان يصل النيل بالبحر الأحمر ، ويبدأ من مصر القديمة ومنها إلى المطرية ومنها إلى العباسية ثم يتبع آثار ترعة الفراعنة القديمة^(٢).

ثانياً: في عهد الحملة الفرنسية

كان شق برزخ السويس من أهم أهداف الحملة الفرنسية ، لذا فقد كلف الجنرال نابليون بوناپرت كبير مهندسيه "لوير" بدراسة مشروع قناة تصل البحرين المتوسط والأحمر وبعد سنة كاملة اعتقد خطأ أن البحر الأحمر يعلو سطح البحر المتوسط بحوالي ٩ أمتار .

ثالثاً: في عهد محمد علي

جاء المسيو دلسبس إلى مصر لأول مرة سنة ١٨٣١ على عهد محمد علي باشا متولياً منصب مساعد للقنصل الفرنسي . وكان محمد علي باشا على صلة صداقة قديمة بوالد دلسبس، واتصل بالأمير محمد سعيد وصارت بينهما صداقة . وأثناء وجوده في الإسكندرية قرأ بحث المهندس لوير واهتم بدراسته وبدأ يفكر في تحقيق مشروع الاتصال بين البحرين بقناة بحرية. ثم انتقل من منصبه بالقطر المصري وطوحت به المناصب السياسية إلى مختلف الأقطار على أنه كان لا يتوقف عن التفكير في أمر هذا المشروع .

• وفي سنة ١٨٤١ اهتم المهندس لينان بتحقيق المشروع، وكان يساوره نفس اعتقاد لوير في وجود فارق بين منسوب سطحي البحرين المتوسط والأحمر، وكان في

(١) جورج حليم كيرلس : قناة السويس أهم قنوات العالم - تقديم مشهور أحمد مشهور ص ٨٢

(٢) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق، ص ٥٨

اعتقاده أنه يستطيع معالجة هذا الفارق بتزويدها عند السويس بمنشآت لإحكام تصريف المياه من شأنها إحالة القناة إلى نهر ذى تيار خفيف قد يسهل في نفس الوقت حفر قاعها . وقد أرسل لبنان هذه الدراسة إلى قنصل فرنسا بالأسكندرية واطلع عليها دلسبس واحتفظ بها في ملف المشروع.^(١)

• وفي ٣٠ نوفمبر ١٨٤٦ اشترك أتباع سان سيمون في تأسيس جمعية للدراسات الخاصة بقناة السويس في باريس ، وتكونت من ٣ مجموعات من المهندسين الفرنسيين والأجانب . المجموعة الفرنسية وعلى رأسها " تالابوت " ، والمجموعة الإنجليزية يرأسها " ستيفنسون " ، والمجموعة الألمانية ويديرها النمساوى " بخريلى " .

• وفي سنة ١٨٤٨ قامت لجنة مختلطة وكان من بينها " روبرت ستيفنسون " بمعاينة البرزخ مع لبنان وأقرت أنه لا فرق بين مستوى البحرين الأحمر والمتوسط .^(٢) أو أن الفارق يكاد يكون طفيف لا يذكر . ولما عرض اقتراح تنفيذ المشروع على محمد علي رفض قائلاً " لا أريد في مصر بسفورا آخر " أى أنه لا يريد أن يفتح للأجانب باب الإغارة على مصر .^(٣)

• أما عباس فقد أعرض هو الآخر عن مشروع القناة وسائر السياسة الإنجليزية ، وبدأ في إنشاء الخط الحديدى من الإسكندرية إلى القاهرة ، واهتم بالطريق البرى بين القاهرة والسويس وقد حاول دلسبس إقناع عباس بفائدة المشروع فأرسل إليه تقرير عن طريق قنصل هولندا العام بمصر ، ولكن عباس رفض المشروع .

ولما تولى سعيد الحكم ، عزم دلسبس على استغلال صداقته لتنفيذ المشروع فحضر إلى الإسكندرية في نوفمبر ١٨٥٤ لتقديم التهنئة ، وفي اليوم التالى عرض

(١) جورج حلیم کیرلس : المرجع السابق ، ص ٨٩

(٢) P 236, D.A : Egypt in the 19 th century , Cameron

(٣) جورج حلیم کیرلس : المرجع السابق ، ص ٩١

مشروع القناة على سعيد فقبل سعيد المشروع . ولما عاد إلى القاهرة منح دلسبس عقد امتياز تأسيس شركة عامة لحفر قناة السويس واستثمارها ٩٩ سنة ابتداءً من فتح القناة للملاحة، وبعد أن أعطى سعيد الامتياز لدلسبس أمر " لينان بك " و " موجيل بك " بمرافقة دلسبس إلى برزخ السويس لدراسة المشروع وتقديم تقرير عن نتيجة الدراسة واتفقوا جميعاً في أن القناة تنشأ من بلويزة على البحر المتوسط إلى السويس على البحر الأحمر.^(١)

وافق الباب العالي على المشروع ، ثم فتح دلسبس باب الإشتراك في شراء أسهم شركة القناة مقدراً رأس مال الشركة بمبلغ (٢٠٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك) وهو مكون من (٤٠٠.٠٠٠ سهم) ، ثمن السهم ٥٠٠ فرنك.^(٢) واستخدم المبلغ المجموع لاستقدام لجنة هندسية دولية مشكلة من سبعة من المهندسين لدراسة المشروع وتطلع على التقرير الذي وضعه " لينان وموجيل بك " وبعد الدراسة أثبتت اللجنة أن سطح البحرين واحد وأن الأراضي صالحة لاجتياز القناة المالحة.^(٣)

● شروط الامتياز (٥ يناير ١٨٥٦)^(٤)

١- قيام شركة قناة السويس بإنشاء قناة للملاحة البحرية بين خليج الفرما على البحر المتوسط والسويس على البحر الأحمر، وترعة للمياه العذبة صالحة للملاحة النهرية تصل بين النيل عند القاهرة والقناة البحرية عند بحيرة التمساح، وفرعين للرى والشرب يستمدان مياههما من هذه الترعة قبل مصبها في بحيرة التمساح ويتجهان إلى السويس والفرما .

(١) أحمد أحمد الحنة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن ١٩ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٤٧

(٢) عمر الاسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر ، ص ٢١٢

(٣) الياس البوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا ، مج ١ ، ص ٣٣

(٤) أحمد أحمد الحنة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن ١٩ ، ص ٢٤٧ ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩

٢- تنازل الحكومة للشركة مجاناً عن جميع الأراضي المملوكة لها والمطلوبة لإنشاء القناة المالحة وترعة المياه العذبة وتوابعها دون أن تدفع الشركة عنها ضريبة، وكذلك جميع الأراضي القابلة للزراعة لتستصلحها الشركة وترويا وتزرعها مع إعفاء هذه الأطنان من الضرائب لمدة عشرة سنوات من تاريخ استثمارها .

٣- للشركة حق انتزاع الأراضي المملوكة للأفراد مما ترى لزومها لإجراء الأعمال والانتفاع بالامتياز في مقابل أن تدفع الشركة لأصحابها تعويضات عادلة .

٤- على أصحاب الأطنان الواقعة أملاكهم على ضفاف الترع التي تنشئها الشركة إذا أرادوا رى أراضيهم بمياهها أن يحصلوا على ترخيص بذلك من الشركة مقابل تعويض يؤدونه لها .

٥- للشركة طول مدة الامتياز الحق في استخراج جميع المواد اللازمة لأعمال البناء والمحافظة على المباني والمنشآت التابعة للمشروع من المناجم والمحاجر المملوكة للحكومة المصرية بدون أن تدفع أى ضريبة أو رسم أو تعويض . وكذلك أعفت الحكومة المصرية الشركة من جميع رسوم الجمارك وعوائد الدخل وغير ذلك مما تستورده الشركة من الخارج من آلات ومواد .

٦- حددت مدة الامتياز بـ ٩٩ سنة من افتتاح القناة البحرية للملاحة وبعد انتهاء هذه المدة تؤول القناة الى الحكومة المصرية .

٧- حق الشركة في أن تفرض رسوماً وتحصلها على الملاحة وإرشاد السفن وسحبها وجرها بشرط تحصيل تلك الرسوم من جميع السفن بدون أى استثناء أو تفضيل وبشرط ألا تتعدى عشرة فرنكات عن كل طن بحرى من حمولة السفن وعن كل فرد من الركاب .

٨- في مقابل الأراضي والامتيازات الممنوحة للشركة تحصل الحكومة المصرية على حصة قدرها ١٥ ٪ من صافي الأرباح السنوية .

٩- إقرار الحكومة المصرية بأن القناة البحرية من السويس إلى الفرما ستفتتح دائماً كطريق محايد لجميع السفن التجارية التي تعبر القناة من بحر لآخر وبدون تمييز أو تخصيص أو تفضيل للأشخاص أو الجنسيات .

١٠- يكون أربعة أخماس العمال من المصريين وتعهدت الحكومة ببذل مساعدتها للشركة وتكليف جميع موظفيها وعمالها في جميع دوائر المصالح أن يمدوا الشركة بمساعداتهم لها .

- ويذكر " عبدالرحمن الرافعي " أن عقد الامتياز الأول كان يخول الحكومة حق تعيين مديري الشركة ولكن هذا لم يظهر في عقد الامتياز الثاني، واقتصرت المادة (٢٠) من العقد أنه " يرأس الشركة " المسيو فردناند دلسبس " التي تستغرقها الأعمال ومدة أخرى مدتها عشر سنوات تبدأ من تاريخ استغلال الامتياز، وحفظ للحكومة المصرية الحق في تعيين مندوب عنها لدى الشركة يمثل حقوق الحكومة ومصالحها.^(١)

١١- إلغاء جميع النصوص الواردة في عقد الامتياز الأول بتاريخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ والتي تتعارض مع نصوص هذا العقد .

- هذا هو ملخص لشروط الامتياز، وهى شروط فيها روح من التساهل والإسراف من جانب سعيد باشا . وليس من العجب أن يحوى عقد الامتياز تلك الشروط الفادحة، فإن دلسبس هو الذى تولى تحرير العقد ووضع فيه ما شاء من النصوص والأحكام.^(٢)

• مقاومة إنجلترا لمشروع قناة السويس :

اشترط سعيد باشا لصحة الامتياز أن يصدق عليه السلطان العثمانى . فذهب دلسبس إلى الاستانة يلتمس فرمان التصديق . فلقى مناهضة من السفير البريطانى

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، ج١ ، ص ٦٥ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

لدى البلاط العثماني " ستراتفوردي " بإيعاذ من " اللورد بالمستون " وزير خارجية إنجلترا، وأوضح للباب العالي أن كل ما تريده فرنسا من وراء هذا المشروع هو فصل مصر عن الدولة العثمانية بممر مائي يصلح لأن يكون خطاً دفاعياً حريياً، وإنشاء مستعمرة فرنسية في شرق مصر ثم السيطرة على مصر كلها.^(١)

وكانت وجهة نظر إنجلترا في المشروع تتلخص فيما يلي :

١ - نظراً لأن تنفيذ المشروع يستلزم نفقات كثيرة فالغرض الواضح منه سياسي .

٢ - المشروع يؤخر إتمام مشروع السكك الحديدية من الإسكندرية للسويس .

٣ - المشروع وليد سياسة عداوية بالنسبة لمصر من ناحية فرنسا .

- ولكن دلسبس طلب من الإمبراطور نابليون الثالث حماية المشروع الذي أسهمت فيه رؤوس الأموال الفرنسية فتدخل الإمبراطور رسمياً وطلب من سفير فرنسا في العاصمة التركية أن يطلب من الباب العالي أن يوافق على المشروع.^(٢) وعلى الرغم من موقف إنجلترا وتركيا من المشروع، فإن شركة القناة تألفت في ١٥ ديسمبر ١٨٥٨ برأس مال قدره (٨.٠٠٠.٠٠٠) جنيه (٢٠٠ مليون فرنك موزعة على ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ سهم، ثم قسم السهم إلى نصفين فصار عدد الأسهم (٨٠٠.٠٠٠)، واكتتب سعيد باشا بـ (١٧٧.٦٤٢) سهماً أي ما يقرب من نصف مجموع الأسهم، ودفع جزء من ثمنها وقسط الباقي على سنوات.^(٣)

وفي ٢٥ إبريل ١٨٥٩ بدأ حفر قناة السويس على الرغم من أن السلطان العثماني لم يكن قد صدق على عقد الامتياز. فسعت إنجلترا إلى تركيا لوقف العمل حتى أرسلت الحكومة العثمانية إلى سعيد أمراً بوقف الحفر في القناة، ولكن نابليون

(١) محمد مصطفى صفوت : إنجلترا وقناة السويس - ١٨٥٤ - ١٩٥١ - ص ٢١

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : مشكلة قناة السويس ١٨٥٤ - ١٩٥٨ - ص ١٣

(٣) عبدالرحمن الراجحي : المرجع السابق، ج ١ ص ٧٦

الثالث سعى لدى تركيا لإبطال هذا الأمر. وقد بلغ عدد المشتغلين في القناة في أواخر عهد سعيد ٢٥.٠٠٠ عامل .

وفي ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ وصلت مياه البحر المتوسط في قناة السويس حتى بحيرة التمساح ^(١).

ولما اعتلى إسماعيل عرش مصر في سنة ١٨٦٣ كان له اعتراض على بعض النقاط من شروط الامتياز وهي:- ^(٢)

١- تعهد الحكومة بتقديم العمال الذين تحتاج إليهم الشركة حتى عشرين ألفاً ومطالبة الحكومة بتعويض في حالة تقصيرها وعجزها عن تقديم هذا العدد .

٢- ملكية الشركة لترعة المياه العذبة .

٣- ملكية الشركة لجميع الأراضي التي ترى أنها في حاجة إليها لحفر القناة وإعفاؤها من الرسوم الأميرية عنها على الدوام .

٤- اضطرار الحكومة إلى نزاع ملكية الأقطان للأفراد إذا احتاجت إليها الشركة .

وفي هذا الشأن أرسل إسماعيل وزيره نوبار إلى فرنسا للمفاوضة في إلغاء تلك الشروط ووافق الخديوي على تحكيم نابليون الثالث للفصل في هذا النزاع وكان بذلك يمثل الخصم والحكم بسبب عطفه على دلبسب الذي يمت بصلة قرابة إلى " أوجيني " زوجة نابليون الثالث.

● وفي ٦ يوليو سنة ١٨٦٤ أصدر نابليون الثالث حكمه كالاتي : ^(٣)

١- إبطال حق الشركة مطالبة الحكمة بتقديم العمال المصريين وإلزام الحكومة مقابل ذلك بتعويض مالي للشركة ومقداره ١٨.٠٠٠.٠٠٠ فرنك .

(١) أحمد أحمد الحنة : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٢) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الخديوي إسماعيل رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - ص ٥٧

(٣) عبدالرحمن الراجحي : المرجع السابق ، ص ٩٦

٢- تنازل الشركة للحكومة عن كل حق في ترعة المياه العذبة مع احتفاظ الشركة بحق الانتفاع بها وإلزام الحكومة مقابل هذا التنازل بأن تدفع للشركة تعويضاً قدره ١٦.٠٠٠.٠٠٠ فرنك .

٣- جعل الأراضي المملوكة للشركة واللازمة للمشروع ٢٣.٠٠٠ هكتار منها ١٠.٢٦٤ هكتار على جانبي القناة البحرية وملحقاتها ، ٩.٦٠٠ هكتار للترعة العذبة وثلاثة آلاف هكتار لمباني الشركة .

٤- إعادة الأراضي الأخرى التي اتضح عدم لزومها للمشروع ومساحتها ٦٠.٠٠٠ هكتار مقابل تعويض تدفعه الحكومة وقدره ٣٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك .

٥- إلزام الحكومة المصرية مقابل ذلك جميعاً بدفع تعويض ٨٤.٠٠٠.٠٠٠ فرنك (٣.٣٦٠.٠٠٠ جنيه) ^(١)

ويعد هذا الحكم من الأحكام الجائرة في التاريخ ، وقد وضعه دلسبس قائلاً بأن هذا التحكيم هو السند الأساسي للشركة ووثيقة الكفالة والاطمئنان ^(٢).

والخلاصة خرجت مصر من هذا التحكيم بصفقة ورطت إسماعيل في اتفاق جر على مصر الخسائر الجسيمة . ولو أن إسماعيل تمسك بشروطه ولم يقبل التحكيم لما استطاعت الشركة أن تخطو خطوة واحدة في العمل ، لأن كل شيء كان معلقاً على الأيدي العاملة المصرية ، ولكن شاء حظ مصر العاثر أن يركن إسماعيل إلى العدالة الأوروبية فوق على يدها ما رأينا من الظلم والتعسف ^(٣).

مقابل إعفاء الحكومة عن تقديم العمال لحفر القناة .	(١) ١.٥٢٠.٠٠٠ جنيه
مقابل تنازل الشركة عن حق إنشاء الترعة العذبة	٦٤٠.٠٠٠ جنيه
مقابل تنازل الشركة عن وعدها في ملكية الأراضي	١.٢٠٠.٠٠٠ جنيه

المجموع ٣.٣٦٠.٠٠٠ جنيه

(٢) صالح رمضان : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٣) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

- وفي ٢٢ فبراير ١٨٦٦ عقد إسماعيل اتفاقاً مع الشركة يتضمن الشروط الواردة في عقد الامتياز وما طرأ عليها من تعديلات^(١). وفي ١٩ مارس ١٨٦٦ صدر فرمان السلطان العثماني بالتصديق على اتفاق ٢٢ فبراير ١٨٦٦. وعقد إسماعيل والشركة اتفاقاً آخر في ٢٣ إبريل ١٨٦٩ ألغى فيه الشرط الخاص بإعفاء مستوردات الشركة من الخارج من الرسوم الجمركية وأعطاهم مقابل ذلك تعويضاً قدره عشرون مليون فرنك وتنازلت الشركة للحكومة عن المباني والمستشفيات مقابل عشرة ملايين فرنك^(٢) وهي كالآتي :-

١- المستشفيات المبنية في البرزخ ومعدات

٢- البيوت والمباني المملوكة للشركة في رأس العش والكيلو ٣٤ والقنطرة وبحيرة البلاح والفردان والجسر والشونة رقم ٦ وجبل مريم وطوسون وسرابيوم وجنيفا والشلوفة والكيلو ٤٨ من بر السويس .

٣- محاجر المكس ومفياؤها وجميع أدوات الاستغلال .

٤- مخازن ومحلات بولاق ودمياط .

وهنا أستطيع أن أقول أن هذا الاتفاق قضي على آمال إنجلترا في القضاء على المشروع^(٣).

وفي ١٨ أغسطس ١٨٦٩ انتهت أعمال حفر القناة حيث تلاقت مياه البحرين بعد عشر سنوات من الجهد والعرق بطول ١٤٦ كم ، وأنشئت على شاطئها مدينتي بور سعيد والإسماعيلية .

(١) أحد أحد الحجة : المرجع السابق ص ٢٥٥ .

(٢) عبدالرحمن الراجحي : نفس المرجع ص ٩٩ (نقلاً عن كتاب برزخ السويس للمسieur شارل رو جـ ١ ، نص ٥٠١) .

(٣) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

• انتهاء العمل وافتتاح القناة ١٧ نوفمبر ١٨٦٩

بعد انتهاء العمل وافتتاح القناة، أقام إسماعيل لهذه المناسبة الحفلات الفخمة التي لم يعرف التاريخ مثلها في الإسراف والتبذير، ويكفيك دليلاً على ذلك الإسراف أن تعرف أن نفقات الحفلات قد بلغت على أصح تقدير ١.٤٠٠.٠٠٠ جنيه. ^(١)

وكان غرض إسماعيل هو تجميع أكبر عدد من الرموز في حفل افتتاح قناة السويس ليس فقط الملوك والحكام وإنما أيضاً كل مشاهير العالم المتحضر في العلوم، الفنون، الآداب، الصحافة، التجارة، الاقتصاد والسياسة. وقد أصدرت الدعوات باسم شركة قناة السويس، لذا كان من المنطقي أن يكون معظم الزوار من الفرنسيين. ^(٢)

ومن أجل هذه الحفلات استحضر الخديوى ٥٠٠ طاه وخادم من فرنسا وإيطاليا علاوة على الطهارة والخدم من المصريين والأتراك. ^(٣)

وقد أصدر إسماعيل أوامره بإعداد وتجهيز ديوان محافظة القنال لأجل إقامة "أوجيني"، وأشرف بنفسه على تأثيث وفرش الديوان، كذلك عمل على استئجار قصور الأغنياء لكي يقيم بها ضيوفه أثناء تلك الاحتفالات. كما أصدر أوامره بوضع مواسير المياه وتركيب الحنفيات على الطريق الممتد من الجيزة إلى الأهرام، وإنشاء طريق جديد من محطة البدرشين إلى سقارة، وبناء فندقين في نهاية الطريقين على ألا تزيد نفقاتهما على ٣ آلاف جنيه وأن يكون بناء الفندقين على الطراز الإفرنجي. ^(٤)

(١) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٩٩.

(٢) Dicay, E.: The story of the khedivate p 74

(٣) جورج حليم كيرلس : المرجع السابق ، ص ٩٩.

(٤) صالح رمضان : المرجع السابق ، ص ٦٠.

وقد أقيم من أجل هذه المناسبة أيضاً قصرأ فخماً على شاطئ بحيرة التمساح و١٢٠٠ خيمة لإقامتهم . وقد أقيمت في هذه الحفلة ثلاث منصات - خصصت المنصة الكبرى للملوك والأمراء وكبار المدعوين ، والثانية لرجال الدين الإسلامي ، والثالثة لرجال الأكليروس .^(١)

وافتحت القناة رسمياً للملاحة بعبور السفينة " إيجل " حاملة على ظهرها ملوك وعظماء العالم تتبعها ٧٧ سفينة منها ٥٠ سفينة حربية .^(٢)

جدول (٤)

حركة الملاحة في قناة السويس منذ افتتاحها حتى سنة ١٨٧٧ :

السنة	عدد السفن	الحمولة بالطن	الإيرادات من مرور السفن والمسافرين	المصروفات
			دولار	دولار
١٨٧٠	٤٨٦	٤٣٥.٩١١	٩٩٥.٧٥٢	محذوفة
١٨٧١	٧٦٥	٧٦١.٤٦٧	١.٧٣٥.٧٩٠	محذوفة
١٨٧٢	١.٠٨٢	١.٤٣٩.١٦٩	٣.١٧٦.٦٦٥	محذوفة
١٨٧٣	١.١٧٣	٢.٠٨٥.٠٧٢	٤.٤١٨.١٨٢	٣.٣٤٦.٦٢٠
١٨٧٤	١.٢٦٤	٢.٤٢٣.٦٧٢	٤.٧٩٧.٨٦١	٣.٦٠٣.٨٤٠
١٨٧٥	١.٤٩٤	٣.٩٤٠.٧٠٨	٥.٥٧٥.٠٥٦	٣.٤٢٥.٠٩٢
١٨٧٦	١.٤٥٧	٣.٠٧٢.١٠٧	٥.٧٨٥.١٧٤	٣.٣٢٨.٢١٩
١٨٧٧	١.٦٦٣	٣.٤١٨.٩٤٩	٦.٣٢٥.٤٤٨	٣.٣٦٩.٣٨٨

المصدر : أحمد أحمد الحنة : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن ١٩

الفتائج التي ترقبت على حفر قناة السويس :

- يعتبر مشروع حفر قناة السويس علامة بارزة في إطار التطوير الملاحي والتي استطاعت أن تضع مصر في دور الذروة . فبعملية جراحية جغرافية اختزلت قارة برمتها وهي قارة أفريقيا بدلاً من إتباع طريق رأس الرجاء الصالح .^(٣)

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، ج١ ، ص ١٠٠ .

(٢) جورج حليم كيرلس : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) خلف عبدالعزيز الميرى : تاريخ البحرية التجارية المصرية ، ص ١٠١ .

- ومن ناحية أخرى فقد سهلت المواصلات بين أوروبا والشرق وقربت المسافة بينهما مما أدى إلى قلة النفقات واتساع حركة التبادل بين الدول . فعاد ذلك على التجارة بالفوائد الكبيرة ، كما أنها خدمت الدول الصناعية في أوروبا وخاصة إنجلترا إذ ربطت تلك الدول بمستعمراتها وأسواقها التي تصرف فيها مصنوعات وتستمد منها المواد الخام اللازمة لمصانعها .^(١)

- تعمير منطقة القناة حيث أدى حفر القناة إلى إنشاء مدن في منطقة مثل بورسعيد والإسماعيلية والقنطرة ، وساعدت على تقدم السويس ، كما أن بعض الأراضي في تلك المنطقة استغلّت في الزراعة مما أدى إلى زيادة الإنتاج الزراعي . وكذلك اشتغل بعض المصريين في منطقة القناة وزيادة عددهم مع مرور الزمن .

- ساعدت على بروز مينائي بورسعيد والسويس وانزواء ميناء القصير بالنسبة للبحر الأحمر ، ثم انتعاش مينائي سواكن ومصوع كحلقة اتصلت بالحركة البحرية الوافدة والمتجهة بينها وبين الموانئ المصرية .

- خسارة مصر المالية

تعتبر إحدى النتائج التي ترتبت على افتتاح قناة السويس ، حيث حول ذلك حركة نقل المسافرين والبريد والبضائع بين الشرق والغرب من السكك الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة والسويس إلى القناة . وبذلك فقدت مصر الأرباح التي كانت تحصل عليها من تلك العملية لأن رسوم المرور في القناة ملك للشركة مدة ٩٩ سنة - حسب شروط الامتياز .^(٢)

(١) أحمد أحمد الحنة : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر ، ص ٢٥٧

(٢) أحمد أحمد الحنة : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

أما ما أنفقتة مصر في إنشاء القناة فكان كالاتي :^(١)

قيمة الاسهم التي اشتراها سعيد باشا .	٣.٥٠٠.٠٠٠ جنيه
قيمة التعويض الذي قدره نابليون الثالث عند الحكم	٣.٠٠٠.٠٠٠ جنيه
ثمن أراضي ومباني الوادى التي أخذتها الحكومة من الشركة	٤٠٠.٠٠٠ جنيه
تعويض عن أعمال ادعت الشركة إجرائها في ترعة الإسماعيلية	٤٠٠.٠٠٠ جنيه
صرفت للمقاولين الفرنسيين نظير إتمام الترعة	٨٠٠.٠٠٠ جنيه
أنفقتها الحكومة في إنشاء الترعة الحلوة .	٤٠٠.٠٠٠ جنيه
نفقات احتفالات القناة .	١.٠٠٠.٠٠٠ جنيه
فائدة هذا المال التام استهلاكه .	٧.٠٠٠.٠٠٠ جنيه

المجموع (ستة عشر مليوناً وخمسمائة ألف جنيه) . ١٦.٥٠٠.٠٠٠

وفي نهاية حديثنا عن قناة السويس كان لزاماً علينا أن نكون منصفين في حكمنا على إسماعيل وأن نذكر له:^(٢)

- ١ - استبقاؤه ستين ألف هكتار من الأراضي من الشركة العامة الفرنسية .
 - ٢ - استعادة امتياز ترعة المياه العذبة
 - ٣ - احتفاظه بحصة الخمسة عشرة في المائة من صافي أرباح الشركة .
 - ٤ - أما من الناحية الأدبية والمبادئ :-
- (أ) أبطل السخرة .
- (ب) حفظ لمصر سيادتها على أرضها وأبعد عنها الاستعمار الأجنبي .
- (ج) حافظ على مرافق مصر العامة بحرمانه شركة قناة السويس امتيازاً هو الآن من حق الدولة .

(١) صالح رمضان : المرجع السابق ، ص ٦١ نقلاً عن أمين سامي : تقويم النيل في عصر - إسماعيل المجلد الثالث ، ج ٣ ، ص ١٣٣٦ .

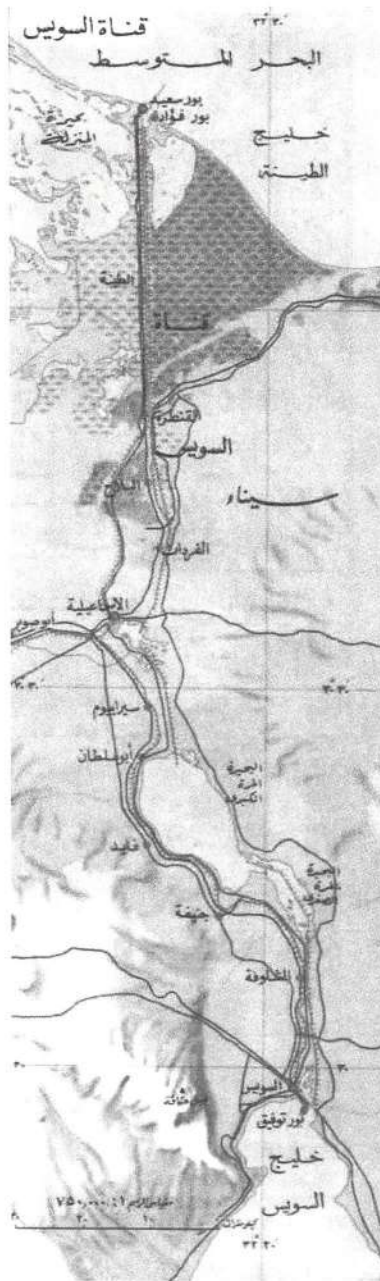
(٢) بيركراتيس : إسماعيل المفترى عليه ، ص ٦٨ ، ص ٦٩ .

شكل رقم (٤٤)



الخديوى اسماعيل و الامبراطورة اوجينى

شكل رقم (٤٥)



خريطة قناة السويس

الفصل الثالث

مشروعات الري

- ١ - مقدمة
- ٢ - التربة الإبراهيمية
- ٣ - قناطر التقسيم
- ٤ - التربة الإسماعيلية
- ٥ - الترع الأخرى
- ٦ - إصلاح القناطر الخيرية

مقدمة

كان سعيد باشا قد اهتم بصيانة وسائل الري ، وتمت في عهده ترعة المحمودية ، وانشئت محطة للطلربات عند العطف لتغذيتها بالمياه ، كما أصلح غيرها من الترع التى امتدت إليها يد الإهمال فى عهد عباس الأول ، وأنشئ فى عهده رياح المنوفية . كما أن إسماعيل لم يغفل ما للرى من أثر فى توسيع الرقعة الزراعية وزيادة الإنتاج القومى.^(١)

فكان أول ما وجه إليه إسماعيل همته هو العمل على إنماء ثروة مصر الزراعية بتوفير وسائل الري فكان لهذه الوسائل الفضل فى زيادة إنتاج الأراضي المزروعة وإحياء الأراضي القابلة للزراعة.^(٢)

ومن الجهود التى بذلها إسماعيل لتحسين نظام الري فى مصر :

- الترع : حفر فى عهد إسماعيل الكثير من الترع ، وقد بلغ عدد ما حفر وما أصلح نحو ١١٢ ترعة .^(٣) أهمها بلا شك الترعة الإبراهيمية والتى بفضلها تحول نظام الري فى مديريات أسىوط والمنيا وبنى سويف إلى الري الصيفي وبهذا أمكن زراعة القطن وقصب السكر فى هذه المديريات ورى الأراضي الواقعة على ضفافها فى غير أوقات الفيضان .^(٤)

والترعة الإسماعيلية والتى تروى أطيان مديرتي القليوبية والشرقية وجهات قناة السويس . ومن أهم أعمال الري فى عهد إسماعيل أيضا إصلاح رياح المنوفية

(١) رؤوف عباس حامد : مصرف القرن التاسع عشر ، ص ١٤٧

(٢) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل - الجزء الثانى - ص ٥٥

(٣) أحمد أحمد الحنة : تاريخ مصر الإقتصادى فى القرن التاسع عشر - ص ٦٢

(٤) محمد فهمى لمبطة : تاريخ مصر الإقتصادى فى العصور الحديثة ، ص ٢٠٤

وتعميقه وبناء قناطر، فصار أهم مصدر للرى في مديرتي المنوفية والغربية، وكذلك تحويل كثير من الترع النيلية إلى ترع صيفية .

• القناطر : بلغ ما أنشئ في هذا العهد من قناطر الترع والرياحات ٤٢٦ قنطرة منها ٢٧٦ في الوجه البحري، و ١٥٠ في الوجه القبلي .

وقد تم إصلاح القناطر الخيرية مما طرأ عليها من خلل في بعض عيوبها بسبب ضغط المياه .

• آلات الرى : كان عدد آلات الرى في سنة ١٨٧٣ كالآتي :

٣٠.٠٨٠٤ ساقية، ٦.٩٢٦ تابوت، ٧٠.٥٠٨ شادوف و ٤٧٦ آلة بخارية

وبالنسبة للآلات البخارية فيذكر " الياس الأيوبي " : أنه استقدم من أوروبا عدداً عظيماً من ماكينات الرى البخارية، وكان استعمالها قد شاع هناك، وحلت محل معظم الآلات الرافعة وأقامها في أطيانه الخاصة . فاقتدى به كبار الملاك وصغارهم من الباشا والبلك إلى العمدة والشيخ .^(١)

وأدى هذا الإصلاح في نظام الرى إلى زيادة الأراضي المزروعة من ٤.٠٢٥ فدان في آخر سنة من سنى سعيد إلى ٥.٤٢٥ فدان في آخر سنة من حكم إسماعيل أي زيادة ١.٣٧٣ فدان في ١٦ عام . وكان نتيجة إلى ذلك أن زادت الكميات الناتجة من جميع المحاصيل وزاد محصول القطن، فقد كانت الكمية التي صدرت فيه في سنة ١٨٦١ (٥٩٦.٢٠٠ قنطاراً)، وبلغت في سنة ١٨٦٥ (٢.٠٠١.١٦٩) قنطاراً أي حوالي أربعة أضعاف .^(٢)

وعلى الرغم من هذا التقدم . كان نظام الرى لا يزال معيباً فمستوى المياه في الصيف منخفض عن الأراضي الزراعية بعدة أمتار، مما استلزم رفع المياه إلى الأطين

(١) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا ، المجلد الأول ، ص ٨٨ .

(٢) حامد سليم : بعض نواحي تاريخ الزراعة - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ص ١٣٦ .

بآلات الري . والترع يرتفع قاعها كل سنة في أثناء الفيضان مما استلزم تطهيرها سنوياً، وبذلك ضاع جزء من العمل في رفع المياه في الصيف وتطهير الترع في الربيع.^(١)

١- الترعة الإبراهيمية

هى أعظم الترع التى أنشئت في عهد إسماعيل . وتعد من أعظم منشآت الري في العالم، تأخذ مياهها من النيل عند أسيوط، وتنتهى عند اشمنت بمديرية بنى سويف، ويبلغ طولها ٢٦٧ كيلومتراً، وتروى مديريات أسيوط والمنيا وبنى سويف.^(٢)

وقد تم شق الترعة على فترتين زمنيتين كل سنة. الأولى تقع في يناير وفبراير والثانية في مايو ويونيو، وذلك في الفترة من عام ١٨٦٧ وحتى عام ١٨٧٣ . وقام بإنجازه مائة ألف عامل.^(٣) وسميت هذه الترعة بالإبراهيمية باسم والد الخديوى إسماعيل باشا أثاراً وتذكيراً لحياته.^(٤) وتبلغ مجموع مساحات الأراضي التى تروى منها ما يقرب على مليون من الأفدنة منها ٧٠٠ ألف فدان تروى رياً صيفياً.^(٥)

ويرجع السبب المباشر لإنشاء هذه الترعة إلى حدثين متتالين زمنياً، فالحدث الأول نشأ بسبب أن الخديوى إسماعيل وضع يده في بداية ولايته عام ١٨٦٣ على أراضي الفيوم، وتم تسميتها بتفتيش الفيوم ثم ألحقت بأراضي الدائرة السنية ومن أجل أن يتم إقامة زراعات صيفية بهذه الأراضي أراد أن يزيد من تصرف المياه

(١) أحمد أحمد الحجة : المرجع السابق، ص ٦٣ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق، الجزء الثانى، ص ٦٤ .

(٣) أحمد حلمى السيد سليمان : الري في مصر وأثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ١٨٠٥ - ١٩٢٣ رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ٢٠٠٥، ص ١٨١ .

(٤) الياس الأيوبى : المرجع السابق، ص ٩٠ .

(٥) محمد كامل نبيه: المنشآت الهندسية العامة - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ص ١٦٣ .

الواردة لبحر يوسف، الذي هو في حقيقة الأمر المنبع الوحيد الذي يمد الفيوم بالمياه. ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية في وقت وجيز تم توصيل بحر يوسف بالترعة المنفلوطية، وترتب على هذا الأمر تعميق بحر يوسف مع تعميق الفم الجديد. وبذلك زادت كميات المياه الواردة للفيوم. ولم يكد هذا العمل يتم حتى وضع الخديوي إسماعيل يده على مساحة أخرى قدرها ٣٣٣.٢٣٣ فدان واقعة شمال مدينة أسيوط وممتدة بطول قدره ٢٩٥٥ كم وموازي للضفة الغربية للنيل وقدره ٢٩٥ كم. ومن ثم فقد أصبح من الطبيعي الاتجاه للتفكير في عمل ترعة صيفية كبيرة لرى هذه الأراضي الشاسعة^(١).

ويرجع الفضل في وضع تصميم الترعة الإبراهيمية إلى المهندس المصري مصطفى بهجت، الذي كان مفتشاً لهندسة الوجه القبلي، وقد بدأ بإنشائها ١٨٦٧. ولما انتقل للعمل في الوجه البحري خلفه المهندس سلامة باشا الذي تولى إنشاء قناطر الترعة، ثم خلفه إسماعيل باشا محمد والذي في عهده تم العمل.

مزايا الترعة الإبراهيمية^(٢)

أولاً: أن هذه الترعة هي من أعظم ترع الدنيا، وهي تسقي بفروعها ابتداء من ملوى بمديرية أسيوط إلى ناحية اشمنت بمديرية بنى سويف أى بطول حوالى ١٨٨ كم بدون إبورات وسواقي أو شواذيف، بخلاف الترعة الصيفية بالوجه البحري. وبهذه الحالة يتوفر على المزارعين كلفة السقية وهي ميزة عظيمة للرى.

ثانياً: لاشك أن زراعة القطن قبل إنشاء الترعة الإبراهيمية كانت محصورة في الوجه البحري، وكان الإنتاج من ٣ قنطار إلى ٤ قنطار على الأكثر وبعد إنشاء الترعة الإبراهيمية صارت مديريات أسيوط والمنيا وبنى سويف والفيوم يزرعون القطن فزاد محصول القطن في مصر.

(١) أحمد حلمى السيد سليمان : نفس المرجع ، ص ١٨٢

(٢) محمد إسماعيل حب الرمان : أعظم ترعة للرى في الدنيا - الترعة الإبراهيمية ، ص ٨٣ ، ٨٤

ثالثاً: محصول السكر الفضل فيه للترعة الإبراهيمية . فقد أنشأ الخديوى إسماعيل فاوريقات السكر العظيمة على الترعة الإبراهيمية، ووصل عددها إلى ١١ فاوريقة . ومن ناحية أخرى فقد زاعت شهرة الترعة الإبراهيمية وأصبحت ذات شهرة عالمية . وفى هذا الصدد أذكر أن المهندس الانجليزى الشهير (السيرجون فولر) قد حضر إلى مصر فى وقت البناء وشاهد العمل بنظرة العالم والمهندس فقال (يلزم أن السائحين اللذين يحضرون إلى مصر لمشاهدة الآثار القديمة أولى بهم أن يشاهدوا الآثار الجديدة التى هى الترعة الإبراهيمية وقناطرها) . وفى أثناء العمل أيضا حضر إلى مصر أحد مفتشي الري العظام من أمريكا بقصد البحث عن طرق الري والصرف ببلاد الهند والقطر المصرى، وبعد أن تم مأموريته من الهند حضر إلى مصر فالوجه القبلى، وبمروره على الترعة الإبراهيمية وقناطرها استحسّن ذلك كثيراً .

والحقيقة أن الترعة الإبراهيمية كانت نقطة تحول كبرى فى تاريخ الري الصناعى المصرى فى القرن التاسع عشر مثلها مثل القناطر الخيرية وخزان أسوان . فهذه الترعة لها مزايا اقتصادية واجتماعية هامة نابعة من حجمها الغير مسبوق طولاً وتصرفاً وزماماً، وانعكس ذلك على سياسات مصر الزراعية وجعلها تستند إلى ظهير من الثقة . فالترعة الإبراهيمية فى سياق تاريخ الري المصرى فى العصر الحديث هى مشروع تنموى كبير فى حجمه بسيط فى فهمه، صنع بأيد وعقول مصرية خالصة وتم تنفيذه بقناطر تامة، ايزاناً بإعلان زوال ثنائية القوة والسخره وحلول ثلاثية المنطق ممثلة فى العلم والهندسة والتنمية . كما أنها تمت بقناعة المصرى فلاحاً ومهندساً. إنها الخير لمصر على المدى البعيد رغم أن خيرها على المدى القصير كان للخديوى وغيره من أصحاب معامل السكر .^(١)

(١) أحمد حلمى سليمان : نفس المرجع ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ .

شكل رقم (٤٦)



ترعة الإبراهيمية

٢ - قناطر التقسيم

أقيمت على الترعة الإبراهيمية خمس قناطر هي : قناطر التقسيم بديروط ، قناطر المنيا، قناطر مطاى، قناطر مغاغة، قناطر بيا.^(١)

وأعظم هذه القناطر شأناً هي قناطر التقسيم، والتي أقيمت عند ديروط على بعد ٦٠ كم من فم الترعة . وهي مجموعة قناطر متصلة ببعضها البعض، ومنشيدة بشكل هندسى بديع توزع كل منها المياه على فرع من الفروع الآخذة من الترعة .^(٢)

ويذكر " محمد إسماعيل " (مهندس الترعة الإبراهيمية) أن جميع هذه القناطر يجمعها جميعها فرش واحد ماعدا قنطرة المضرف، وبلغ عدد العمال فيها حوالي ٨٠٢٠٠ عامل.^(٣) مبنية من الحجر الدستور والطوب الأحمر .

وقناطر التقسيم هي خمس قناطر مركبة على الترعة الإبراهيمية : الأولى : قنطرة الإبراهيمية وهي على الترعة الإبراهيمية خاصة وهي بسبع عيون، والثانية : قنطرة بحر يوسف وهي بخمس عيون وهويس، الثالثة : قنطرة فم الترعة الديروطية وهي ذات ثلاث عيون، الرابعة : قنطرة فم ترعة الساحل وهي بعينين اثنتين ، الخامسة : قنطرة ترعة حوض الدجاوى وهي بعينين اثنتين.^(٤)

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية - ج ١٩ ، ص ١١٩ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل : ج ٢ ، ص ٨ .

(٣) محمد إسماعيل حب الرمان : المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ص ٣٥ .

(٤) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٩ ، ص ١١٩ .

الأرقام الكائنة على قناطر التقسيم بديروط جدول رقم (٥)

أسماء القناطر	منسوب الفرش	المسـيون		منسوب سطح الأرصقة الأمامية	الأهـوسة
		عدد	عرض		
	متر		متر	متر	
فم حوض الدجاوى	٤٢,٧١٥	٢	٣	٤٧,٥١٥	
فم بحر يوسف	٣٩,٣١٥	٥	٣	٤٧,٥١٥	له هاويس طول ٣٥ متر ٨,٥٠ متر عرض
فم ترعة الديروطية	٤٠,١١٥	٣	٣	٤٧,٥١٥	
موازنة الترعة الإبراهيمية	٣٩,٣١٥	٧	٣	٤٧,٥١٥	له هاويس طول ٣٥ متر ٨,٥٠ متر عرض
فم الترعة الساحلية	٤٠,٩١٥	٢	٣	٤٧,٥١٥	
المصرف	٤٢,٩٦٥	٥	٣	٤٧,٥١٥	له هاويس طول ٣٥ متر ٨,٥٠ متر عرض ومنسوب فرشاة ٤١,٣١٥

المصدر : أحمد حلمى السيد سليمان : الرى فى مصر وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ١٨٠٥ - ١٩٢٣

- رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ٢٠٠٥

وتعد قناطر التقسيم من أعظم قناطر الرى فى الدنيا . وهى من تصميم المهندس الكبير بهجت باشا، وتناوب على بناءها هو وسلامة باشا ثم إسماعيل باشا محمد، ومن المهندسين اللذين كانوا يلاحظون أعمال الحفر والبناء فيها : محمد بك أبو السعود، يوسف بك الحكيم، رجب بك سرى ، أحمد بك سعيد ، على بك برهان، محمد بك فهمى ، حسن بك وصفى وكان ابتداء بنائها سنة ١٨٦٩ م وتمت سنة ١٨٧١ . وقد نظم الشعراء القصائد تاريخياً لهذا العمل العمرانى الجليل، فما قاله فى هذا الصدد السيد على أبو النصر المنفلوطى أحد شعراء ذلك العصر :

أحيى عنايات الخديوى ملكه	فما بطالع سعه التنظيم
وأفاد بحر النيل حسن تصرف	حتى ارتوى بالراحة الإقليم
وأراد ثروته فأحكم ترعة	أبدى على عنوانها إبراهيم
وينى بديروط القناطر مورداً	تقسيمها قد زانه التصميم
فكانها جبل بذروته بدت	آثار مصر حداث وقديمه

ويرسم (إسماعيل) بعد (سلامة) وفى (ببهجة) شكلها التعميم
فلملك (إسماعيل) فى إنشائها فضل يدوم لربه التعظيم
عمت منافعها فقلت مؤرخاً إن القناطر نفعها التقسيم^(١)
(سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م)

أما بالنسبة لباقى القناطر المركبة على التربة الإبراهيمية فهى قناطر المنيا وهى مركبة من قنطرتين أحدهما على التربة الإبراهيمية وهى ذات ثلاث عيون والقنطرة الثانية غرب القنطرة الأولى وهى بثلاث عيون .

قناطر مطاى : وهى القناطر الثالثة من قناطر التربة الإبراهيمية وهى مركبة من قنطرتين أحدهما على امتداد التربة الإبراهيمية وهى بست عيون، أما القنطرة الثانية فهى ذات ثلاث عيون .

قناطر مغاغة : هى القناطر الرابعة للإبراهيمية، وهى أيضاً مركبة من قنطرتين أحدهما على امتداد التربة الإبراهيمية بخمس عيون وهويس، والثانية هى قنطرة قم تربة الفشن وهى بثلاث عيون .^(٢)

ويذكر على مبارك أن قناطر مغاغة كان على قنطرتها الأولى كوبرى لمرور السكة الحديد الزراعية، وعرضه ٤.٥ م . والقنطرة الثانية عليها كوبرى من الخشب عرضه ٤ م لمرور السكة الحديد الزراعية أيضاً.^(٣)

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ج١، ص ٨، ص٩ منقولة عن كتاب أعظم تربة للرى فى الدنيا

(الترعة الإبراهيمية - تحفة الخديوى إسماعيل لصعيد وادى النيل) لمحمد إسماعيل حب الرمان

(٢) محمد إسماعيل حب الرمان : المرجع السابق ، ص ٤٠

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٩ ، ص ١٢٠

جدول رقم (٦)

بيان قناطر الحجز في الموازنة من الأعمال الصناعية الكائنة على التربة الإبراهيمية
بعد قناطر التقسيم وقنطرة التسعة

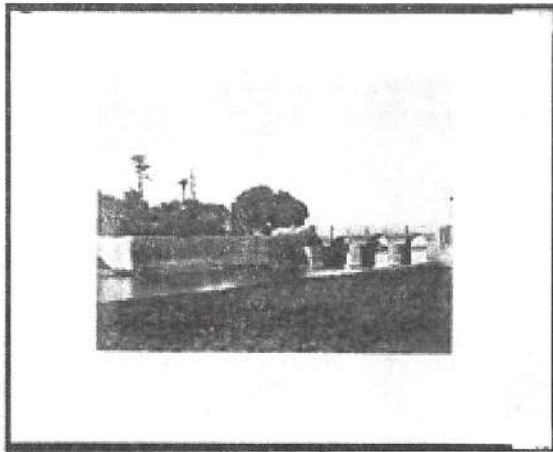
اسم القنطرة	تاريخ الانتهاء من البناء	بعد موقع القنطرة عن فم البناء	العيون		منسوب الفرش	ارتفاع الأرصفة عن سطح الأرض	منسوب أرض الزراعة	الأهوسة
			عدد	متر				
		كيلو متر		متر	متر	متر	متر	
قنطرة المنيا	١٨٧١	١٢٧	٣	٣	٣٥.٢٨	٥.٣٣	٣٩.٥٠	بها هويس
قنطرة مطاى	١٨٧٣	١٦٩	٦	٢.٥	٣٢.٧٧	٤.٤٠	٣٥.٦٠	بها هويس
قنطرة مغاعة	*١٨٧٦	١٩٧	٥	٢.٥	٣٠.٨٣	٤.٠٠	٣٣.٥٠	بها هويس
قنطرة شراهنه	*١٨٧٦	٢٢١	٢	٣	٢٩.٠٠	٤.٢٦	٣٠.٦٠	لا يوجد

المصدر : - أحمد حلمي السيد سليمان : الرى في مصر وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ١٨٠٥ -

١٩٢٣ رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ٢٠٠٥

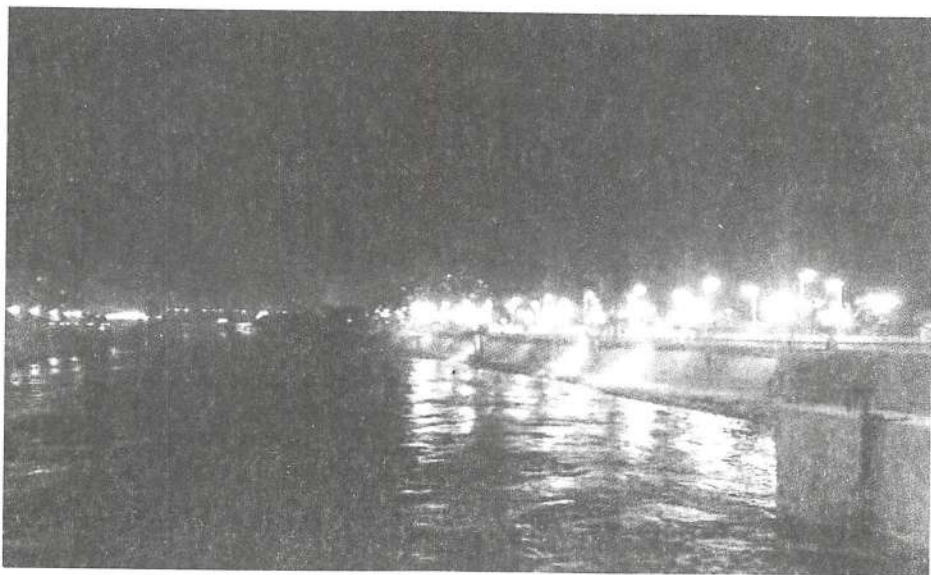
وهكذا فإن إقامة التربة الإبراهيمية وقناطر التقسيم اللتين كانتا حجر الأساس
و محور التنمية لمنظومة الرى الصناعى بمصر الوسطى والفيوم كان بقصد استدامة
الرى بهذه المناطق . ومن هنا أستطيع أن أقول أن هذا العمل العظيم قد ارتفع إلى
مصاف المشروعات القومية .

شكل رقم (٤٧)



التربة الإبراهيمية

شكل رقم (٤٨)



الترعة الإبراهيمية

٣- الترعة الإسماعيلية

هى ترعة يخرج فمها الأول من البحر الأعظم بجوار قصر النيل (الآن بجوار شبرا) وتنتهى عند الإسماعيلية، ثم تتفرع إلى فرعين أحدهما يسير إلى السويس والأخر إلى بور سعيد ، ويبلغ طولها ١٢٩ كم من فمها إلى نفيشة، و ٨٩ كم من نفيشة إلى السويس وعرضها ٢٨ متراً^(١).

وقد أنشئت هذه الترعة والتي كان اسمها فى البداية " الترعة الحلوة " بناءً على اتفاق مسبق بين سعيد باشا والى مصر وبين دلبس، بموجب فرمان ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ والذي تضمن الفقرة التالية بخصوص الترعة^(٢).

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية، ج١٩، ص٤٢ .

(٢) أحمد حلمى السيد سليمان : الري فى مصر- وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ١٨٠٥ - ١٩٢٣ رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ٢٠٠٥ - ص١٧٩ .

" في حالة ما إذا رأت الشركة أنه من الملائم وصل النيل مباشرة بالبرزخ بواسطة مجرى ملاحى، وفي حالة ما إذا اتبعت القناة البحرية تخطيطاً غير مباشر تصله مياه بالنيل " .

ولم يحدد في هذا الحين الاتجاه الذي يراد إعطاؤه للترعة الحلوة ولا الغرض منها. وبعد رحلة في البرزخ قام بها دلسيس مع " لينان بك " و " موجل بك "، اتفقوا على أن يضاف إلى مشروع القناة البحرية مشروع ترعة ملاحية وترعة تغذية وري تأخذ من النيل وتبدأ من بولاق وتسير في الوادى حتى بحيرة التمساح، وتحسب أبعادها وتصميمها بطريقة تنتج تصرفات قادرة على ري (مائة) ألف فدان على الأقل في وقت الفيضان .

وقد وافقت اللجنة الدولية على مشروع الترعة الحلوة التمهيدى الذى تضمن ثلاثة شروط تهدف إلى: ^(١)

١- أن تتسع الترعة لمرور القوارب والبواخر التى كانت تسافر حينذاك في النيل بدون الالتجاء إلى نقل حمولتها .

٢- أن تستوعب كمية كبيرة من المياه تكفى بعد استبعاد الفاقد من التبخر والتسرب في التربة لرى مائة ألف فدان في الموسم الشتوى وستون ألف فدان في موسم التحاريق الصيفي .

٣- أن يكون منسوب المياه مرتفعاً إلى درجة تسمح برى الأراضي الواسعة التى توجد في البرزخ .

واستكمل اسماعيل العمل في هذه الترعة، وسميت على اسمه إكراماً له وأصبحت الملاحة ميسورة فيها حتى للسفن التى حمولتها أربعمائة طن. ^(٢)

(١) أحمد حلمى السيد سليمان : المرجع السابق، ص ١٧٩ .

(٢) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوى إسماعيل - المجلد الأول - ص ٩١ .

ويذكر " على مبارك باشا " أنه بالترعة جملة قناطر أهمها الفم بست عيون ورصيف ملاصق لرصيف قصر النيل الشهير بالمحروسة وبها هويس، وقنطرة سرياقوس، وقنطرة بلييس، وقنطرة العباسية . كذلك أشهر الضواحي الموجودة على كنارى هذه الترعة ضواحي المحروسة وبولاق والزاوية الحمراء والأميرية وسرياقوس وكفر حمزة وأبو زعبل وبلييس والتل الكبير وأراضي الوادي بأكملها ومدينتي الإسماعيلية والسويس . وللترعة فم آخر يعرف باسم رياح الإسماعيلية .^(١) وهكذا كان لهذا الشريان أثر بالغ في رى الأراضي الزراعية بجهات القليوبية والشرقية وقناة السويس، حيث أن هذه الترعة قامت بدور عمراني رائد في غزو الصحراء من جهة شرق الدلتا . وكذلك مد مؤسسات الشركة ومدن القناة بالماء العذب الصالح .^(٢)

ولكن الأهمية الكبرى لهذه الترعة هو تدعيم " التغيير الايكولوجي " الذي نشأ عن اقامة قناة السويس وظهور ثلاثة مدن : الأول مرفأ الشمال ونشأت عليه مدينة بورسعيد ومرفأ الجنوب أو ميناء السويس ومدينته القديمة السويس وكذلك عقد الوسط التي نشأت فيها مدينة الإسماعيلية .^(٣)

ويشير إلياس الأيوبي أنه بوصول ماء النيل العذب باستمرار إلى مدينة السويس لأول مرة منذ نشأتها أمكن هذا الثغر أن يكبر بسرعة عجيبة ويزداد سكاناً وأهمية تجارية .^(٤)

ولهذا فإن الترعة دعمت البعد المكاني لهذه المدن الثلاث، ونشر العمران في محور التنمية العمرانية الذي نشأ كرد فعل مكاني لإقامة مجرى للمواصلات البحرية في هذا المكان .

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج١٩ ، ص٤٢ ، ص٤٣ .

(٢) محمد محمود الصباد : النقل في البلاد العربية - ص٢٨ .

(٣) أحمد حلمي السيد سليمان : المرجع السابق ، ص١٧٩ .

(٤) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص٩١ .

٤ - الترعة الأخرى

من أهم أعمال الري في ذلك العهد، إصلاح رياح المنوفية الذي أنشئ في عهد سعيد باشا وإعادة حفزه وتعميقه وبناء قناطره . وقد اجتمع لهذا العمل نحو ٨٠.٠٠٠ عامل، وتم حفره سنة ١٨٦٨ م في مدة ستين يوماً، ولما تم حفره تحولت منابع جميع الترع التي كانت تأخذ مياهها من النيل فصارت تستمد مياهها من الرياح المذكور، وصار أهم مصدر للري في مديرتي المنوفية والغربية .

وفي سنة ١٨٧٠ أصلحت طلببات العطف وزيدت قوتها، فصارت في مقدورها تغذية ترعة المحمودية يومياً بشمانية ألف متر مكعب من المياه .

- وأنشئت ترع ناطورة المكسر، جنابية السكة الحديد، جنابية أبى كبير، العصلوجى (بالشرقية) .

- ترعة الحاجز الغربية وترعة الحاجز الشرقية، وتمديد مصرف النظامية (بالبحيرة) .

- وتحول كثير من الترع القديمة إلى ترع صيفية كالسرساوية، خليج عشنا، السمسمية، الملوانية، الثعالب ، ترعة قطور، ترعة سبطاس، جنابية القرشية وبحر دخيش وترعة نورى أغا، ترعة الألفي، ترعة الساحل، ترعة الخط، ترعة بحيرم، ترعة قويسنا، والعطف، والخضارات، وترعة حسن، وميت خلف (جميع هذه الترع بالغربية والمنوفية) .

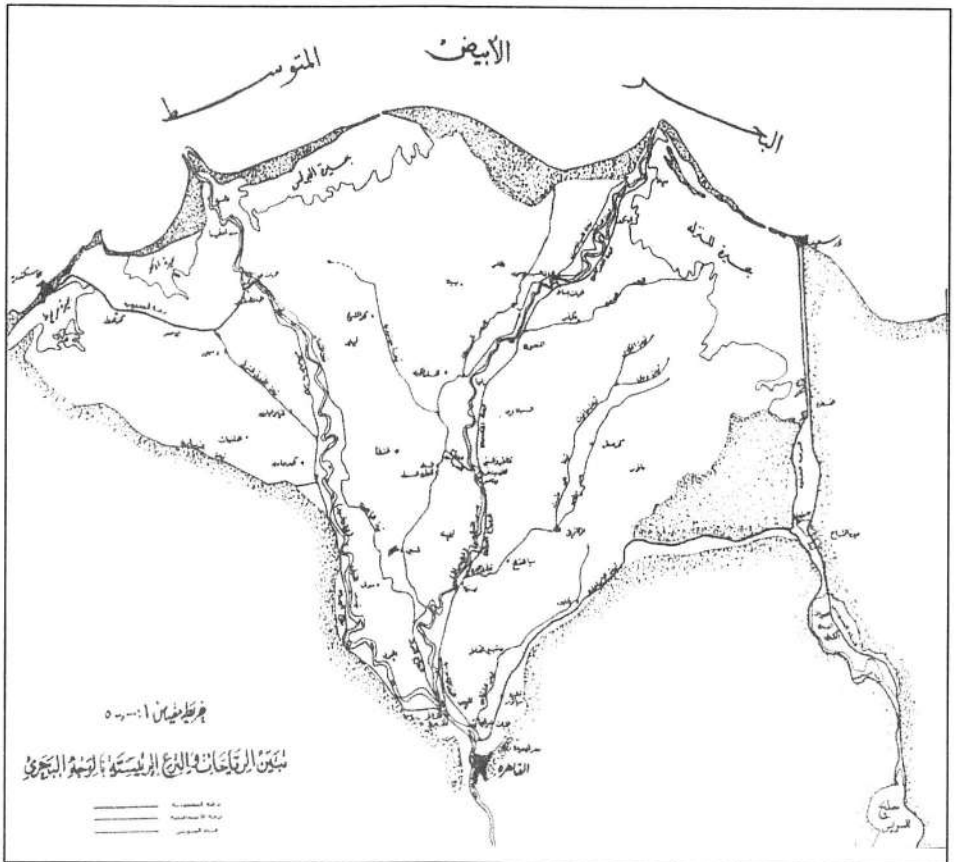
- ترعة القرطامية والفليفلة ومصرف العموم (بالقليوبية) .

- ترعة مصطفى أفندى وبحر الرمل (بالشرقية) .

ووسعت ترعة الساحل بالدقهلية وجرى امتدادها إلى البوهية وأعيد حفر ترعة الدنديطية والصارورية وجعلت كلتاها صيفية ووسعت ترعة أم سلمى وصار تعميقها وتوصيلها بالبحر الصغير .

ومن الترع التي جعلت صيفية بالدقهلية ترعة جصفة والغفارة ومصرف المقدام وترعة الأفندية والخزان الجديد وترعة معاند والبرارى وبحر طنّاح وميت سويد وميت يعيش .^(١)

شكل رقم (٤٩)



الترع والرياحات الرئيسية في الوجه البحرى

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، ج٢ ، ص ١٠ ، ص ١١ .

٥ - إصلاح القناطر الخيرية

في عام ١٨٦٧ م ظهر خلل في بعض عيون القناطر الخيرية بسبب ضغط المياه.^(١) فوجه إسماعيل عنايته إلى علاج هذا الخلل، وعهد بذلك إلى فطاحل المهندسين في عصره وهم موجيل بك، بهجت باشا، مظهر باشا، ثم المستر فولر المهندس الانجليزي وطلب منه إسماعيل إتمام هذا العمل حتى يبلغ درجة الكمال . وألا يألوا في ذلك جهداً حتى يفرغ منه مهما كلفته من نفقات واستدعى من عمال .

فاشتغل المستر فولر في ذلك العمل ثلاث سنوات حتى تمكن من إنهائه في سنة ١٨٧٨ وأبرز القناطر الخيرية في حلته التي أراد محمد علي أن يراها فيها .

فهكذا فقد قلد إسماعيل الوجه البحري عامة منه، وأولى البلاد خيراً.^(٢)

وظالما أننا نتحدث عن مشروعات الري في عهد إسماعيل . لا بد أن أشير إلى أنه في عهده صدرت أول لائحة لتنظيم أعمال الري تنص على طريقة تجهيز المقاييسات وإعداد الرسوم وكيفية تحصيل ما تتطلبه هذه الأعمال من نفقات .^(٣) بالإضافة إلى إنشاء مجالس تفتيش الزراعة والتي كان الغرض منها البحث في الوسائل الكفيلة بتحسين الزراعة وإنائها وتوزيع مياه الري .^(٤)

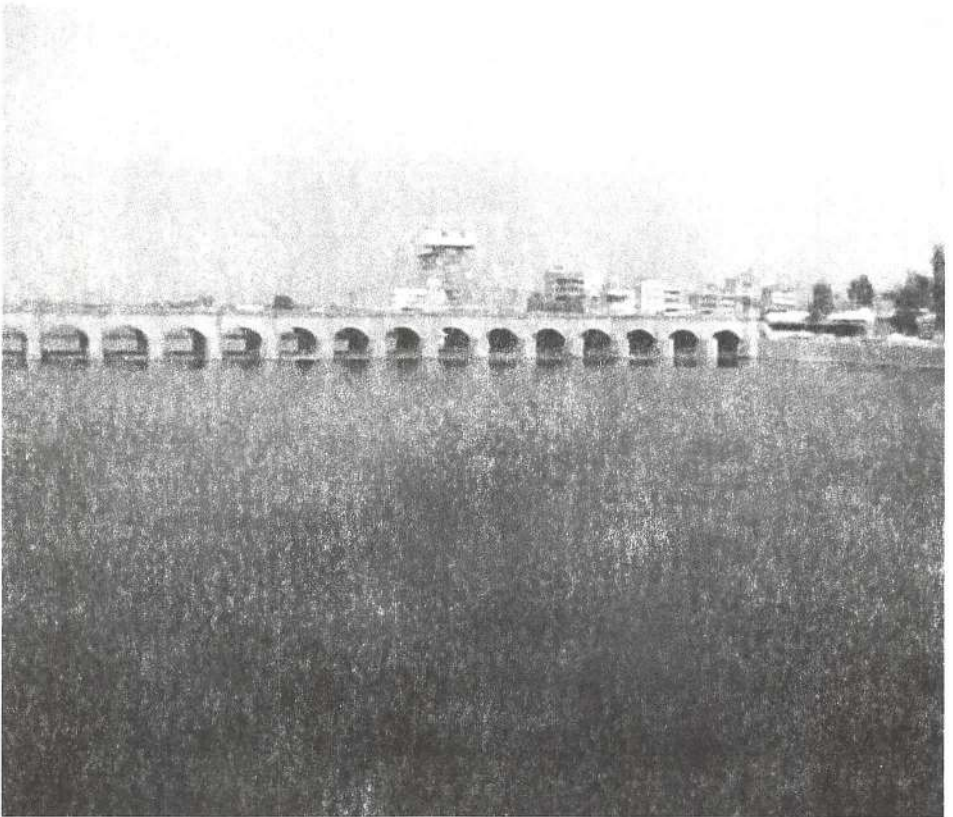
(١) عبدالرحمن الراجعي : عصر إسماعيل ، ج٢ ، ص ١١ .

(٢) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٣) محمد كامل نبيه : المنشآت الهندسية العامة - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - ص ١٦٤ .

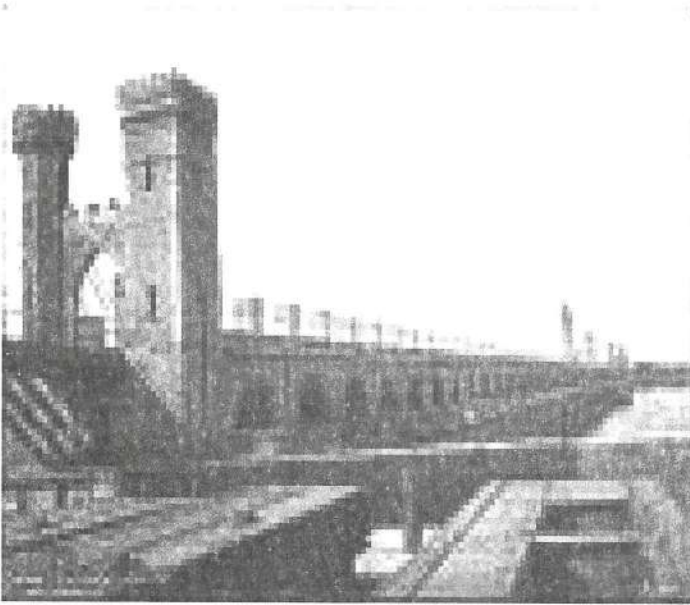
(٤) عبدالرحمن الراجعي : عصر إسماعيل ، ج٢ ، ص ١١ .

شكل رقم (٥٠)



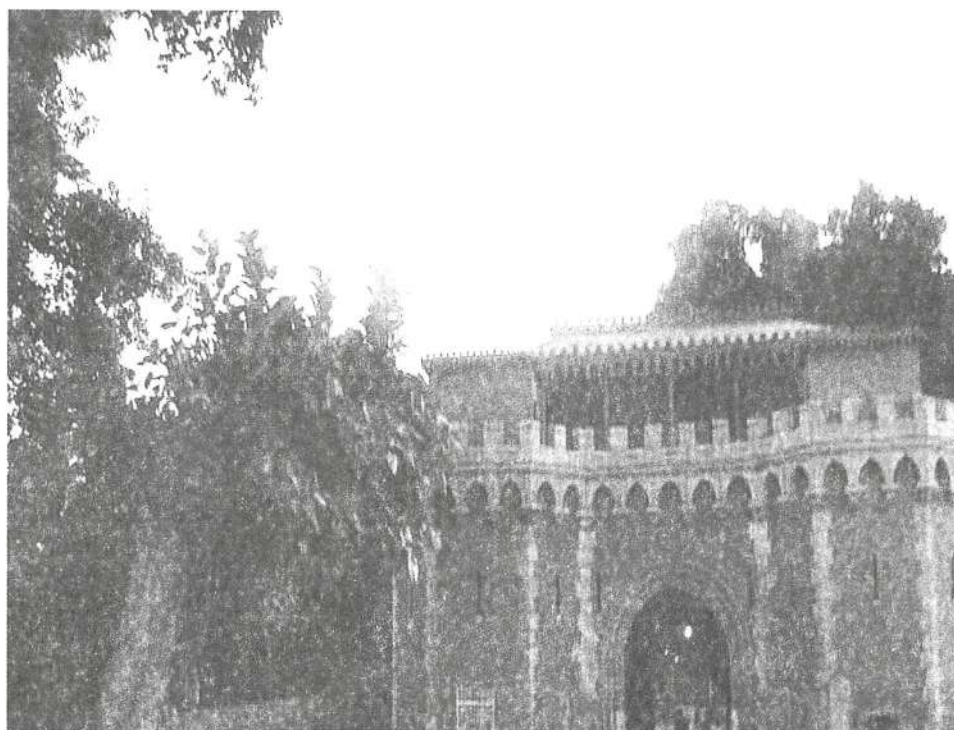
القناطر الخيرية

شكل رقم (٥١)



القناطر الخيرية

شكل رقم (٥٢)



من داخل القناطر الخيرية

الفصل الرابع

مشروعات التعليم

- مقدمة
- تطور التعليم في عصر إسماعيل
- أولاً: مرحلة الإنشاء .
- ثانياً: مرحلة التوجيه القومي .
- ثالثاً: حركة الإصلاح

مقدمة

جاء إسماعيل إلى الولاية بعد عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، وكان عباس قد قام بإغلاق العديد من المدارس التى أنشأها محمد على، وحدد أعداد التلاميذ والقبول بالمدارس واضطهد رفاة الطهطاوى، والذى أوكل له خطط التعليم، وأول مدير لمدرسة الألسن .

ثم جاء محمد سعيد الذى ترك الحال على ما هو عليه بدون أى فكر أو تطوير أو تقدم .

ثم جاء إسماعيل باشا حاكماً لمصر، ولم يكن باقياً من المدارس العليا إلا مدرسة الطب والصيدلة والولادة وقوامها ٦٩ طالباً، والمدرسة الحربية بالقلعة السعيدية وقوامها ١١٦ طالباً فأدرك إسماعيل أن البداية الحقيقية لمستقبل هذه البلاد لا تكون إلا بالتعليم.^(١)

وفى هذا الصدد يقول (دوربك) فى تقريره :

(كان محمد على قد بدأ تنظيم المدارس المصرية، ولكن عباس باشا وسعيد باشا أهملوا أمرهما وفى ١٨ يناير ١٨٦٣، أى عند ارتقاء إسماعيل العرش، لم يكن باقياً من المدارس إلا مدرسة الطب والصيدلة والولادة، وقوامها ٦٩ طالباً، والمدرسة الحربية بالقلعة السعيدية وقوامها ١١٦ طالباً. فأدرك إسماعيل، وبقي هذا الاعتقاد السامى راسخاً فى ذهنه لا يتزعزع، أن قوى الجسم الاجتماعى لا تصان ولا تجدد إلا بنظام منطقي للتربية والتعليم).^(٢)

(١) حسين كفافى : الخديوى إسماعيل ومعشوقته مصر - ص ٩١ .

(٢) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية - ص ١٢٢ .

فأعاد إسماعيل افتتاح المدارس التي كانت قد أغلقت، وتوسع في مراحل التعليم الابتدائي والأولي والكتاتيب في القرى، وكذلك قام بإصلاح الأزهر الشريف، أعاد تأليف ديوان المدارس وعهد برئاسته إلى إبراهيم أدهم باشا الذي تولاه من قبل في عهد محمد علي.^(١) وكذلك اهتم بإنشاء المدارس العليا، فأنشأ (مدرسة الإدارة والألسن) عام ١٨٦٨ والتي أصبحت تعرف بمدرسة الحقوق ١٨٧٥، ومدرسة الري والعمارة والتي عرفت باسم المهندسخانة عام ١٨٦٦، ومدرسة دار العلوم ١٨٧٢ التي قامت بإعداد المعلمين للمدارس الابتدائية والتجهيزية، ومدرسة المساحة والمحاسبة عام ١٨٦٨، ومدرسة الزراعة ١٨٦٧، ومدرسة اللسان المصري القديم (الآثار والمصريات)، ١٨٦٩ أضيف إلى ذلك المدارس العسكرية المتخصصة.^(٢)

ومن المدارس العليا التي أعيد تنظيمها في عهد إسماعيل مدرسة الطب وبلغت هيئة التدريس فيها أربعة عشر مدرساً كلهم مصريون، ومدرسة الهندسة من خمسة عشر مدرساً لم يكن إلى ثلاث أجناب على الرغم من أن برنامج المدرسة يشتمل على تعليم اللغات الفرنسية والإنجليزية والتركية والألمانية.^(٣)

وكذلك اهتم إسماعيل بتعليم البنات، واهتم بالتعليم الأوروبي، وأدخل تعليم اللغات، وشجع الإرساليات على فتح المدارس على النظام الأوروبي مثل مدارس الفرير والجزويت والليسيه وخصص لهم الأراضي بالمجان، وخصص مساحة للجامعة الأمريكية التي أقيمت فيما بعد .

واهتم بالبعثات وأرسل العديد من الطلبة إلى كل الدول الأوروبية في التخصصات المختلفة لملاءمة الفجوة واستكمال النقص والقصور الذي حدث في ولاية كل من عباس وسعيد.^(٤)

(١) عبدالرحمن الراغبى : عصر إسماعيل . الجزء الأول ، ص ٢٠١ .

(٢) الموقع الإلكتروني لجامعة القاهرة (WWW.Cu.edu.eg) - مقالة بعنوان جذور جامعة القاهرة .

(٣) جورج جندى و جاك تاجر : المرجع السابق ص ١٢٦

(٤) حسين كفاى : المرجع السابق ص ٩٢ .

وفي هذا الصدد سوف نطالع رسالة إسماعيل إلى الصدر الأعظم في أغسطس

: ١٨٦٩

" إن تقدم المدنية أدى إلى رقي العلوم وانتشار المعارف، لذلك أعدنا فتح المدارس التي كانت قد أغلقت، وكان بعضها من لدن الحضرة السلطانية، وأنشأنا معاهد جديدة، وجميع هذه المؤسسات منظمة تماماً على تعددها وتنوعها . هذا وقد أوفدنا البعثات إلى جميع أنحاء أوروبا ليضطلع أعضاؤها في العلوم والآداب والفنون والصناعة . كل ذلك مما بدأت البلاد تجني ثماره . وتدل هذه الأعمال على تقديرنا للتعليم، وهو أول أساس لكل تقدم."^(١)

وللحق، كما يقول " يعقوب ارتين باشا " : أنه يمكن اعتبار المدة ما بين ١٨٤٨ و ١٨٦٣ فيما تختص بالتعليم العام والمعارف العمومية كأنها معدومة . ويقول " ماك كون " في كتابه (مصر كما هي) : " أن ميدان العمل في هذه الوجهة كان مفتوحاً وخالياً على سعته أمام إسماعيل باشا عندما تبوأ عرش أبيه وجده، فدأب يعمل - ليس فقط لمجرد إنشاء جيش قوى يركن إليه في الملهمات، بل لمصلحة الأهالي وترقية مستوى البلاد العقلي حتى حركت همته الشياء المهمم، وحق للتاريخ أن يدعو عهده " عهد إحياء العلوم والمعارف بمصر "^(٢)

تطور النظام التعليمي في عصر إسماعيل :

مر النظام التعليمي في عصر إسماعيل بمراحل متعددة حددتها معالم بارزة وارتبطت كل من هذه المعالم باسم أحد الرجال البارزين اللذين خلدوا لهم في تاريخ التعليم في القرن الماضي أقوى الأثر : فالمرحلة الإنشائية الأولى ترتبط باسم " محمد شريف باشا " ١٨٦٣ - ١٨٦٥ ومرحلة التوجيه القومي ١٨٦٧ - ١٨٦٨ باسم

(١) جورج جندي وجاك تاجر : المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٢) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا ١٨٦٣ - ١٨٧٩ - المجلد الأول -

"على مبارك باشا"، مرحلة الإصلاح ١٨٧٣ - ١٨٧٤ ترتبط باسم "مصطفى رياض باشا".^(١)

ومن الممكن تقسيم حركة التعليم في عصر إسماعيل إلى خمسة أقسام :

(الأول) المدارس التي أنشأتها الحكومة وقامت بالإنفاق عليها، (الثاني) : مدارس الأوقاف والمساجد والكتاتيب القديمة ، (الثالث) : ما كان منها في مدارس أفراد من الهيئة الاجتماعية الإسلامية، (الرابع) : مدارس الطوائف الشرقية غير المسلمة، (الخامس) : مدارس الجاليات الأجنبية.^(٢)

أولاً: مرحلة الإنشاء ١٨٦٢ - ١٨٦٥

لم يمض على حكم إسماعيل أيام حتى وقع اختياره على إبراهيم أدهم باشا ليكون عوناً على تحقيق ما ينبغي من مشروعات تعليمية، وهو ثاني من تولى وزارة المعارف في القطر المصري في عهد محمد علي . فأصدر إليه إسماعيل باشا أمراً في ٥ شعبان ١٢٧٩ هـ (٢٦ يناير ١٨٦٣ م) بأن يتخذ العدة لافتتاح ثلاث مدارس (منها مدرسة ابتدائية وأخرى تجهيزية بالقاهرة ومدرسة بالإسكندرية تنظم قسماً ابتدائياً وآخر تجهيزياً) ولإنشاء ديوان المدارس ليدبر هذه المدارس ويشرف على الحركة التعليمية في البلاد .^(٣) فتأسست في عام ١٨٦٤ مدرسة رأس التين بجوار السراي الخديوية بالإسكندرية ومدرسة الناصرية بمصر في الشارع الموصل من عابدين إلى مسجد السيدة زينب .^(٤)

(١) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق - الجزء الثاني - عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق - الفصل الثاني ص ٢٧ .

(٢) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ص ١٨٦ .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم : نفس المرجع ، ص ٢٨ .

(٤) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

وقام إبراهيم أدهم باشا فافتتح ديوان المدارس بالقلعة، ووضع أول لائحة للمدارس التي صدر بها أمر إسماعيل في ٢٩ شعبان ١٢٧٩ هـ (فبراير ١٨٦٣) وجرى الاستعدادات لافتتاح المدارس الثلاث التي سبق أن أمر بها إسماعيل ونظمت شئونها اللائحة الجديدة .

وهكذا أصبح قيام ديوان المدارس خير ضمان لتحقيق الاتساق والانسجام بين مختلف معاهد التعليم التابعة له بما يضعه من سياسات ويرسم من قواعد ويصدر من أوامر، وهو خير ضمان أيضا لأن تكن المشورة التي تقدم في مسائل التعليم صادرة عن خبرة فنية وتجربة وروية .^(١)

ولكن العمل في إنشاء المدارس كان يقتضي جهداً ناء به إبراهيم أدهم باشا . فرأى إسماعيل أن يضع أمر التعليم بين يدي " محمد شريف باشا " (إليه يرجع الفضل في رسم الخطوات الأولى التي خطاها النظام التعليمي في عصر إسماعيل) .^(٢) وتم على يديه فتح المدارس الآتية : مدرسة المتبديان بالعباسية في يوليو ١٨٦٣ وكان عدد تلاميذها ١٢٨٧ وكان ناظرها الأميرالاي إسماعيل زهدى بك . المدرسة التجهيزية بالعباسية وكان عدد تلاميذها ٥٩٤ وكان ناظرها على إبراهيم بك . وكذلك مدرسة الإسكندرية .^(٣) ونظمت المدرسة الحربية على أساس تقسيمها إلى ثلاث أسلحة للمشاة والفرسان والمدفعية، ثم افتتحت مدرسة لأركان الحرب في سنة ١٨٦٥ . وافتتحت مدرسة المهندسخانة وبدأ العمل في إنشاء الرصدخانة سنة ١٨٦٥ . وأنشئ مجلس استشاري للمعارف سنة ١٨٦٦ ووضع مشروعات لإنشاء مدارس أخرى للبحرية والحقوق . وفي سنة ١٨٦٦ - ١٨٦٧ أنشئت مدرسة للطب البيطري وجعلت من فروع المدارس الحربية .

(١) سامى سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر - ص ٢٣ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ص ٢٩ .

(٣) أمين سامى : تقويم النيل في عصر إسماعيل : المجلد الثاني من الجزء الثالث - ص ٥٠٧ .

• أهم الملاحظات على مرحلة الإنشاء :

أولاً: أهم ما نلاحظه على التعليم في هذا الدور أن المدارس الحربية تكاد تحتكر النشاط التعليمي فمنها أربعة مدارس قائمة : المشاة والفرسان والمدفعية وأركان الحرب ثم أُنشِئت إليها مدرسة للطب البيطري . أما المدارس المدنية فلا تعدو مدرسة واحدة خصوصية هي المهندسخانة ومدرسة ابتدائية أخرى تجهيزية بالقاهرة ومدرسة ابتدائية تجهيزية بالإسكندرية .

ثانياً: المدارس التي أنشئت في هذه المرحلة قاصرة على القاهرة والإسكندرية دون غيرها من بلاد القطر .

ثالثاً: وكذلك نلاحظ أمراً هاماً كان له أثر في نمو النظام التعليمي واستقراره وهو أن حكومة إسماعيل بدأت عملها بإنشاء المدارس الابتدائية والتجهيزية وهذه خطوة طبيعية في بناء النظام التعليمي . وكان من أهم نواحي النقد التي وجهت لنظام محمد علي التعليمي أنه بدأ بالمدارس الخصوصية ثم المدارس التجهيزية والابتدائية، ذلك لأن محمد علي كان يهيم في المقام الأول أن يحصل على الفنيين الذين يستطيع أن يعتمد عليهم في النهوض بالبلاد كالمهندسين والضباط والمترجمين والمعلمين . أما إسماعيل فقد بدأ وضع النظام التعليمي الحديث على أساس سليم : فبدأ بالمدارس الابتدائية والتجهيزية وفي الوقت نفسه احتفظ بالمدرستين الخصوصيتين اللتين وجدتهما قائمتين حين تولى الحكم في البلاد .

رابعاً: أهم ما نلاحظه على هذه المرحلة هو إهمال العناية بالتعليم الأولي الذي هو تعليم الشعب، ولن تستطيع مدرسة ابتدائية بالقاهرة وأخرى بالإسكندرية أن تواجه حاجات الشعب للتعليم . ولهذا ظلت الكتاتيب وحدها كما كانت هي معاهد التعليم الأولي في البلاد واستطاعت أن توفي جانباً كبيراً من حاجة الأمة للتعليم . وهكذا نرى أن المرحلة الأولى من مراحل تطور النظام التعليمي في عصر - إسماعيل

كانت موسومة بسياسة محمد علي في التعليم، وهى قلة العناية بالتعليم الأولى وصيغ معاهد العلم بالصيغة الحربية .

خامساً: النظام التعليمي الحديث ما يزال في السنوات الأولى من حكم إسماعيل مجهوداً (حكومياً) بحثاً لا نكاد نلاحظ للجهود (الأهلية) فيه أثراً . وليس هذا مما يعينه على الاستقرار والنجاح . لذا فإن النظام التعليمي لن يفوز بهذا الاستقرار إلا إذا انتشرت معاهده في مختلف أنحاء البلاد وأصبح ليس مجرد مجهود للحكومة وإنما تشترك معها الأمة في توطيد أركانه. وهذا ما عمل لبلوغه " على مبارك باشا " (١٨٦٧ - ١٨٦٨) .

ثانياً: مرحلة التوجيه القومى ١٨٦٧ - ١٨٦٨ م

في المرحلة الإنشائية وضحت أوجه النقص في سياسة التعليم ونظامه، ووضح أن أمر التعليم عامة أخطر من أن يوكل إلى بضع مدارس بالقاهرة والإسكندرية ووضح أن الحاجة أصبحت ماسة إلى إعادة النظر في سياسة التعليم التي خلفها عصر محمد علي تمهيداً لرسم سياسة جديدة لا تقوم على النظر إلى التعليم على أنه عمل حكومى لا تبغي به الحكومة سوى إعداد نفر من أبناء البلاد لوظائف الحكومة وإنما اعتباره أداة للإصلاح والنهوض القومى للأمة .

ووضح الشعور بالحاجة إلى نشر التعليم الأولي الابتدائية وهو المرحلة الأولى من مراحل التعليم وأشدّها اتصالاً بالشعب . أحست حكومة إسماعيل بهذه الحاجة وراحت تدبر الوسائل للوفاء بها كما أحس بها في الوقت نفسه مجلس شوري النواب الذى اجتمع أعضاؤه لأول مرة في أواخر سنة ١٨٦٦ ليرسموا سياسة جديدة في التعليم .

ومن ناحية أخرى فإن إسماعيل أدرك منذ بداية حكمه أن التعليم الابتدائي لا يستقيم أمره أو يعمم أثره إلا إذا تعددت معاهده ولا تقتصر - فقط على حاضره

البلاد وثغرها . وليكن من تعدد المدارس الابتدائية وسيلة لإمداد المدارس التجهيزية بمجموعة منتقاة من التلاميذ المبتدئين، لذا أصدر إسماعيل أوامره تبعاً إلى ديوان المدارس تارة وإلى المديريات تارة أخرى بضرورة إنشاء مدارس ابتدائية في حواضر المديريات والمحافظات وبالفعل وضعت الرسوم والمواصفات لتحويل بعض القصور التي بناها أسلافه أو بعض المصانع المهجورة إلى مدارس غير مدخر في ذلك مالا وجهداً وكذلك وضع ترتيب لمكاتب المبتدیان بالأقاليم .

على أن أكثر المدارس التي أمر الخديوي بإنشائها في الأقاليم كانت في أسوان والمنصورة ودمنهور واسنا وقنا ودمياط وبنها وأسيوط والمنيا وبنى سويف.^(١)

قرارات مجلس شورى النواب - أكتوبر - نوفمبر ١٨٦٦

في ٢٢ أكتوبر ١٨٦٦ صدرت لائحة مجلس شورى النواب الداخلية، وكان اجتماع الشورى يشير بضرورة اهتمام الحكومة بالتعليم ليس فقط على أنه وسيلة وأداة تعد للحكومة الموظفين لمصالحها، بل كأداة لتربية الشعب التربية السياسية التي تفهمه حقوقه وواجباته.^(٢)

قرارات المجلس^(٣)

(١) إنشاء مدرسة بكل مديرية ويكون حجم المدرسة مقترناً بتعداد المديرية ويقوم ديوان المدارس بتنظيمها .

(٢) إنشاء مكاتب المديريات في أماكن تقترب من خطوط السكة الحديد تيسيراً لسبل الوصول إليها، وأشار شريف باشا ناظر المعارف إلى أن تستخدم لهذا الغرض الأبنية التي تملكها الحكومة في الأقاليم بعد إصلاحها بمعرفة ديوان المدارس .

(١) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ص ٣٧ ، ص ٣٨ .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٣) سامي سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر - في القرن التاسع عشر ، ص ٢٤٠ ،

(٣) يكون الدخول في هذه المدارس من عموم الناس بالرغبة من دون استثناء مسلم أو قبطي غني أو فقير بشرط أن يكون التلميذ لغاية سنة الرابعة عشر ويتلقي جميع التلاميذ دروسهم معاً وفي درس الدين يفرد محل خاص لأبناء الأقباط ويؤذن لأحد القسوس بالتردد على المدرسة لتعليمهم أصول دينهم.^(١)

(٤) يترك لديوان المدارس تحديد مدة الدراسة بهذه المدارس وخطة الدراسة بها على أن يمتحن تلاميذها في آخر السنة الدراسية أمام مندوبين من الحكومة وبحضور عمد البلاد .

(٥) يترك لديوان المدارس تحديد التعيينات التي تصرف لتلاميذ المدارس، ومصرفات هذه المدارس تكون من المديرية والمحافظات القائمة بها ويعمل لذلك باب خاص في حساب كل جهة، وإيرادات هذه المدارس تكون من الأوقاف التي انقرض مستحقوها .

(٦) إيرادات هذه المدارس تكون من الأوقاف التي انقرض مستحقوها وتقع تحت نظر ديوان الأوقاف .

(٧) يذاع في البلاد كافة افتتاح هذه المدارس ليكون معلوماً لكل أهل الوطن ويقدم من يشاء منهم هبة لها .

(٨) تقيد هبات الأهالي بكل محافظة أو مديرية في سجل خاص، وفي آخر كل سنة يرفع بيان بإيراد المدرسة ومصرفاتها إلى ديوان المدارس .

(٩) يعين في آخر كل سنة عمدة من كل قسم وعمدة من كل مديرية لينظر كل منهم في جهة ما ورد من هبات الأهالي .

وهنا أعلن شريف باشا أن الحكومة تتقبل شاكرة تبرعات الأهالي ، كما أعلن أن الخديوى قد تفضل فأمر بوقف جفلك الوادي ويتألف من نحو ١٢٢ ألف فدان

(١) أحمد عزت عبدالكريم : نفس المرجع ص ٤٢ .

وفقاً مؤبداً على المدارس المقرر افتتاحها ويكون إيراده روكاً على كافة مدارس الأقاليم.^(١)

• المبادئ التي وضعها مجلس شورى النواب في تاريخ التعليم المصري لأول مرة:^(٢)
أولاً: التعليم الابتدائي واجب قومي لا تختص به الحكومة وحدها بل يجب أن تتضامن قوى الحكومة والأمة في سبيل نشره وإنجاحه : الحكومة بما تملك من الوسائل الفنية في وضع المناهج وتقديم المعلمين والمفتشين والمكاتب، والأمة بما تملك من أسباب التأييد القومي وبما يملك أغنياؤها من مال .

ثانياً: ضرورة تدبير موارد للصرف على هذا الضرب من التعليم من خارج ميزانية الدولة تخفيفاً عن هذه الميزانية من جهة وتدعياً لصفاتها الأهلية من جهة أخرى .

ثالثاً: وترتب على ذلك أن دعيت المدارس الابتدائية التي أنشئت في ظل هذا النظام بالمدارس أو المكاتب الأهلية تأكيداً لصفاتها الأهلية كمعاهد للتعليم الابتدائي الخارج عن ميزانية الحكومة.

رابعاً: وضع شورى النواب مبدأ هام وهو الاعتراف بالمكاتب أو الكتاتيب الأهلية وهما معاهد التعليم الأولى الشعبى التي عاشت دهرأ طويلاً، وضرورة إصلاحها حتى تصبح تحت إشراف الحكومة وسيلة طيبة لنشر التعليم الأولى .

• لائحة رجب ١٢٧٤ هـ (٧ نوفمبر ١٨٦٨ م)

لا شك أن الغرض من إصدار لائحة رجب هو وضع أساس منهج قويم للتعليم في جميع أنحاء القطر، وقد ظهرت فائدته إذ زاد عدد التلاميذ في مدة وجيزة إلى ٥٢.٠٠٠ تلميذ يتعلمون في ١٣٠١ معهد، وزاد بعدها عد التلاميذ إلى

(١) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص ٤٣

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ص ٤٦ ، ص ٤٧ .

١٤٠.٩٧٧ وعدد المدارس إلى ٤٨١٧، وكان في القاهرة وحدها ما يزيد على ٢٩٥ مدرسة بلغ عدد تلاميذها ١٠.٠٠٠ تلميذ عدا طلبة الأزهر الشريف والمعاهد الأجنبية والمعاهد التابعة للأوقاف والمدارس الحربية لتعليم الجيش الذي كان يبلغ آنذاك ثلاثين ألفاً.^(١)

ولائحة رجب ذات أربعين بنداً مبنية على مبدئين أساسيين هما : تضامن جميع المدارس في نظامها وتعليمها، مساواة المعاهد التي من درجة واحدة مساواة تماماً في جميع الأمور، فقسمت المدارس إلى ثلاثة أقسام: ابتدائية وهي الكتاتيب ومدارس المديریات، ثانوية، عالية.^(٢) وأشارت لائحة رجب إلى التفرقة بين تعليم أميرى يقوم بسد احتياجات الدولة وتعليم أهلى في الكتاتيب، الأول يقدم علوماً عصرية، والثاني علوماً دينية، الأول تهيمن عليه الحكومة وتنفق عليه، والثاني ينفق عليه الأهالي، الأول متقدم والثاني حد أدنى غير أنه منتشر في جميع أنحاء مصر. ومن هنا كانت أهميته كوسيلة لنشر التعليم بين أبناء البلد لكن بعد إصلاحه وتهذيبه، ولن يتحقق ذلك إلا بهيمنة الدولة عليه . أما التمويل فكان عن طريق الأوقاف التي انقرض مستحقوها، بالإضافة إلى الهبات والعون المالى من الأهالي . أما الإشراف الفنى فكان على الحكومة توفير رجال التفكير والصحة والهندسة والبناء.^(٣)

أما عن مدارس المديریات فهي مدارس ابتدائية . ونصت اللائحة على أن تكون في عواصم المديریات وسميت بالمدارس المركزية وأدخلت عليها اللائحة نظام الخارجية والمصرفات الدراسية . ثم نظام داخلي مجاني دون تناول راتب شهري من الحكومة . لكن منذ سنة ١٨٧٢ فرضت الحكومة رسوماً بسيطة .

(١) عمر الاسكندري وسليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر - ص ٢٢٥ .

(٢) إلياس الأيوبي: المرجع السابق، ص ١٩٠

(٣) سامى سليمان السهم: المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

وكانت هذه المدارس على نظام مثيلاتها في أوروبا وكان برنامج التعليم فيها كالآتي :

القرآن ، العربى ، الفرنساوى أو الإنجليزى ، الحساب ، التاريخ ، الهندسة ، الرسم^(١).

أما المكاتب الأهلية كانت على نظام مختلف : من نظام خارجى، مصروفات شهرية، مسئولية الأسرة عن متابعة دروس أولادها خارج المدرسة . وهكذا وصلت لائحة التعليم بين المدرستين (المكاتب الأهلية والمدارس المركزية) حيث أن التلاميذ الذين يتفهمون من دراستهم القروية يستطيعون الالتحاق بالمدارس المركزية تمهيداً لالتحاقهم بالمدارس الأميرية.^(٢) أما المدارس الثانوية فتقرر أن تكون سبعاً : ثلاثاً في مديريات الوجه البحرى وأربعاً في مديريات الوجه القبلى وأن تكون المجانية المطلقة هي الأصل في التعليم . أما المدارس العليا فجعلت تسعاً : ثمان منها في مصر، وواحدة بالإسكندرية وكانت أهمها مدرسة البوليتكنيك (المهندسخانة) ومدرسة الطب.^(٣)

- وقد حددت لائحة رجب المواد التى يدرسها تلاميذ كل مرحلة من مراحل السلم التعليمي، فقد جعل التعليم بالمدارس الابتدائية قاصراً على مبادئ القراءة والكتابة، وخصصت المدارس التجهيزية بمن كان يريد التقدم في مضمار التعليم، أما المدارس العالية أو الخصوصية فكان يتعلم فيها الطلاب كل العلوم الدراسية وفيها اللغات الأجنبية، حيث كان يترك لهم الحرية في اختيار اللغة الأجنبية التى يتعلمونها بشرط أن يتعلموا اللغتين العربية والتركية . وكان طلاب المدارس العالية أو الخصوصية على قسمين :

(١) إلياس الايوي : نفس المرجع ، ص ١٩١ .

(٢) سامى سليمان السهم : المرجع السابق ص ٢٤٨ .

(٣) إلياس الايوي : المرجع السابق ص ١٩١ .

قسم يتعلم على نفقته الخاصة والآخر على نفقة الحكومة، ولذلك كان يتحتم على هؤلاء أن يخدموا في وظائف الحكومة مدة معينة. وكان يختار أحسن الطلاب لمدرسة المهندسخانة ومدرسة الطب، وغيرها ليذهبوا إلى المدارس الحربية وفي ذلك إجحاف بالمجتهدين لأن معظم الترقية كانت في الجيش.^(١)

وهكذا نرى أن "على مبارك" وضع في سنة ١٨٦٧ - ١٨٦٨ الأساس الذي تقوم عليه الجهود التالية لتحقيق مشروع التعليم القومي في مصر. ولا يقلل من قيمة عمله أن الجهود التي بذلت في تلك السنة وفي السنوات التالية لم تحقق الإصلاح المنشود، فإن مثل هذا الإصلاح الخطير لا يتحقق في عام أو أعوام وإنما في جيل وأجيال. وهكذا نرى أن سنة ١٨٦٧ - ١٨٦٨ كانت من السنوات الحافلة في تاريخ التعليم في عصر إسماعيل فقد وضع فيها الأساس الذي قام عليه تنظيم التعليم في عصر إسماعيل وأصبحت معاهد العلم بمقتضى النظم التي وضعت في تلك السنة أنواعاً ثلاثة وهي :

- (١) المدارس الحربية : وهي تابعة لديوان الجهادية وينفق عليها من ميزانيته .
- (٢) المدارس الملكية : وهي تابعة لديوان المدارس وينفق عليها من ميزانيته .
- (٣) المدارس الأهلية : وهي تابعة لديوان المدارس ثم أنشئ لإدارتها ديوان المكاتب الأهلية وينفق عليها من موارد أهلية أهمها إيراد جفلك الوادى

وإذا كانت جهود على مبارك لتنفيذ القواعد التي رسمها ١٨٦٧ - ١٨٦٨ لم تثمر كلها، فإن الفضل كل الفضل يرجع إليه في أنه وضع الأساس ورسم القواعد وأوضح معالم الطريق لمن يأتي بعده من دعاة الإصلاح والعاملين عليه.^(٢)

(١) رأفت غنيمي الشيش : حضارة مصر الحديثة - ص ٨٢ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، ص ٦٦ ، ص ٦٧ .

ثالثاً: حركة الإصلاح ١٨٧٣ - ١٨٧٤

وهي المدة التي تولى فيها " مصطفى رياض باشا " نظارة المعارف ورسم خلالها خطة إصلاحية تتضمن شقين ^(١) :

١ - التوسع في المنشآت التعليمية

٢ - تحسين القائم منها مستفيداً في ذلك بخبرة

" ادوار دور " الخبير السويسري ^(٢) وفي إطار لائحة رجب، أثمر تعاون دور ورياض في هذه الفترة القصيرة، وصدرت لوائح عدة تحقق الإصلاح الذي تطلع إليه الرجلان وهي :

(أ) تعديل الأساس الذي قامت عليه الحياة المدرسية .

(ب) وضع الخطط والمناهج المنظمة للتعليم في مختلف مراحله .

(ج) العناية بهيئة التدريس وإنشاء مدرسة لإعداد المعلمين .

واتخذ الإصلاح شكل لوائح صدرت في أوائل سنة ١٨٧٤ وهي اللوائح الآتية: ^(٣)

١ - ترتيب قبول التلاميذ بالمدارس الملكية في ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠ (يناير ١٨٧٤).

٢ - ترتيب الداخلية بالمدارس الملكية والمكاتب الأهلية في ٤ المحرم ١٢٩١ (فبراير

١٨٧٤)

٣ - ترتيب دار المعلمين في ٤ المحرم ١٢٩١ (فبراير ١٨٧٤) .

(١) سامي سليمان السهم : المرجع السابق ص ٢٤٨ .

(٢) (جاء إلى مصر زائراً ومستشفياً في سنة ١٨٧٢ ولكن غريزة المعلم دفعته لأن يدرس نظام التعليم في مصر فجاه كتابه ثمرة هذه الدراسة واجتذب الكتاب نظر حكومة إسماعيل فأسندت إليه رئاسة التفثيش (انظر - أحمد عزت عبدالكريم ، ص ٦٩) .

(٣) أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي الى أوائل حكم توفيق - الجزء الثاني - عصر إسماعيل - ص ٧٠ ، ص ٧١ .

٤- ترتيب المعلمين والنظار بالمكاتب الأهلية والمدارس الملكية في ١٢ ربيع الأول ١٢٩١هـ (إبريل ١٨٧٤ م) .

٥- خطة الدراسة الابتدائية .

٦- خطة الدراسة التجهيزية

٧- خطة الدراسة بمدرسة دار العلوم .

٨- خطة الدراسة بمدرسة الإدارة (الحقوق) .

٩- خطة الدراسة بمدرسة المهندسخانة .

١٠- خطة الدراسة بمدرسة العمليات .

١١- خطة الدراسة بمدرسة المساحة والمحاسبة .

وبذل "رياض" و"دور" جهوداً مضيئة لتحقيق خططهما في الإصلاح، ولكن لم تمض ستة شهور حتى أبعد رياض لديوان آخر وتعطل الإصلاح الذي وضع قواعده رياض ودور، ومشروع تنفيذ مدرسة المعلمين تأخر تنفيذه حتى سنة ١٨٨٠، على الرغم من جهاد دور بك لإقناع الحكومة بضرورة المبادرة إلى تنفيذه . وهكذا تعطل الإصلاح الذي بدأه "رياض ودور" في سنة (١٨٧٣ - ١٨٧٤) حتى تبيأت الأسباب بعد ست سنوات حين عاد دور إلى منصبه في رئاسة التفتيش بعد غيبة قصيرة وعين رياض باشا ناظراً للنظار وعاد الرجلان يتعاونان من جديد لتحقيق المشروع القومي للتعليم .

ميزانية التعليم

كان إسماعيل ينفق بسخاء على التعليم فقد كانت ميزانية المعارف في عهد سعيد لا تتجاوز ستة آلاف جنيه فزادها إسماعيل إلى أربعين ألفاً، ثم بلغت كما ذكر على باشا مبارك إلى ٧٥.٠٠٠ جنيه، منها ٤٨.٠٠٠ من وزارة المالية (الميزانية العامة)، ٢٠.٠٠٠ من إيراد تفتيش الوادي، ٧.٠٠٠ من ديوان الأوقاف . وكان التعليم في

المنشآت المعمارية في عصر الخديوي إسماعيل - دراسة تاريخية أثرية
معظم المدارس مجانياً، ثم نقصت ميزانية وزارة المعارف في أواخر عهد إسماعيل
بسبب الإرتباكات المالية التي سببتها قروضه فهبطت إلى ٢٠.٠٠٠ جنيه^(١).

جدول (٧)

والجدول الآتي يوضح ميزانية التعليم في الفترة من ١٨٦٨ إلى ١٨٧٩

السنة	مربوط الميزانية	عدد المدارس	عدد التلامذة			عدد المجانية	ما يتفق على التلميذ الواحد
			مجانا	بمصرفات	جلة		
	جنيه مصري						جنيه مصري
١٨٦٨	٦٧٠٠٠	١٣			١٤٤٨		٤١
١٨٦٩	٦٧٠٠٠	١٣			١٤٤٨		٤١
١٨٧٠	٦٧٠٠٠	١٣			١٤٤٨		٤١
١٨٧١	٥٠٠٠٠	٩			١٣٩٤		٣٥
١٨٧٢	٥٠٠٠٠	٩			١٣٩٤		٣٥
١٨٧٣	٤٩٢٤٠	٩			١٤٣٤		٢٧
١٨٧٤	٥١٨٢٠	٩			١٠٨٣		٣٨
١٨٧٥	٦٠٠٨٣	٩	٩٥٨	٢٦٠	١٢١٨	٪٧٩	٤١
١٨٧٦	٦١٣٠٩	٩	٩١٣	٢٠٨	١١٢١	٪٨٢	٤٦
١٨٧٧	٤١٢٦٧	٨	٧٠٦	٩٢	٧٩٨	٪٨٨	٤١
١٨٧٨	٣٥٠٤٠	٨	٦٨٥	٩٠	٧٧٥	٪٨٩	٣٦
١٨٧٩	٤٥١٠٨	٩	١٣٩٦	٧٦	١٤٧٢	٪٩٥	٢٦

المصدر: يعقوب أرئين: القول التام في التعليم العام - ص ٢٤

(١) عبدالرحمن الرافعي: عصر إسماعيل - الجزء الأول، ص ٢١١، ص ٢١٢

التعليم الابتدائي

حين تولى إسماعيل حكم مصر في سنة ١٨٦٣، كانت المدارس الابتدائية من المعاهد الأولى التي توجهت إليها عنايته. ^(١) ويرجع الفضل في إنشاء تلك المدارس إلى " شريف باشا " ثم إلى " علي باشا مبارك " الذي فكر في تحويل التعليم في الكتابيب إلى التعليم الابتدائي النظامي وكان عدد الكتابيب وقتئذ خمسة آلاف .

وفيما يلي بيان بما أنشاء إسماعيل من المدارس الابتدائية : ^(٢)

- مدرسة المتديان بالعباسية أسست ١٨٦٣ ثم نقلت إلى الناصرية ثم إلى المنيرة
- مدرسة رأس التين بالإسكندرية أسست ١٨٦٣
- مدرسة طنطا أسست ١٨٦٨
- مدرسة أسيوط أسست ١٨٦٨
- مدرسة بني سويف أسست ١٨٧٢
- مدرسة المنيا أسست ١٨٧٣
- مدرسة القرية أسست ١٨٧٢
- مدرسة الجملية أسست ١٨٧٣
- مدرسة الحسينية أسست ١٨٧٩
- مدرسة باب الشعرية أسست ١٨٧٤
- مدرسة مصر القديمة أسست ١٨٧٩
- مدرسة أبو العلا ببولاق أسست ١٨٧٢
- مدرسة السيدة زينب أسست ١٨٧٢
- مدرسة شيخون أسست ١٨٧٣

(١) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، ص ١٧١

(٢) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل : ج ١ - ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ .

- مدرسة العقادين أسست ١٨٧٢
- مدرسة النحاسين أسست ١٨٧٢
- مدرسة الإمام الشافعي أسست ١٨٧٩
- مدرسة الحجابية أسست ١٨٧٢
- مدرسة رشيد أسست ١٨٧٦
- مدرسة الفشن أسست ١٨٧٩

ويضاف إلى هذه المدارس مدرسة (الصليبية)، وقد كانت مكتبة أنشأته والدته عباس باشا الأول وضم إلى المدارس الابتدائية سنة ١٨٧٢، ومدرسة قلاوون والشيخ صالح للبنين ومدرسة محمد سيد أحمد ومدرسة حافظ باشا بالأسكندرية ومدرسة البوصيري ومدرسة المسجد الحسيني بالقاهرة ثم انتقلت أخيراً إلى شارع فاروق . ومدرسة القبة التي أنشأها الأمير محمد توفيق باشا ولي العهد على نفقته الخاصة .

هذا ويقول " دور بك " في كتابه : " إذا كان التعليم العالي قد ازدهر ذلك الإزدهار في هذا العصر، فقد قام التعليم الابتدائي والثانوي على أسس جديدة تماماً . ولأول مرة اعتبرت التربية الشعبية مبدأ رئيسياً مستقلاً عن كل اعتبار عسكري هذا ولم يكن الأمر مقصوراً على إنشاء عدد من المدارس ، مستقلة عن بعضها البعض تعمل كل واحدة منها في معزل عن الأخرى، بل صدر قانون نظامي في ١٠ رجب ١٢٨٤ هـ خاص بالتعليم العام أدى إلى إنشاء مدارس عديدة كونت وحدة تتناسق أفعالها " (١).

(١) جورج جندي وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، ص ١٣٠

تعليم البنات

إنشاء مدارس البنات في مصر في عهد إسماعيل هي ميزة تشهد له بالفضل في نهضة الأمة . فقد كان التعليم النسوي من قبله يعتبر في حكم العدم . إذا لم تكن في البلاد سوى مدرسة الولادة ولم يكن يتعلم فيها في الغالب سوى البنات الحبشيات ، أما الفتيات من سائر الطبقات فلم يكن هن مدارس لتعليمهن وكان الجهل مخيماً عليهن اللهم إلا من كن يتعلمن في بيوت آبائهن وأهلهن وقليل أولئك .^(١)

أما إسماعيل فكان يعتبر أن البنت هي أم المستقبل ، ولا ننسي أبداً أنه بدأ بأسرته وأهتم بتعليم كرياتة زينب وفاطمة وغيرهن ليكن على أعلى درجات العلم والثقافة مثلهن مثل الأميرات الأوروبيات .

وتحتفظ لنا الوثائق التاريخية بخطاب من إسماعيل إلى " لاركنج " أحد المسؤولين عن التعليم في بريطانيا تقول الرسالة : " أرجو منك البحث عن مدرسة لابتني زينب هانم ، أود أن تكون بسيطة في تصرفاتها ذات تربية عالية وثقافة رفيعة . تحسن التكلم بالإنجليزية والفرنسية ويمكنها تدريس العزف على البيانو " .^(٢)

ومما يؤكد اهتمام إسماعيل بتعليم البنات ، تقرير بيردسلي (قنصل الولايات المتحدة) إلى وزارة الخارجية الأمريكية :- " أقنع إسماعيل عن المعتقدات الباطلة المتأصلة من قرون في بلاده ، وهي معتقدات ليس لها حتى عذر الاتصال بأصول الدين ، فقرر أن يكف عن حرمان المرأة المصرية من منافع التربية ، فأمر أن يكون تعليم البنات موضعاً لأكبر عناية من حكومته . لقد أنشئت في القاهرة مدرسة للفتيات المسلمات ، وهي أول مدرسة من نوعها تأسست في الشرق ، والعمل جار على تنظيم معاهد كبيرة أخرى من ذات النوع . ولاشك أنه ليس من اليسر تبديل الحالة الاجتماعية للمرأة الشرقية ، وتحريرها من هذه العبودية المنزلية التي سلبتها كل

(١) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٢٠٣

(٢) حسين كفاي : الحديوي إسماعيل ومعشوقته مصر ، ص ١٠١

قيمة فكرية ولكن الخديوي قد عزم على ألا يألوا جهداً لتحقيق هذا الغرض السامي في مصر، وستثير هذه الثورة الاجتماعية اهتماماً غير عادي، لأنه يتوقف على نجاحها، حل مسألة عدت إلى اليوم حجر عثرة في تقدم الشرق، ومنعته من السير في سبيل المدنية الحديثة".^(١)

وفي سنة ١٨٧٣ أسست مدرسة السيوفية للبنات، أنشأتها السيدة جشم آفت هانم ثالث زوجات الخديوي إسماعيل، وقدمت الأميرة من المال ما يكفي لشراء قصر قديم في أحد أحياء القاهرة المزدهمة بالسكان (السيوفية).^(٢) وكان بها حين افتتاحها نحو مائتي تلميذة وبلغ عددهن سنة ١٨٧٤ أربعمئة تلميذة يتعلمن مجاناً.^(٣)

وجاء في الوقائع المصرية رقم ٥١٩ الصادرة بتاريخ يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الآخر سنة ١٢٩٠ هـ الموافق ٥ أغسطس سنة ١٨٧٣ م ما يأتي: "قبل الآن سبق الإعلان بالأخذ في إنشاء مدرسة بالسيوفية للبنات على أكمل الخلال والصفات، وفي تاسع جمادى الثانية افتتحت في ظل الحضرة الخديوية السامية في حضور أهالي من التحق منهم بها البالغ عددهن نحو المائة والثمانين (١٨٠)، داعين لتلك الحضرة بما استطاعوا من الدعوات الصالحات ولجزيل أفضالها شاكرين".^(٤)

هكذا كان إنشاء مدرسة السيوفية للبنات وإقبال الأهالي على إرسال بناتهم إليها حافزاً للتفكير في إنشاء مدارس أخرى للبنات.

ففي إبريل ١٨٧٣ - أي بعد افتتاح مدرسة السيوفية بنحو ثلاثة أشهر - صدر أمر الخديوي إسماعيل إلى ناظر الأشغال والأوقاف والمعارف بتسليم قصر المسافر

(١) جورج جندي وجاك تاجر: المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٢) أحمد عزت عبدالكريم: المرجع السابق، ص ٣٥٩.

(٣) عبدالرحمن الراقمي: المرجع السابق، ص ٢٠٣.

(٤) أمين سامي: تقويم النيل في عصر إسماعيل، المجلد الثالث من الجزء الثالث، ص ١١٨.

خانة بالجمالية لجعله مدرسة بحى الجمالية . وكتب الديوان إلى تفتيش المدارس بتسلم القصر والشروع فى عمارته وتقدمت سمو الأميرة " أورطنجة هانم أفندى " حرم الخديوى الثانية بما يلزم من المال وافتتحت المدرسة سنة ١٨٧٤ بالقريبة .^(١)

وكان التعليم فى كلتا المدرستين ومدته خمس سنوات - مثله مثل مدارس أوروبا التى من نوعها : القراءة العربية ، الكتابة ، الحساب ، الرسم ، الجغرافيا ، الموسيقى ، أشغال الإبرة ، الطبخ ، الغسيل ، التدبير المنزلى ، زيادة على تعلم التركية والفرنسية وتلقين القرآن للمسلمات .^(٢)

المدارس التجهيزية

أصدر إسماعيل باشا أمراً فى ٢٧ يناير ١٨٦٣ إلى إبراهيم أدهم باشا - وكان ناظراً للأوقاف والمدارس بإنشاء ثلاث مدارس : مدرستين بالقاهرة إحداها تجهيزية لسبعمئة تلميذ والأخرى ابتدائية لثمانمئة تلميذ ومدرسة ابتدائية تجهيزية بالإسكندرية . وفى ٢٩ شعبان ١٢٧٩ هـ (فبراير ١٨٦٣ م) صدر أمر الخديوى إلى أدهم باشا بالموافقة على الترتيب الذى وضعه لديوان المدارس والمدارس الجديدة وأقره المجلس الخصوصي ونشط ديوان المدارس لافتتاح المدارس الجديدة .^(٣)

وانشأ من المدارس الثانوية :^(٤)

١ - المدرسة التجهيزية بالعباسية أسست ١٨٦٣ ، ثم نقلت إلى درب الجمايز ١٨٦٨ وعرفت بالخديوية .

٢ - مدرسة رأس التين بالإسكندرية ، أسست سنة ١٨٦٣ .

(١) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ ، ص ٣٧٥ .

(٢) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل - المجلد الأول - ص ٢٠٨ .

(٣) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، ص ٣٩٨

(٤) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٢٠٥

جدول (٨)

والجدول الآتي يوضح عدد التلامذة والمعلمين بالمدرسة الخديوية في الفترة من ١٨٦٣ - ١٨٧٩

التاريخ	عدد التلامذة	التاريخ	عدد التلامذة	عدد المعلمين
يونية ١٨٦٣	٢٥٠	١٨٧٤	٢٢٩	
أغسطس ١٨٦٣	٤٥٧	١٨٧٥	١٧٨	٣٤
نوفمبر ١٨٦٤	٦١٤	١٨٧٦	٢٢٥	-
مايو ١٨٦٦	٧٠٠	١٨٧٧	١٨٧	-
١٨٦٧	٥٦٤	١٨٧٨	١٨٥	-
١٨٦٨	٤٠٠	١٨٧٩	٢٠٨	-
١٨٦١	٣٠٠			
١٨٧٣	٢٣٢			

المصدر أحمد عزت ع بدالكريم : المرجع السابق، ص ٤٠٦

المدارس العليا

١ - مدرسة المهندسخانة

هي مدرسة الري والعمارة وسميت باسم المهندسخانة وأنشئت بالعباسية بسرأي الزعفران ثم نقلت سنة ١٨٦٨ إلى سراي مصطفى فاضل باشا بدرب الجمايز وكان أول ناظر لها إسماعيل مصطفى الفلكي ثم محمود باشا الفلكي ثم عاد إليها إسماعيل الفلكي وكانت الدراسة بها لمدة خمس سنوات منها سنة إعدادية ويتخصص الطالب في الستين الأخيرتين إما في هندسة الري أو العمارة.^(١)

٢ - مدرسة الحقوق

هي أعظم المعاهد العلمية التي أسسها إسماعيل ، أنشئت عام ١٨٦٨ وكان اسمها مدرسة الإدارة والألسن.^(٢) وظلت كذلك حتى يوليو ١٨٨٦ عندما أصبحت تسمى مدرسة الحقوق وكانت مدرسة الألسن قد انفصلت عن مدرسة

(١) رؤوف عباس حامد : جامعة القاهرة ماضيها وحاضرها ، ص ٢٣ .

(٢) عبدالرحمن الرافي . المرجع السابق، ص ٢٠٢ .

الإدارة في عام ١٨٨٢ واشتملت على قسمين ابتدائي وعالي . القسم الابتدائي فكان يشمل السنتين الأولى والثانية وكان الغرض منه تخريج المحضرين وموظفي أقلام كتاب المحاكم . أما القسم العالي فكان مكونا من ثلاث سنوات دراسية بهدف تخريج رؤساء أقلام الكتاب وأعضاء النيابة وغيرهم من الموظفين الذين تتطلب وظائفهم ثقافة قانونية.^(١) وفي هذه المدرسة تخرج معظم رجال القانون اللذين نبغوا في عصر إسماعيل وما يليه من العصور ولها الفضل الكبير في نهضة القانون والتشريع والقضاء وعلى النهضة الأدبية والسياسية في البلاد .

٣ - مدرسة دار العلوم :

أنشئت سنة ١٨٧٢ والغرض منها تخريج أساتذة اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية وانتخب طلابه من نجباء تلاميذ الأزهر . وترجع فكرة تأسيسها أنه لما أنشئت المدارس الابتدائية واتجه العزم إلى الإكثار منها، مست الحاجة إلى طائفة من الأساتذة لتدريس اللغة العربية وآدابها في المدارس الحديثة . فرأى مبارك إنشاء مدرسة عالية دعاها دار العلوم لتخريج أولئك الأساتذة واشتمل برنامج التعليم فيها على العلوم التي لا تدرس في الأزهر كالحساب والهندسة والطبيعة والجغرافية والتاريخ والخط مع إتقان علوم الأزهر من لغة ونحو وتفسير وحديث وفقه وتولى نظارتها على التعاقب في عهد إسماعيل حامد أفندي نيازي ثم محمود أفندي فوزي ثم على بك فهمي رفاعة ثم حامد أفندي نيازي.^(٢)

وكانت مصاريفها على مبيعات دار الكتب وذلك ضمن المتحصل من الكتبخانة من الرسوم بديوان الأوقاف ثم تطورت الأحوال وصارت مصاريفها على ميزانية الحكومة.^(٣)

(١) رؤوف عباس حامد : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) عبدالرحمن الرفاعي : المرجع السابق ص ٢٠٢ ، ص ٢٣٥ .

(٣) أمين سامي : تقويم النيل في عصر إسماعيل - المجلد الثاني من الجزء الثالث ص ١٠٠٧ .

٤- مدرسة الطب والولادة

ارتقت مدرسة الطب في عهد إسماعيل واتسع نطاقها وخرجت جماعة من أعلام الطب في مصر وتولى نظارتها على التعاقب برجير بك ثم حافظ افتدى محمد ثم محمد علي باشا البقلي ثم محمد الشافعي بك ثم محمد علي باشا البقلي ثم جليارد بك^(١). أما مدرسة الولادة فحين تولى إسماعيل الحكم لم يكن بها سوى أربع تلميذات: امتحنت منها اثنتان فأحسنتا الإجابة في مبادئ الولادة أما البنتان الأخريان فصغیرتا السن ولم يدرسا شئ سوى مبادئ اللغة الفرنسية وكان تولى إسماعيل بشيراً بحياة جديدة للمؤسسات التعليمية القائمة ومنها مدرسة الولادة. عنيت لجنة امتحان المدرسة في سنة ١٨٦٣ بإصلاح هذه المدرسة وزيادة عدد تلميذاتها بما يتفق وحاجات البلاد وزاد عدد الطلبة ثم عادت إلى الانكماش مرة أخرى بعد سنة ١٨٧٢ فألغيت الفرقة الخامسة وقل عدد تلميذات الفرق الأخرى حتى وصل في سنة ١٨٨١ إلى ١٦ تلميذة^(٢).

• ومن المدارس العليا أيضاً في عهد إسماعيل :

- مدرسة المساحة والمحاسبة : أسست سنة ١٨٦٨ وتولى نظارتها نظار مدرسة المهندسخانة .

مدرسة اللسان المصري القديم (اللغة الهيروغليفية) : أسست ١٨٦٩ وتولى نظارتها المسيو " بروكش " عالم الآثار المصرية الألماني . وكان " بروكش " يخرج بتلاميذه من وقت لآخر إلى الصعيد في النيل ليدرسوا الآثار المصرية القديمة ولكنه لم يستطع أن يكرس وقته كله لتعليم تلامذته .

وبسبب سفر " بروكش " بك وتعذر عودته أقفلت مدرسة اللسان المصري القديم في أواخر سنة ١٨٧٤ ووزع ما بقي بها من تلاميذ على السكة الحديد

(١) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، ص ٤٧٤ ، ص ٤٧٥ .

والجهادية.^(١) ومن أشهر خريجي هذه المدرسة العالم الأثرى الكبير "أحمد كمال باشا".

- فرقة الرسم بالمدارس الملكية أسست ١٨٦٩ وألغيت ١٨٧٩
- مدرسة الزراعة أسست ١٨٦٧ وألغيت ١٨٧٥
- مدرسة العميان والخرس للبنين والبنات : أسست ١٨٧٥ وتولى نظارتها محمد أنس بك نجل عبدالله أبو السعود أفندي .
- مدرسة الطب البيطري : أسست عام ١٨٦٨ وتولى نظارتها المسيو ليونار، ووكالتها إسماعيل راضي أفندي وأحيلت نظارتها منذ سنة ١٨٧٠ إلى ناظر مدرسة الفرسان (السواري).^(٢)

التعليم العسكري

لما شرع إسماعيل في تنظيم التعليم الحربى نقل المدرسة الحربية التى كانت بالقناطر الخيرية إلى قصر النيل ثم إلى العباسية وأنشأ بهذه الجهة عدة مدارس حربية أخرى بدل المدارس التى أنشئت فى عهد محمد على وعفا أثرها. واختار جهة العباسية لقربها من الصحراء حيث يسهل على التلاميذ القيام بالتمارين الحربية وضرب النار، ولأنه كان بها السراي الفخمة التى أنشأها عباس الأول والتي كانت تصلح مقراً للمدارس والمعاهد والشكنات وجعل لهذه المدارس إدارة واحدة تدعى إدارة (المدارس الحربية) .^(٣)

ومن أهم المدارس التى أنشأها الخديوى :

- ١ - مدرسة الليادة (المشاة) : أنشأها فى سنة ١٨٦٤ وكان عدد تلاميذها حين تأسيسها ٤٩٠ تلميذ وتولى نظارتها محمد بك أمين ثم دى برتارى بك ثم منصور

(١) احمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، ص٥٧٢ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص١٨٣ .

(٣) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل - الجزء الأول ، ص١٨٢

أفندي، ثم محمد رعنا أفندي ثم جعل لها مديري إدارة وهم : محمد كامل أفندي ثم إبراهيم عاصم أفندي ثم محمد صالح أفندي .

٢- مدرسة السوارى (الفرسان) : أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها ١٦١ تلميذ وتولى نظارتها الضابط الفرنسي بولار ثم ياور بك .

٣- مدرسة الطوبجية (المدفعية) والهندسة الحربية : أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها ٢٨٠ تلميذ وتولى نظارتها " الكولونل لارمى باشا " وكان تلاميذها ينتخبون من بين طلبة مدرسة المهندسخانة .

٤- مدرسة أركان الحرب بالعباسية : أنشئت سنة ١٨٦٥ وتولى نظارتها الكولونل مرشير بك ثم شحاته عيسى بك أحد خريجي بعثات محمد علي، ثم باتيل بك ثم عاد إلى نظارتها مرشير بك ثم " لارمى باشا " ويختار تلاميذها من نوابغ طلبة المدارس الحربية أو المهندسخانة وتعد هي ومدرسة الطوبجية من أرقى المدارس العليا التي أسسها الخديوي إسماعيل .

٥- مدرسة الخطرية بالقلعة : أنشئت سنة ١٨٧٤ وهي أقل شأنًا من المدارس المتقدمة والغرض منها تخريج صف الضباط، وتولى نظارتها القائمقام خليل عفت بك ولم تمكث طويلاً .

٦- مدرسة صف الضباط : أنشئت سنة ١٨٧٤ وقد خرجت هاتان المدرستان عدداً من صف الضباط اللذين استخدمتهم الحكومة في الاكتشافات الجغرافية بالسودان.

٧- مدرسة قلفاوات الشيش ومدرسة الجبخانجية : وقد أقفلت هذه المدارس في أواخر عهد إسماعيل (فبراير ١٨٧١) بسبب إرتباك شؤون الحكومة المالية واضطراب أحوالها الإدارية والسياسية وأنشئت بدلا منها المدرسة الحربية المستجدة في إبريل ١٨٧٩ وعين لارمى باشا ناظراً لها .

ولم تدخر حكومة إسماعيل جهداً في توفير كل ما يساهم في النهوض بالتعليم العسكري، فشرعت تدقق في تعيينات التلاميذ وتهتم بهم، كما لم تقصر اهتمامها على مراقبة التلاميذ والإشراف على سلوكهم داخل جدران المدرسة فقط بل أنها كانت تراقبهم أثناء خروجهم في العطلات . أما المستشفى الذي أنشأته الحكومة للعناية بصحة التلاميذ فقد كان له دور بارز من حيث الاهتمام بنظافتهم وتوقيع الكشف الدوري عليهم .^(١)

التعليم الصناعي

١ - مدرسة الفنون والصنائع^(٢)

وكانت تعرف باسم مدرسة العمليات ، أسست سنة ١٨٦٨ لتخريج الصناع الفنيين ومنهم مهندسو الواحورات البرية والبحرية وسواقوها والموظفون الفنيون في مصلحة السكك الحديدية وتخرج منها مهندسون لصنع عربات السكك الحديدية والبواخر والآلات البخارية وتولى نظارتها المسيو جيغون بك ثم عيسى شاهين أفندي ثم عاد لنظارتها جيغون بك ومن كبار أساتذتها إسماعيل بوشناق بك كبير مهندسي العنابر بالسكك الحديدية .

ويشتمل برنامجها على العلوم الصناعية والهندسية ثم التمرينات العملية .

ففي السنة الأولى : يدرس الحساب والجبر والهندسة الوصفية والرسم وفن العمارة واللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

ففي السنة الثانية : تدرس أنواع الرسم، اللغات، الطبيعة وتطبيقها على الصناعات والميكانيكا والجغرافيا والمحاسبة .

وفي السنة الثالثة : تدرس المواد المذكورة مع التاريخ وتطبيق الكيمياء على الصناعات ورسم الآلات البخارية وتركيبها .

(١) سامي سليمان السهم : التعليم والتغير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر ، ص ١٣٥ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

وكان الطلبة يمارسون بعد الظهر التمرينات العملية في خمسة معامل :

أولها : معمل تركيب الآلات وتصليحها

الثاني : معمل الحدادة

الثالث : المسبك الذي كان يعرف بالدوكمخانة

الرابع : معمل الخراطين والنجارين والعينات التي يطلب عملها

الخامس : معمل قدور قزانات الحديد والنحاس، وفي المدرسة قسم لتعليم التلوين بالألوان المختلفة .

٢- فرقة عمليات المرور : وسميت بذلك لأن ديوان المرور كان يقوم بالصرف على الفرقة الأولى بمدرسة العمليات مع استمرار تعليمهم في المدرسة، وصرف التعيينات والكساوى لهم أسوة بتلاميذ المدرسة الأصلية وقد أنشئت هذه الفرقة عام ١٨٧٠ وكان بها ١٧ تلميذاً وقد أغلقت عام ١٨٧٢^(١).

٣- قسم لتعليم صناعة النقش وفرش العربات وكان يلتحق به أى فرد يريد أن يتعلم هذه الصناعة وقد افتتح هذا القسم عام ١٨٦٩ وأغلق عام ١٨٧١ .

٤- فرقة التلغراف (المدارس) : وقد الحق تلاميذ هذه الفرقة إلى مدرسة العمليات التي أصبحت تسمى مدرسة العمليات الملكية وتكفل ديوان المدارس بالنفقات الخاصة بهم من ميزانيته بعد أن أشد الخلاف بين ديوان المدارس وديوان المرور على نفقات تعليم هؤلاء التلاميذ لأنه كان من المتبع أن يرسل ديوان المدارس الطلبة الذين تفصلهم المدارس الحربية لعدم لياقتهم للخدمة العسكرية ويكون لهم معرفة بالقراءة والكتابة إلى ديوان الأشغال العمومية ليلحقهم بفرقة التلغراف^(٢).

(١) إميل فهمى حنا شنودة : تاريخ التعليم الصناعى حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - ص ١٥٠ .

(٢) إميل فهمى حنا شنودة : نفس المرجع ، ص ١٥٢ .

البعثات العلمية في عهد الخديوى إسماعيل

كان إسماعيل هو الأمير الذى انتظم في صباه في إحدى البعثات الشهيرة التى أرسلها جده إلى أوروبا (بعثة ١٨٤٤)، والذى اتصل بالحضارة الأوروبية وبالمجتمع الأوروبي حين كان يطلب العلم، ثم حين كان يتردد على الدول الأوروبية في زيارته المتعددة. فإن إسماعيل هو الحاكم المستنير الذى يقدر ما لنظام البعثات العلمية من أثر عظيم في شتى نواحي النهضة المصرية عامة والحركة التعليمية خاصة ولهذا استمر طول حكمه يرسل البعثات العلمية الى مختلف البلاد الأوروبية.^(١)

وقد اختلف الباحثون في تقدير عدد الطلاب الذين أرسلوا إلى أوروبا تحت حكم إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) فيقول الياس الأيوبي : " وأما ما كان من شأن الإرساليات المدرسية إلى البلاد الأوروبية ما بين سنة ١٨٦٣ - ١٨٧٩، فقد بلغ عدد الطلبة الذين تألفت منهم (نيفاً ومائة واثنين وسبعين) وزرعوا كالأتى : مائة وعشرون أرسلوا إلى مدرسة الطب والمدرسة الحربية بباريس وخمسون إلى مدارس طورينو العسكرية والملكية وثلاثة فقط الى مدارس لندن الهندسية، وبلغ المنفق عليهم في تلك السنوات الست عشرة ١٦٣٠٥٧ جنيهاً.^(٢)

ويقول أمين سامى : " بلغ عدد من بعثوا إلى حواضر أوروبا في عهد سمو الخديوى إسماعيل باشا لتلقى دروس الطب والهندسة والحقوق والبحرية والزخارف ومختلف الفنون ١٧٤ طالب والنفقات التى أنفقت عليهم وعلى من كان باقيا من عهد سمو سعيد باشا بلغت ١٦٣٦٥٧ جنيهاً "^(٣)

ويذكر عبدالرحمن الرافعى أن إسماعيل أخذ يوفد الطلبة إلى مدارس أوروبا منذ سنة ١٨٦٣ وبلغ عددهم مده حكمة ١٧٢ طالب ، وأنشأ مدرسة لأعضاء البعثة

(١) أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد على الى أوائل حكم توفيق -

الجزء الثانى - عصر إسماعيل ص ٦٩٦

(٢) الياس الايوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوى إسماعيل - المجلد الأول ص ٢٢٨ .

(٣) أمين سامى : تقويم النيل في عصر إسماعيل - المجلد الثالث من الجزء الثالث ص ١٥٧١ .

بباريس بدلا من المدرسة التي أنشأها محمد على لهذا الغرض وأقفلت بعد نشوب الحرب السبعينية.^(١)

جدول (٩)

هذا وتوجهت معظم البعثات العلمية في عصر إسماعيل إلى فرنسا وكانت وعلى النحو الآتي :

نوع الدراسة	عدد الطلبة من ١٨٦٣ - ١٨٧٩
الطب والصيدلة	٢٦
الطب البيطري	٤
التاريخ الطبيعي	٤
الحقوق	٣٤
الهندسة	١٧
الصناعات	٧
الدراسة الابتدائية والتجهيزية	١٩
الرسم	٢
المساحة والمحاسبة	٣
التعليم	٤
غير معلوم	٤
طالبة	١
المجموع	١٢٢

المصدر : سامي سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر ص ٢٩٥

كما اتجهت بعثات إلى دول أخرى وكان بيانها كالآتي

البلد	العدد	الملاحظات
فرنسا	١٥٥	١٢٢ في عصر إسماعيل ٢٣ بين سني ١٨٨٢/١٨٧٩
انجلترا	١٤	في عصر إسماعيل
إيطاليا	١٥	في عصر إسماعيل، ومنهم طالبان أرسلتا قبل ذلك إلى فرنسا
ألمانيا	٥	في عصر إسماعيل ومنهم طالب كان يدرس قبل ذلك في فرنسا
سويسرا	٦	في عصر إسماعيل ومنهم طالبان تحولتا إلى فرنسا

المصدر : سامي سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر ص ٢٩٦

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ، ص ٢٠٩ .

البعثات العسكرية في عصر إسماعيل

توجهت معظم البعثات العسكرية إلى فرنسا لاقتباس نظمها وفنونها العسكرية، وفي سنة ١٨٦٤ استدعى الخديوى بعثة من الضباط الفرنسيين للإشراف على تدريب الجيش المصرى والتدريس بالمدار الحربية، كما وجهت الحكومة المصرية بعثات إلى باريس سنة ١٨٦٦ لدراسة المعادن ثم بعثة أركان الحرب ١٨٦٧ إلى باريس أيضا وبعثة الثلاثين طالب إلى فرنسا أوائل سنة ١٨٧٠^(١).

- تلك كانت الحركة التعليمية بمصر في عهد إسماعيل، وتلك هي المجهودات التى بذلت لترقية مستوى الأمة العقلى حتى أصبح عدد المتعلمين فيها ٤ ٪ من عامة ذكورها بعد أن كان أقل من واحد فى المائة منهم وذلك فى عهد كانت أرقى نسبة المتعلمين فى أكثر البلاد الأوروبية تعليماً ١٥ ٪ فقط وكانت فى روسيا ٢ ٪ لا غير .

فلا غرابة فيما قال " ده ليون " المؤرخ الأمريكى : " أن ما عمله إسماعيل فى سبيل التعليم العام بمصر كان عظيماً ويعتبر عظيماً فى أى قطر من الأقطار " .^(٢)

ويقول " ده ليون " أيضاً : " إذا أردنا أن نعدد كل ما فعله الخديوى من أجل التعليم أعوزتنا المجلدات الضخمة ولم يكفنا فصل واحد . ذلك لأن مجهوداته فى هذا السبيل جديرة بكل مديح وثناء لما قد أنجزه خلال الأعوام الستة أو الثمانية الماضية .. على أن أعظم بدعة أحدثها هى محاولة تعليم النساء الوطنيات على نطاق واسع تحت إشراف احدى أزواج سموه . وقد أسفر ذلك عن نجاح جدير بالاعتبار .^(٣)

(١) سامى سليمان السهم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٢) إلياس الأيوبى : المرجع السابق - ج ١ ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٣١ .

(٣) بيركراتيس : إسماعيل المفترى عليه ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

المشروعات الثقافية

١ - دار الكتب

٢ - دار الآثار

٣ - دار الأوبرا

٤ - الجمعية الجغرافية الخديوية

٥ - جمعية المعارف

١- دار الكتب

تعددت جوانب الإصلاح التي نهض بها على مبارك باشا سواء ما اتصل منها بجانب العمران والتشييد أو امتدت إليه يدها في جانب التعليم والثقيف . وله في كل منها يد محمودة وفضل مشكور، وكان من مآثره الباقية إنشاء دار الكتب المصرية التي حفظت ذاكرة الأمة وتراثها.^(١)

ويرجع تأسيس دار الكتب إلى عهد محمد علي ، فقد أنشأ مستودعاً لبيع مطبوعات الحكومة في بيت المال القديم خلف المسجد الحسيني . ولما تولى إسماعيل الحكم أضاف إليه نحو ألفي مجلد من المحفوظات العربية والفارسية إبتاعها من تركة حسن باشا المانسترلي (أحد كبار رجال عباس الأول) .^(٢) ولكن لم يكن هناك وعى تام بأهمية الكتب التي تمتلكها مصر والتي تتوزع في المساجد الكبيرة الجامعة وقصور الأمراء والأثرياء وبيوت العلماء، ولم يكن هناك ما يمنع من الإتجار في تلك المخطوطات النادرة، الأمر الذي أدى إلى تردد كثير من التجار الأجانب على القاهرة لشرائها لصالح مكباتها الوطنية . فانتبه على مبارك إلى خطورة هذا الوضع الذي ينذر بضياع ثروة مصر الفكرية، فرأى ضرورة قيام مكتبة كبيرة تضم شتات الكتب المبعثرة في أماكن متعددة حماية لها من الضياع والتبدد .

وقد سبق له أن شاهد أثناء بعثته في فرنسا مكتبتها الوطنية في باريس فأعجب بها . فألقى برغبته إلى الخديوى إسماعيل والذي كان يجيش في نفسه مثل هذه الرغبة . فتلاقت الرغبتين معاً وأصدر الخديوى قراراً بإنشاء دار تجمع المخطوطات النفيسة التي سلمت من الضياع والتبديد .^(٣)

(١) الموقع الإلكتروني للموسوعة الحرة (ويكيديا) . WWW.Wikipedia.org .

(٢) عبدالرحمن الراجحي : عصر إسماعيل الجزء الأول - ص ٢٣٦

(٣) الموقع الإلكتروني للموسوعة الحرة (ويكيديا) www.wikipedia.org .

ويقول " على مبارك " : (ثم ظهر لي أن أجعل كتيبة خديوية داخل الديار المصرية أضاهي بها كتيبة باريس ، فاستأذنت إسماعيل باشا في ذلك فأذن لي ، فشرعت في بناء الكتيبة الخديوية بدرب الجماميز ، وبعد فراغها جمعت فيها ما تشئت من الكتب التي كانت بجهات الأوقاف ، زيادة على ما صار مشتراه من الكتب العربية والفرنجية وغيرها) .^(١)

ومن هنا يتضح لنا أن وزراء إسماعيل قد اقتنوا أثره في التشبه بمدن أوروبا .^(٢)

وفي ذلك الصدد أصدر إسماعيل أمراً بإنشاء تلك الدار في سنة ١٨٧٠ م ، كما أمر باستحضار حضرات العلماء لكي يعدوا قائمة ببيان أسماء الكتب ، وكذلك استحضار من لهم إلمام بالكتب التركية لإعداد قائمة بتلك الكتب ، وشراء الكتب التي لا توجد بمصر والشام والحجاز والاستانة أو دول أوروبا ونقلت الكتب الموجودة بديوان المدارس إلى الدار الجديدة .^(٣)

وتذكر الوقائع المصرية في عددها رقم ٣٥٢ الصادر بتاريخ ٩ محرم ١٢٨٧ هـ - ١٠ إبريل ١٨٧٠ م :

" أنه في الساعة الحادية عشرة من يوم الأحد الماضي شرف حضرة الجناح الخديوي المفخم الكتيبة الجديدة التي أنشئت في ظله المديد بمعرفة حضرة سعادة على مبارك باشا ، على مقتضى الأصول الهندسية والقوانين المعمارية ، في سراية درب الجماميز التي بها ديوان المدارس في مكان جميل ، مساعد على حفظ الكتب من الآفات ، مستجمع للشروط اللازمة من النور وطيب الهواء ، وغير ذلك مما هو على طبق مرغوب الجناح الخديوي الكريم حيث كانت رغبته السنية أن يجمع فيها

(١) على مبارك : المخطط التوفيقية - ج ٣ ص ١٤ .

(٢) صالح رمضان محمود : دراسات عن الحياة الاجتماعية في مصر في عهد الخديوي إسماعيل - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - ص ٢٤ .

(٣) صالح رمضان محمود : المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ص ٢٥ .

الكتب النفيسة التي بخط اليد، المتفرقة في المساجد القديمة والمؤلفات المطبوعة بأن توضع في دواليب بكيفية مخصوصة يسهل بها مراجعتها لكل من أراد".^(١)

من خلال ما سبق ، أستطيع أن أقول أن : إنشاء دار الكتب في عام ١٨٧٠ هـى خطوة جعلت مصر تضاهي دول أوروبا، وتأكيداً على أن التعليم والثقافة هما أساس نهضة الأمم .

لذا فإن الفضل كل الفضل يعود إلى الخديوى إسماعيل الذى زود الدار وجمع لها كل ما وصلت إليه يده من الكتب المنسوخة باليد والمصاحف المزخرفة التي كانت مبعثرة في جميع أنحاء البلاد. ولا ريب أن هذه المجموعة لا تقل في بابها عن مجاميع لندن وباريس وتورين، على أن المجموعة الفارسية التي فيها لا يوجد لها نظير في العالم بأسره.^(٢)

ومن هذه المجموعة وما ضم إليها من كتب خاصة ، كان يقطنها رأس الأسرة العلوية العظيمة (ساكن الخلد) محمد على باشا الكبير، وأضيف لها مجموعة من آلات التجارب العلمية فأصبحت تلك الدار مقصداً للعلماء والأدباء وطلاب الثقافة.^(٣)

وفي سنة ١٨٧٦ توفي الأمير مصطفى فاضل باشا (شقيق الخديوى إسماعيل)، وكان كلفاً بالكتب العربية وغيرها، حريصاً على اقتنائها، وبلغ مجموعها ٣٠٠٠ كتاب من نواذر المخطوطات ونفائس الكتب، وإبتاعها إسماعيل بمبلغ ١٣.٠٠٠ من الجنيهات وأهداها إلى الدار.^(٤)

(١) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية - ص ١٤١ .

(٢) عمر الاسكندري وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر ص ٢٢٨ .

(٣) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ص ٣٩٠ .

(٤) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوى إسماعيل باشا - المجلد الأول ص ٢٤٢ .

وقد كانت هذه الكتب وما جمع من المساجد والأضرحة النواة الأولى لدار الكتب المصرية من المجموعات العربية والشرقية، وتكونت نواة الكتب الإفرنجية في عهد الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٣ مما أهدهته الجمعية المصرية التي كونها بعض العلماء الأجانب سنة ١٨٣٦.^(١)

وأنفق على الدار من ميزانية المدارس، وفتحت أبوابها لطلاب العلوم والمعارف، وسهلت لهم الإطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات ما كان يمكن الوصول إليها لولا إنشاء هذه الدار. فأدت ولا تزال تؤدي خدمات جليلة للنهضة العلمية والأدبية.^(٢)

وهكذا أصبحت دار الكتب تضارع مثيلاتها التي من درجتها في العواصم الأوروبية، وأعاد إسماعيل إلى الشرق الأدنى مثلاً من مفاخره العلمية التي ازدهت بها العصور العباسية والفاطمية، وأخرج إلى الأيام الحاضرة تحفة من التحف الرائعة، ومكن ظمناً إلى العلم والبحث والمذاكرة من يتابع حية يلجأ إليها فيرتوى.^(٣)

٢ - دار الآثار المصرية

لا يكاد يوجد في العالم أرض تضارع مصر في كثرة آثارها القديمة. إلا أن هذه الآثار كانت إلى أواخر أيام محمد علي باشا مهملة لا يهتم بها ملوك مصر ولا يفتر قناصل الدول الأجنبية وتجارها عن تبديدها وتهريب ما وصلت إليه أيديهم منها إلى بلادهم.^(٤)

فلما قدم شامبليون إلى مصر لدراسة النقوش الهيروغليفية، فكر في إنشاء مصلحة للآثار بمصر تتولى صيانة الآثار والمحافظة عليها وتنظم أعمال الحفر في

(١) وزارة المعارف: إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته. ص ٣٩٠.

(٢) عبدالرحمن الراجحي: المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٣) إلياس الأيوبي: المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٢٤٢.

(٤) عمر الاسكندري وسليم حسن: المرجع السابق، ص ٢٢٩.

وإلى النيل سنة ١٨٣٠ . ثم قدم عنها تقريراً إلى محمد علي باشا مشيراً فيه إلى ضرورة إنشاء مثل هذه المصلحة والرسائل التي توصل إلى ذلك . ولكن الباشا لم يقتنع بما أورده شامبليون من أهمية لحفظ تاريخ مصر .

وقد تحققت هذه الفكرة لأول مرة بقرار أصدره محمد علي الكبير في سنة ١٨٣٠ ، فأنشئت نظرياً مصلحة للآثار، كما أنشئ متحف في ملحق لأحدى المدارس الحكومية التي كانت مجاورة لمنطقة الأزبكية، وتكون مسئوليتها البحث عن الآثار في أنحاء مصر، وأن يحصلوا من المديرية على ما يوجد من القطع الأثرية وإرسالها إلى متحف الأزبكية .^(١)

وفي نفس الوقت أصدر محمد علي أمراً بمنع تصدير الآثار، وإقامة حراس عليها، وجعل تبعية مصلحة الآثار إلى نظارة المعارف .^(٢)

غير أن هذه المنشأة لم تؤد إلى الغرض الذي كان يتظر منها، فرأت نظارة المعارف العمومية سنة ١٨٤٩ أن تعهد إلى " لينان بك " لعمل فهرست للآثار المصرية المكتشفة وجمعها في مكان واحد يصبح " متحفاً " . إلا أن ذلك لم يضرب على أيدي السرق والمبددين . وفي خلال هذا الوقت نقلت مجموعة من الآثار الصغيرة التي كانت بمتحف الأزبكية إلى القلعة، ولم تشغل بها إلا حجرة واحدة .

وفي عام ١٨٥٠ قدم إلى مصر عالم فرنسي هو " مريست " موفداً من حكومته لشراء مخطوطات قبطية، ولكنه اهتم بالآثار المصرية، وشارك في التنقيب عنها خاصة في منطقة سقارة حيث اكتشف بها معبد السرابيوم وغير ذلك، ونقل كثيراً مما اكتشفه إلى دار الآثار بالقلعة .^(٣)

(١) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته . ص ٣٩١

(٢) رأفت غنيمي الشيش : حضارة مصر الحديثة ، ص ٨٤ .

(٣) رأفت غنيمي الشيش : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

وفي سنة ١٨٥٥ ، جاء إلى مصر الارشيدوق النمساوي " ماكسميليان " زائراً فأعجبه تلك الآثار، فطلب إلى عباس باشا أن يهبه شيئاً منه، وكان عباس لا يقدر قيمتها الفنية أو التاريخية ولا يشعر بواجب المحافظة عليها فوهبها إياه كلها، وزين بها متحف الآثار في فيينا.^(١)

وفي سنة ١٨٥٨، وبناء على اقتراح " دلسبس " قرر سعيد باشا أن تتخذ الاجراءات اللازمة لإنشاء مصلحة آثار حقيقية ومتحف مصري جدير بالبلاد . وقد طلب سعيد باشا مساعدة فرنسا في تنفيذ مشروعه، وبناء على تزكية دلسبس ثم تعيين " مريت " مأموراً للآثار، وكان يتناول مرتبه والمبالغ اللازمة للعمل من خزينة حددها شامبليون . وكان المفهوم أنه سيجري الحفائر في جميع أنحاء القطر في المواقع التي حددها شامبليون في مذكراته لكل يحصل على الآثار لتأسيس المتحف المرغوب فيه .

وعمل مريت على زيادة الاكتشافات الأثرية حتي امتلأت دار الآثار بالقلعة، فأمر محمد سعيد باشا بنقلها إلى مخازن أعدت لها في منطقة بولاق، وكان هذا المكان تشغله إحدى الشركات النهرية ببولاق، وكان عبارة عن أربع صالات للعرض ووضع فيه كل ما كان قد عثر عليه في حفائره الأولى بسقارة، الجيزة، تانيس، أنيروي، الكرنك، ثم ضم إليها في سنة ١٨٥٩ حلي الملكة أهوئب التي كشف عنها بجبانة الأقصر.^(٢) ولكن المنية عاجلت سعيد في سنة ١٨٦٣ .

ثم جاء خلفه إسماعيل باشا فأخذ على عاتقه مشروع المتحف المصري، فقد رأى أن يجمع في بناء عظيم يقام بميدان الأزبكية غلاوة على الآثار المصرية والآثار اليونانية والآثار العربية، وأن يلحق بالمتحف المجمع العلمي المصري الذي أنشأه نابليون ومكتبته القيمة. وإلى أن يتم هذا، رأى إسماعيل باشا أن تيسر " لمريت "

(١) عبدالرحمن الراجحي : نفس المرجع - الجزء الثاني ص ٢١ .

(٢) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، ص ٣٩٢ .

مهمة الاحتفاظ بآثاره التي أخذت تزداد شيئاً فشيئاً، فوسع المتحف الموجود ببولاق، وأضاف إليه عشراً من صالات العرض ثم افتتحه إسماعيل بنفسه في حفلة رسمية في ١٨ أكتوبر ١٨٦٣ . ونتيجة لازدهار المصلحة في عهد إسماعيل شاركت مصر في معرض باريس الدولي للآثار عام ١٨٦٧ م، وقد لاقت الآثار المصرية إعجاب الفرنسيين والأوروبيين، وقد طلبت الإمبراطورة الفرنسية " أوجيني " من الخديوى أن يهدي الآثار المصرية المعروضة بمعرض باريس هدية لفرنسا وكاد الباشا يوافق لولا مقاومة " مريت " ^(١).

وقد تأثرت عملية التنقيب على الآثار وحفظها بالعسر المالي الذي حاق بمصر في عهد الخديوى إسماعيل . وفي عام ١٨٧٨ فاض نهر النيل على أماكن بولاق، وقد يغرق الآثار فعني " مريت " بحفظها في صناديق وبقي محافظاً عليها حتي أعيد افتتاح الدار بعد هبوط نهر النيل في عهد توفيق باشا سنة ١٨٨٠ .

وفي عام ١٨٩١، وفي عهد الخديوى عباس حلمي الثاني نقلت دار الآثار المصرية من بولاق إلي الجيزة، وظلت بالجيزة حتي عام ١٩٠٢ (وفي سراي إسماعيل باشا) حتي نقلت إلي مكانها الحالي بقصر النيل، وبناء على تصميمات وضعها مهندس فرنسي يدعي (Dourgnon) وفاز بها في مسابقة عالمية وقد افتتحه الخديوى عباس حلمي الثاني في سنة ١٩٠٢. ^(٢)

أما بالنسبة لدار الآثار الإسلامية فقد أصدر الخديوى إسماعيل أمراً بإنشائها في سنة ١٨٦٩ ، وكلف بذلك " فرانس باشا " رئيس هندسة الأوقاف. وكان غرضه منها جمع ما كان مبثغراً في المساجد وغيرها من الآثار العربية والإسلامية على أنواعها لتكوين تلك الدار ضوءاً للمتحف المصري المجموعة فيه الآثار الفرعونية والبطلمية والرومانية والبيزنطية. فيكون الأثنان هيكلأ فخماً للتاريخ المصري برمته، ولتنقل

(١) رافت غنيمي الشيش : المرجع السابق ، ص ٨٥

(٢) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، ص ٢٤٢ .

الباحث والزائر من مرحلة إلى مرحلة في حياة مصر. ولكن عدلاً كثيرة منها اشتغال المكان المطلوب لجمع تلك الآثار حالت دون تنفيذ فرائس باشا أمر إسماعيل في عهده، فلم تخرج فكرة الخديوي العظيم إلى الوجود إلا في أيام ابنه محمد توفيق باشا.^(١)

صور من اهتمام إسماعيل وعنايته بالآثار

من الأمور التي اهتم بها إسماعيل كانت العناية بالآثار المصرية القديمة، ويتضح ذلك من خلال مطالعتنا إلى ما يلي :

"أمر كريم إلى مفتش قبلي"

(بما أن الآثار الموجودة في القطر المصري تساعد على تنوير تاريخ البلاد العام، وتخليد ذكراها، بحيث أن رغبتها العمل على أن تكون جميع هذه الآثار محفوظة في عهدنا، فإن من مقتضي ارادتنا أن تكتبوا بدوركم إلى المديرين وتنبهوا عليهم تنبيهات مؤكدة لمنع أي شخص منعاً باتاً من تحطيم هذه الآثار أو أخذ أحجار منها سواء لاستعمالها في منشآتهم الخاصة أو في المباني الأميرية، ولترتيب الخفراء اللازمين بالأجرة في حالة طلب مصلحة الآثار ذلك).^(٢) " في ٢ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ - ٢١ إبريل سنة ١٨٦٣ "

وهناك حوادث تدل على اهتمام إسماعيل وعنايته بالآثار المصرية :

فالحادث الأول : وقع في باريس أثناء المعرض العالمي للآثار ١٨٦٧ م، وأعجب الزائرون ببعض القطع المصرية الفنية : مثل شيخ البلد والكاتب وغيرها من التماثيل التي وجدت في سقارة . وقد فوجئ الخديوي بطلب من الإمبراطورة "أوجيني" للتخلي عن جزء من هذه المجموعة للحكومة الفرنسية . فأجاب

(١) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل ، المجلد الأول ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) جورج جندي و جاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

إسماعيل بأن لا مانع عنده من ذلك ، ولكن يوجد موظف أقوى منه في هذه الناحية وهو "مريت" مدير المتحف، وهذه طريقة لبقة للرفض، وبالطبع كان جواب مدير المتحف الرفض .

الحادث الثاني : عندما حلت بمصر الضائقة المالية، وكان يشيع بعض أصحاب رؤوس الأموال في أوروبا أن نية الحكومة المصرية التنازل عن متحفها مقابل استهلاك جزء كبير من ديونها . وكان من السهل أن تفعل مصر ذلك، ولكن إسماعيل رفض، وكان عظيماً في محتته، جاداً في تطبيق المبادئ السامية في عهده .^(١)

أما في مجال العناية بالآثار الإسلامية ، فكما أشرنا سابقاً أن إسماعيل كان صاحب فكرة إنشاء دار الآثار العربية، بالإضافة إلى إصلاح العنابر الإسلامية الأثرية، وفي تشييد بعض العنابر الجديدة على الطراز الإسلامي . ولقد لقيت القلعة قسماً وافراً من عناية إسماعيل، فأمر بتجديد أسوارها . وسجل ذلك في كتابة تاريخية على لوح من الرخام، كما أمر بتجميل الطريق الموصل إليها وذلك بإصلاح ميدان الرملة وتوسيعه وغرس الأشجار فيه .

وأمر إسماعيل ببناء بعض الزيادات في مسجد محمد علي باشا بالقلعة، ووقف على هذا المسجد بعض التحف والمصاحف الثمينة . ومن طريف ما ذكره " علي باشا مبارك " أن جامع السلطان شاه في حي عابدين كان به منبر ثمين من الخشب فباعه ناظر الجامع محمد أفندي الجريدلي إلى أحد السائحين، فلما علم الخديوي إسماعيل بهذا الحادث أمر بنفي هذا الناظر إلى السودان ومعه النجار الذي خلع المنبر، كما أمر بتجديد الجامع وإصلاحه .

كذلك عني إسماعيل بجامع سيدنا الحسين فأمر بتجديده وتوسيعه، وكلف الأمير راتب باشا بإجراء العمارة، ودفع من جيبه الخاص معظم نفقات هذا التجديد.

(١) سامي جبره : العناية بالآثار المصرية - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - ص ٣١٣ .

وأمر إسماعيل أيضاً بتعمير جامع المؤيد، وقد كان هذا المسجد قد تهدم حتي لم يبق منه إلا جدار القبلة كما جدد في عهده جزء من الجامع الأزهر، ولاسيما بابه المعروف باسم باب الصعايدة الكبير .

أما منشآته المعمارية على الطراز الإسلامي : فمنها جامع الرفاعي وهو المسجد الشاهق المقابل لجامع السلطان حسن، والذي أمرت بإنشائه السيدة والددة الخديوي إسماعيل، وتولي هو الإشراف على عمارته .

وأنشأ الخديوي إسماعيل جامعاً كبيراً، قبل سراي عابدين عرف باسم جامع عابدين الجديد . وأنشأ مسجداً في حي الحنفي يعرف بجامع الشيخ صالح أبي حديد. كما أنشأ في عصره عدداً من الأسبلة التركية الطراز مثل سبيل الشيخ صالح وسبيل أولاد عنان^(١).

٣ - دار الأوبرا الخديوية

إذا كنا في هذا البحث نتحدث عن المشروعات العمرانية في عصر إسماعيل، فإنه كان لزاماً أن نذكر إحدى هذه المشروعات، وهي " دار الأوبرا " . والتي تعتبر أظهر شاهد على الروح العصرية، والوجهة التي اتجه إليها في طبع البلاد بطابع الحضارة الحديثة في جميع حياتها العملية والعلمية والثقافية .

والواقع أن مصر لم تعرف فن التمثيل إلا في عهد الخديوي إسماعيل، ولاشك أنه لون من ألوان الحضارة الحديثة لم يكن لمصر عهد به من قبل . وينسب إلى إسماعيل أنه الذي أنشأ أول مسرح في مصر، هو المسرح الكوميدي في حي الأزبكية وذلك في ٤ يناير سنة ١٨٦٨ وعرضت فيه لأول مرة في مصر نماذج من المسرح الأوروبي^(٢).

(١) محمد زكي حسن : العناية بالآثار الإسلامية - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - ص ٣١٨ .

(٢) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، ص ٣٩٣ .

وبعد عام تقريباً كانت هناك مناسبة عظيمة، وهى افتتاح قناة السويس. فانتهاز الخديوى هذه الفرصة ليضع أساساً أمتن، وصرحاً أقوى لفن التمثيل. فأمر بتشيد دار الأوبرا الخديوية وأسند الإشراف على أعمال البناء إلى المهندس الإيطالي (بيetro أفوسكاني) الذى شيد قصر رأس التين لمحمد علي، وأشرف على ديكورات قصور العباسية، الحلمية، الجزيرة، وشبرا ومصرح سعيد باشا بقصر القبارى ومصرح زيزينيا بالإسكندرية. أما تصميم البناء الرئيسى فكان للمهندس الإيطالي "سكالالا"، والمبني الخلفى من تصميم المهندس "جيوفاني سالومون" وتراعى فى البناء أيضاً النظريات الصوتية والبصرية.^(١)

وإلى جانب التوفيق فى البناء واختيار الأشخاص المناسبة. كان هناك توفيق فى اختيار المكان، فقد أنشئت الدار فى مكان يتوسط حين مهمين من أحياء القاهرة هى حي الأزبكية وحي الإسماعيلية.^(٢)

وشيدت دار الأوبرا الخديوية علي طراز أوبرا "لاسكالالا" بميلانو. وكان أساسها من الأحجار وباقي المبني من الخشب المستورد من لبنان المغطى بالجنس.^(٣) وقد بلغت تكاليف الإنشاء بحوالى ١٦٠ ألف جنيه.^(٤)

وقبل أن يتم البناء، كان العاهل العظيم قد شرع يهيئ لداره الجديدة تراثاً فنياً خالصاً يشير إلى ماضي مصر المجيد، فقام (مريت) باختيار قصة من صفحات التاريخ المصري القديم تصلح نواة لمسرحية شعرية وقام بنظمها الشاعر الإيطالي (جبالانزوني)، وعهد الخديوى إسماعيل إلى الموسيقار الإيطالي (فيردي) بوضع

(١) عرفه عبده علي : القاهرة فى عصر إسماعيل - ص ٧٠ .

(٢) وزارة المعارف : المرجع السابق ، ص ٣٩١ .

(٣) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٤) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل ، المجلد الأول ، ص ٢٩٢ .

موسيقاها، فكانت الأوبرا الخالدة (عايدة). ولكن الظروف حالت دون أن تكون أوبرا عايدة في افتتاح الدار، ولم تمثل إلا بعد ذلك بعامين (في ديسمبر ١٨٧١).^(١)

وافتح دار الأوبرا الخديوية في أول نوفمبر ١٨٦١ بأوبرا (ريجوليتو) من وضع الموسيقار (فيردي) نفسه وكان بالمقصورة: الخديوي إسماعيل، الإمبراطورة أوجيني، وعاهل النمسا، الإمبراطور "فرانسوا جوزيف" ولي عهد بروسيا، واحتشدت المقاصير وصالة الدار بكبار الشخصيات في عالم السياسة والأدب والفن في أوروبا.^(٢)

كانت سعة القاعة ٣٠٦ مقعد، وستين مقصورة موزعة على ثلاث طوابق، بكل مقصورة خمسة مقاعد على الأقل وقد خصصت المقاصير الثلاث الأولى بالطابق الثاني علي اليمين لحريم السراي. وكانت تتصدر واجهة هذا الطابق: قاعة المآدب الرسمية الفاخرة بجوارها قاعة الموسيقيين ثم القاعة الفخمة التي كانت شرفتها تطل علي الميدان وعرفت "بقاعة إسماعيل" وهي على شكل مسرح صغير بمقصورتين تمتدان على الجانبين وترتفعان بمستوي يكفل حجب الحريم فيها عن الرؤية أثناء الحفلات ذات الطابع الخاص. وسقفها محلي برسوم زيتية، تتوسطها أربع لوحات لمغنيات أوبرا شهيرات: "باتي"، "فريتشي"، "جريمالدي"، "بيكولوميني" ومبني الملحق كان يتكون من ثلاث طوابق، الأول خصص لتغيير الملابس والطابق الثاني لتخزين المناظر، أما الطابق الثالث فقد قسم إلى عدة غرف لحفظ الملابس والأثاثات، فكان وحده متحفاً يضم ثروة فنية هائلة من وثائق كالخطابات، والعقود الموقعة بين فيردي والخديوي، واكتشاثات رسمها ماريت لملايس أوبرا عايدة ودروع وسيوف وحلي. وكان يتولي صنعها فريق من أمهر

(١) وزارة المعارف: إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته، ص ٣٩٥.

(٢) عرفه عبده علي: المرجع السابق، ص ٧٠.

الحرفيين في ورشة خاصة بنفس الطابق الذى ضم أيضاً مرسماً للمصورين، وورشة لحياكة ملابس الروايات الجديدة، وترميم الملابس القديمة ^(١).

وامتد موسم الافتتاح إلى ١٤ مارس سنة ١٨٧٠ ، وشمل ٧٠ حفلة، وهو عدد من الحفلات لم يكن متاحاً في موسم واحد وفي دار واحدة . وقد شملت العروض إبداعات فنية خالدة منها (تروفا ثوري) ، (حلاق أشبيلية) ، (فاوست) ، (هيلين الجميلة) ، (أكسير الحب) ، (سميراميس) ، (غادة الكاميليا) ، (عروس الأربعاء السمينة) .

وأخيراً في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧١ عرضت أوبرا عايدة بعد سلسلة من المفاوضات والعقبات بحضور الخديوى إسماعيل وكبار ضيوفه . وكانت سعادته تفوق كل وصف بالنجاح المذهل الذى حققته عايدة، مما جعل (درانيت) أول مدير للدار يبرق عقب الفصل الثانى إلى "فيردي" بالبرقية التالية :

"المايسترو فيردي - جنوة"

(لقد لاقى أوبرا عايدة نجاحاً يفوق الخيال، وقد قبلت الخاتمة الموسيقية الأولى والثانية وأداء ثنائى السوبرانو والقطعة الموسيقية الكبرى والمشهد العام، بحماس رائع، ولقد حيا الجمهور، المايسترو الغائب بعاصفة من التصفيق والإعجاب ... كل تمهيتي) .

ولم يقف عمل إسماعيل العظيم عند تزويد مصر بدر للأوبرا كسائر العواصم الأوروبية بل ظل طوال حكمه يصرف همه إلى تكون هذه الدار هى المدرسة الأولى التى يتلقى فيها الشعب المصرى أصول الفن . فجعل يجلب لمسرحه الفرق التمثيلية من أوروبا، وفى عام ١٨٧٨ عرضت عليه أول مسرحية باللغة العربية قدمتها فرقة قوامها : سليم نقاش، أديب اسحق، يوسف خياط، وقد شرف الخديوى العظيم بنفسه أول ليلة للتمثيل تشجيعاً للفن العربى الناشئ .

(١) عرفه عبده على : المرجع السابق ، ص ٧٢ - ص ٧٤ .

إلى إسماعيل يرجع الفضل حتي أصبحت الدار أشبه بجامعة تلقي فيها الشعب تاريخ الفن بالمشاهدة لاختلاف الروايات وتفاوت أزماتها وعصور مؤلفيها. من المأساة الأفرقية القائمة على الأسطورة إلى الملهاة الفرنسية والإنجليزية الحديثة، حتى إذا كان العصر الحديث ولد فن التمثيل الغربي وترعرع في نفس المعهد الذي نشأ فيه. ثم ولدت المسرحية المصرية القائمة على شعور المصري وتفكيره وتعبيره، وما زال الفن يتطور ويرقي، وما زالت دار الأوبرا تقوم بدورها الأول الذي هيأ له العاهل العظيم^(١).

٤ - الجمعية الجغرافية الخديوية

هي من أهم المنشآت العلمية في مصر، أسسها إسماعيل باشا ١٨٧٥، وكان الغرض منها العناية بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها^(٢). وتوضح لنا الوثائق الرسمية أمر الخديوي بإنشاء الجمعية :-^(٣)

" نظرا للفوائد التي تعود على العلوم الجغرافية، والصناعة، والتجارة المصرية من تشجيع استكشاف الأقطار الأفريقية والبلاد المجاورة لها "

فقد أصدرنا أمرا بما يأتي :

المادة الأولى : تنشأ بالقاهرة جمعية يرخص لها في أن تسمى الجمعية الجغرافية الخديوية .

المادة الثانية : نوافق على قوانين الجمعية الملحقة بهذا .

المادة الثالثة : تمنح هذه الجمعية إعانة سنوية قدرها ٤٠٠ جنيه .

المادة الرابعة : يعين الأستاذ جورج شوينفوريت رئيساً للجمعية .

المادة الخامسة : يكلف ناظر الداخلية تنفيذ أمرنا هذا

(١) وزارة المعارف : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، الجزء الأول ، ص ٢٤٧ .

(٣) جورج جندي وجمال تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، ص ١٤٢ .

وغيره الجمعية هو :

- ١- دراسة العلوم الجغرافية بجميع فروعها .
 - ٢- استكشاف البلاد الأفريقية المجهولة، أو التي لا يعرف عنها إلا القليل .
 - ٣- تنسيق الدراسات العلمية التي يكون من شأنها ترقية الصناعة والتجارة بمصر .
- وهكذا نجد أن أول رئيس للجمعية هو العالم الألماني "جورج شفينفورت"، وكان وكيله العلامة "محمود باشا الفلكي"، والجنرال "استون باشا" رئيس أركان حرب الجيش المصري.^(١)

وتحقيقاً لأغراض الجمعية، تعقد الجلسات، وتصدر مجلة تنشر فيها محاضر الجلسات والأبحاث الأصلية، ووصف الرحلات العلمية مشفوعاً بالخرائط ونبذاً وإعلانات عن المراجع الجغرافية، وملخصات الكتب، وتعقد الصلات مع الجمعيات المهتمة بهذه الموضوعات، وتراسل الرحالة وعلماء الجغرافية والعلوم الطبيعية.^(٢)

وهكذا لم تكن الجمعية الجغرافية الخديوية أداة من أدوات الكمال، أو جمعية يراد بها أن يقال : إن مصر كسائر العواصم بها جمعية جغرافية بل كانت مما صدر عن صميم الفكرة الإسماعيلية لها وظيفتها ولها عملها ولها نصيبها في ذلك الملك الأفريقي الضخم الذي لب إسماعيل . فلا عجب أن لقيت الجمعية الجغرافية من عناية إسماعيل بها ما لقيت منحها رعايته، وأنزلها بقصر من قصوره، وزودها بما يلزمها من الأدوات اللازمة، وأهدى إليها ٢٥٠٠ مجلد لمكتبتها.^(٣)

٥- جمعية المعارف

هي أول جمعية ظهرت في مصر لنشر الثقافة بواسطة التأليف والطباعة والنشر، أسسها سنة ١٨٦٨ "محمد عارف باشا" أحد أفاضل العلماء، بناء على رغبة الخديوي

(١) عبد الرحمن الرافعي : نفس المرجع ، ص ١٤٧ .

(٢) جورج جندي وجاه تاجر ، المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٣) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، ص ٣٩٩ .

إسماعيل، وتولي رئاستها ولي عهده محمد توفيق وصدرت لائحة التنظيم لتلك الجمعية تتكون من ثمانية عشرة بنداً لكي يسير أعضاء الجمعية على هداها^(١)، وتولي وكالتها ورأستها الفعلية محمد عارف باشا. وتألفت برأس مال موزع على أسهم طرحت للاكتتاب العام، قيمة السهم ثلاثون قرشاً. واقتنت مطبعة لطبع الكتب التي تولت نشرها، عدا ما كانت تطبعه في دار الطباعة الأميرية والمطبعة الوهيبية، وتولت الجمعية طبع طائفة من أمهات الكتب في التاريخ والآداب والفقه.^(٢)

(١) صالح رمضان محمود : دراسات عن الحياة الاجتماعية في مصر في عهد الخديوي إسماعيل ، رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ ، ص ٢٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

إِلْقَاءُ السِّلَاحِ

المشروعات البحرية

أولاً : ميناء الإسكندرية

ثانياً : ميناء السويس

ثالثاً : الفنارات

رابعاً : الشركة العزيرية

مقدمة

انتهى النشاط البحري في أواخر عهد سعيد باشا إلى حالة من التقهقر، ومع ذلك فقد وفر في الواقع تجربة خاضتها رؤوس الأموال المساهمة، كما وفر خبرات ملاحية، فضلاً عما وجد من السفن. أي أن عهد سعيد باشا وفر نواة يمكن أن تثمر في عهد إسماعيل، وهذه النواة إزاء تنوع أو تطور أطرافها أو الظروف الملائمة يصبح لديها القدرة على مزاوله النشاط، ومن ثم تكون البداية ^(١).

ولما ارتقى إسماعيل باشا عرش مصر، كانت البحرية المصرية في حالة سيئة من التأخر والضعف، فأخذ إسماعيل في أوائل حكمه يعنى بتجديد الأسطول، فبعث النشاط في ترسانة الإسكندرية (دار الصناعة)، وأحيا معاملها ومصانعها، وجلب لها العمال من الإسكندرية ومن داخل البلاد واستحضر لها الآلات والعتاد فعاد إليها نشاطها الذي كان لها في عهد محمد علي، وأنشأ بها بعض السفن الحربية، وجدد المدرسة البحرية بالإسكندرية، وأنشأ مدرسة بحرية أخرى بجوار الترسانة، واختارت الحكومة بعض طلابها وأوفدتهم إلى إنجلترا لإتمام العلوم البحرية. وكان منهم (إسماعيل باشا سرهنك) صاحب كتاب حقائق الأخبار عن دول البحار ^(٢).

لذلك فقد شهد هذا العهد مشروعات فاقت ما تم في عهد سلفه، وقد اخترنا بعض المشروعات للتحدث عنها، وهى إصلاح ميناء الإسكندرية، إتمام ميناء السويس، إنشاء الفنارات وعلامات الإرشاد، تأسيس الشركة العزيرية.

ونظراً لإزدياد حركة السفن التجارية وسفن نقل الركاب، اهتم إسماعيل اهتماماً كبيراً بإنشاء الموانئ، وتجديد الموجود منها حتي يسهل على تلك السفن أن

(١) خلف عبد العظيم الميرى : تاريخ البحرية التجارية المصرية ١٨٥٤ - ١٨٧٩ ، ص ١٤٩ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

ترسو على سواحل مصر المطلّة على البحرين الأبيض والأحمر، وكذلك إنشاء المنائر لكي تهدى السفن ليلاً في البحرين أيضاً.^(١)

فكان دائماً يفكر في جعل مينائي الإسكندرية والسويس وهما أكبر الثغور المصرية على البحرين الأبيض والأحمر على درجة من الاتساع والأمن حتي يتسني لهما أن يباريا أكبر الموانئ العالمية في أهمية حركتهما التجارية.^(٢)

أولاً: ميناء الإسكندرية

الإسكندرية هي من أهم موانئ مصر. وقد بدأ محمد علي الكبير هذا الإصلاح، فترك الميناء القديم (الميناء الشرقية) حيث لم تكن تحقق الحماية الكافية للملاحة، وكانت قيمتها محصورة في استعمالها ملجأ لبعض السفن الصغيرة من الرياح الشديدة، وكان إعدادها يتطلب نفقات باهظة بعكس الميناء الغربية . فأقام محمد علي فيها سنة ١٨٣٥ بعض الإصلاحات منها : إقامة ترسانة، وحوضاً للإصلاح ولكنه لم يقدم على إصلاح البواغيز.^(٣)

ثم حاول سعيد باشا الاهتمام بمشروعات التطوير، وكان قد أمر بإنشاء حوض كبير ومزلقان، ولكن لم يتم العمل لوفاته . لذلك يمكن القول بأن ما أقدم عليه سعيد باشا كان مجرد محاولات لم تتم .

ويذكر " علي مبارك " في خطته : " أنه منذ زمن محمد علي باشا لم تعمل أعمال مهمة في الميناء إلي زمن الخديوي إسماعيل الذي كان يخشي تحول التجارة عن ثغر الإسكندرية لو لا أنه تداركها بهمته العلية . حيث كانت البضائع بمجرد وصولها إلي ميناء الإسكندرية كانوا ينقلون بضائعهم بالسكة الحديدية، ثم منها إلي البحر

(١) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية في مصر- في عهد الخديوي إسماعيل - رسالة ماجستير - كلية الآداب جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - ص ١٩ .

(٢) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا - المجلد الأول - ص ١١٩ .

(٣) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - ص ١٥٣ .

الأحر، وفي ذلك مشقة وكثرة مصاريف. فبدأت السفن تتجه إلى طريق القنال، وتحول كثير من التجار إلى بورت سعيد فوجه الخديوى أنظاره الثاقبة إلى ميناء الإسكندرية ^(١).

ومن العوامل التي ساعدت إسماعيل باشا بشأن الإسكندرية عدة ظروف لعل في مقدمتها الاهتمام الحقيقي بوجود بحرية تجارية مصرية، ثم تطور الحركة العامة للتبادل الخارجي للميناء نتيجة ازدهار تجارة القطن، وحركة الركاب في الفترة التي اختتم بها سعيد باشا، بالإضافة إلى الظروف السياسية وما تخللها من حروب الجيش المصري في هذا البحر إلى جانب الدولة العثمانية . ويسوق البعض سبباً آخر هو اتجاه للنهضة بالإسكندرية في مواجهة بورسعيد وقناة السويس حتى لا تفقد ميزاتها كميناء بحرى هام ^(٢).

ومن أهم تلك الأعمال التي تمت في عهد إسماعيل، قيام إدارة ميناء الإسكندرية التي كانت تابعة لِنظارة البحرية بترميم رصيف المولص القديم .

وفي عام ١٨٦٨ اشترت مصر من فرنسا حوضاً عائماً طوله ١٤٠ م ، وعرضه ٣٣م، وعمقه ١١ م، وبلغت تكاليفه ١٢٦.٣٣٦ جنيهاً مصرية . فسهل بهذا الحوض عمل الترسانة في إصلاح السفن، ودهان قاعها وهكذا أصبح لميناء الإسكندرية حوضان، الأول ثابت شيد بالأحجار منذ عهد محمد علي، والثاني عائِم والذي كان سبباً في تردد البواخر الأجنبية بكثرة علي ميناء الاسكندرية لتنظيف قاعها، كما مكن من صيانة البواخر المصرية ^(٣).

ثم أنشأ حاجز الأمواج الضخمة الذى يقى الميناء طغيان الأمواج، ويجعل السفن الراسية به في مأمن من العواصف . وهو جسر من الدبش والأحجار

(١) علي مبارك : الخط التوفيقية - ج٧ - ص٧٦

(٢) خلف عبدالعظيم الميرى : تاريخ البحرية التجارية المصرية ١٨٥٤ - ١٨٧٩ - ص٦٧ .

(٣) عبده مباشر : البحرية المصرية من محمد على إلى السادات ١٨٠٠ - ١٩٧٣ - ص١١٧

الضخمة والصخور ، ممتد من شبه جزيرة جزيرة رأس التين إلى جهة العجمي ، وفيه البوغاز لمرور السفن منه . وأنشأ بداخل الميناء رصيفاً للشحن والتفريغ وأرصفة أخرى ممتدة في داخل الميناء . وقد بدأ العمل في سنة ١٨٧١ ولم يتم إلا سنة ١٨٧٩ . وقد عهد بها الخديوي إلى شركة إنجليزية تدعى شركة " جرنفلد " ^(١) .

كما شهد الميناء أعمالاً أخرى تمثلت في تطهيره بالكراكات لكي يسهل على السفن البخارية الكبيرة والرسو على الرصيف مباشرة ، وكان البدء في ذلك سنة ١٨٧٠ ^(٢) .

ويذكر " علي مبارك " أنه : " متي تمت هذه الأعمال تكون مينا الإسكندرية منقسمة إلى ميتين ، أحدهما كبري جهة الخارج ، والأخرى صغرى وهى في الداخل : وأما الكبري فهي معدة لوقوف السفن الحربية التجارية ومساحتها ٨٣٤ فدانا مصرياً وعمق الماء بها عشرة أمتار ، والمينا الصغيرة مساحتها ١٧١ فدانا مصرياً وعمق الماء بها ١٠.٨.٥ " ^(٣) .

ومما تقرر عمله أيضاً سكة حديد على الأرصفة والمولص ، وتوصيل ذلك جميعه بسكة حديد القبارى ، مما يسهل عمليات الشحن والتفريغ . وكان البدء في هذا العمل سنة ١٨٧٠ وانتهى في سنة ١٨٧٦ ^(٤) . وبلغت قيمة ما تقاضته الحكومة من الرسوم سنوياً من السفن الداخلة إلى ذلك المرفأ حتي سنة ١٨٧٧ (١٣٠.٠٠٠ جنيه) ^(٥) .

كل هذه الإصلاحات أدت إلى زيادة حركة النقل البحري في الإسكندرية ، فبلغت الصادرات منها ٩٤٪ من مجموع صادرات مصر فيما بين سنتي (١٨٦٣ - ١٨٧٢) بعد أن كانت ٧٢٪ فيما بين سنتي ١٨٥٣ - ١٨٦٢ . أما عن السفن

(١) عبدالرحمن الراجعي : عصر إسماعيل - ج١ - ص١٩٤ ، ص١٩٥ .

(٢) خلف عبدالعزيز الميرى : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٣) علي مبارك : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٧٨ .

(٤) علي مبارك : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٧٩ .

(٥) الياس الايوبي : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

التجارية التي وصلت الإسكندرية في الفترة من (١٨٦٣ - ١٨٧٢) فقد بلغ عددها (٣١.٩٠٩) حولتها (١٢.٤٦٢.٧٠٣ طنًا) كما وصلت إليها (١.٢٣٣) سفينة شراعية) و (٧٥١ باخرة) من سبتمبر ١٨٧٧ إلى آخر أغسطس ١٨٧٨ .^(١)

فيما يلي بيان بعدد السفن التي وصلت ميناء الإسكندرية في الفترة من ١٨٦٣

إلى ١٨٧٢

(جدول ١٠)

السنة	عدد السفن	السنة	عدد السفن
١٨٦٣	١٨٠٢	١٨٧٠	٢٨٨٦
١٨٦٤	٤٣٠٩	١٨٧١	٢٩٢١
١٨٦٥	٢٢٨٣	١٨٧٢	٢٩٥٣
١٨٦٦	٣٦٩٨		
١٨٦٧	٣١٨١		
١٨٦٨	٢٦١٦		
١٨٦٩	٢٨٨١		

المصدر : علي مبارك : الخطط التوفيقية ج ٧ ، ص ٧٩

من خلال الجدول السابق يتضح لنا أن عدد السفن قد زاد في سنة ١٨٧٢ عما كان في سنة ١٨٦٣ مرة وثمناً، وهذا شاهد واضح على أنه لم يحدث من فتح قناة السويس ما يشوش على ميناء الإسكندرية في سيره المعتاد . حتي أنه في سنة ١٨٦٩ والتي شهدت افتتاح القناة بلغ عدد السفن الواردة إلى ميناء الإسكندرية ٢٨٨١ سفينة، ثم أخذ في الزيادة حتي بلغ سنة ١٨٧٢ م ٢٩٥٣ سفينة . يعني أن الزيادة في ظرف ثلاث سنين (اثنان وسبعون سفينة) .^(٢)

(١) أحمد أحمد الحت : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر - ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٣

(٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية - ج ٧ ، ص ٧٩ .

ومن ناحية أخرى فإن الإصلاحات التي تمت جعلت طاقة ميناء الإسكندرية بالغة القوة . وازدهرت المدينة نفسها، وأصبحت مركزاً تجارياً ذا أهمية حيوية، وزاد عدد سكانها من ٦٠٠٠ نسمة في نهاية القرن الثامن عشر إلى ٢٠٠.٠٠٠ نسمة في سنة ١٨٧٩ أى نهاية حكم إسماعيل .^(١)

وتجدر بنا الإشارة إلى أنه كان من الطبيعي أن تتوقف المشروعات الإصلاحية في الميناء بعد تفاقم الأزمة المالية في نهاية عهد إسماعيل . وعامة كان لميناء الإسكندرية مكانة خاصة ومتميزة بين سائر الموانئ المصرية، وكذلك من حيث الإصلاحات التي تمت به وقد استتبع الإصلاحات فرض الرسوم على السفن، وهذه الرسوم كانت مصدراً هاماً للإيرادات نتيجة لحركة السفن النشطة .^(٢)

ثانياً: ميناء السويس

ميناء السويس كان يبدو قبل افتتاح قناة السويس محطة نهائية للنقل البحري من وإلى نصف الكرة الشرقي، بالإضافة إلى قربه المكاني من ساحل البحر المتوسط والقاهرة والمناطق الأكثر عمراناً بالدلتا . لذا اهتم محمد سعيد باشا بعد توليه الحكم بميناء السويس، وشرع في توسيع مرفئها . فأصدر أوامره عام ١٨٥٦ إلى " لينان بك " مدير عموم الأشغال العمومية بإنشاء مرفأ لائق على البحر الأحمر .

وكان من جراء هذا الاهتمام أن شرعت الحكومة في التعاقد على إنشاء حوض عائم لإصلاح السفن، وعقدت الحكومة عقداً في سنة ١٨٦٠ مع إحدى الشركات الإنجليزية، ولكن المشروع لم ينفذ . على أنه أعيد النظر فيه ثانية في إبريل ١٨٦٢ ، ووقع عقداً آخر مع شركة " ديسو " الفرنسية لتوسيع الميناء وإنشاء حوض عائم بها

(١) أحمد عبدالمهادي : نهضة البحرية التجارية والتشريع البحري - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - ص ١٥٤ .

(٢) خلف عبدالمعظم الميري : المرجع السابق ، ص ٧٢

لإصلاح السفن، قدرت تكاليفه ٨.٨٠٠.٠٠٠ فرنك وبلغ طوله ٤٠٢ قدم والعرض ٧٨ قدم^(١).

وعن أسباب إنشاء هذا الحوض العائم، فقد أرجعه البعض إلى عدة أسباب منها : أنه من اقتراح شركة الملاحة الفرنسية على اعتبار أن السويس ميناء ملاحي كبداية ونهاية في البحر وقريب نسبياً لفرنسا بدلاً من اللجوء لمينائي هونج كونج وبومباي الواقعين تحت النفوذ البريطاني .

وأرجعه البعض الآخر لإنشاء الشركة المجيدية، وحتى يمكن تلبية احتياجات السفن، وأن سعيد باشا فكر في هذا لما وجد أن دهانات سفنها وإصلاح قاعاتها سنوياً يتكلف كثيراً من جراء إرسالها إلى أوروبا .

ويرجح أن يكون كلا العاملين وراء إنشاء الحوض العائم . فالحاكم كان معنياً بأمور الملاحة، كما أن السفن الأجنبية كان تدفع رسوماً للإصلاح إبان تواجدها بالحوض، وهذه الرسوم كانت تمثل مورداً مالياً، بالإضافة إلى أن وجوده كان يلبي احتياجات السفن المصرية في هذه المنطقة .

وقد تم تنفيذ هذا الحوض في عهد إسماعيل باشا، حيث عقد الاتفاق " ١١ إبريل ١٨٦٢ " الذي ينص على الانتهاء منه في أربع سنوات .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد أثرت مشاكل عديدة مع الشركة الفرنسية أثناء التنفيذ في عهد إسماعيل وذلك بخصوص استخدام خمسمائة عامل مصري بنظام السخرة وفق المادة ١٨ من عقد الاتفاق الموقع في عهد سعيد باشا وهو ما منعه الخديوى إسماعيل^(٢).

(١) خلف عبدالعزيز الميري : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٢) خلف عبدالعزيز الميري : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

ولم ينته اهتمام الحكومة بالإصلاحات الملاحية في ميناء السويس بافتتاح الحوض العائم في ١١ أكتوبر ١٨٦٦، ولكن هناك مشروعات أخرى، ففي عام ١٨٦٧ وقع الخديوي إسماعيل شروطاً جديدة مع الشركة الفرنسية تتضمن إنشاء ميناءين، الأول أطلق عليه "ميناء إبراهيم" تخليداً لذكرى والده، وثانيها أطلق عليه "ميناء توفيق" إغزازاً لمكانة ابنه. وقام إسماعيل بربط ميناء إبراهيم بالسويس بسكة حديد أنشأ إلى جانبها سكة عربات.^(١)

ويذكر علي مبارك في خططه: أنه في شرقي المينيين توجد ميناء أخرى صغيرة تتبع شركة القنال يقيم عليها رجال القومبانية، وترسو عليها سفن صغيرة.^(٢)

وفي ١٥ مايو ١٨٧١ وضع الخديوي إسماعيل حجر الأساس لأعمال تكميلية أخرى تتمثل في إقامة حاجز الأمواج أمام المرفأين بمساحة ٢٩٠٠ متر وبه فتحة عرضها ١٠٠ متر (بوغاز) لدخول السفن وخروجها، وتقرر الانتهاء من تنفيذه عام ١٨٧٦. وفي أغسطس ١٨٧٧ تم إصلاح بعض الخلل في أرصفة ميناء إبراهيم.

وحقيقة الأمر فإن إسماعيل بما أدخله من إصلاحات متنوعة جعل السويس ذات مقدرة تجارية كبيرة، وفتحت أبوابها للتجارة الدولية فزادت في عهده حمولة السفن التي تدخل الميناء، وتضاعف عدد السكان مرات متعددة عما كان قبلاً.^(٣)

ثالثاً: الفئارات

تمهيد:

تعتبر الفئارات وعلامات الإرشاد من أهم الوسائل التي تكفل الإرشاد للسفن وتأمين ملاحتها في المواني أو المياه الإقليمية للدولة. وتعتبر مصر من أقدم الأمم

(١) إلياس الايوبي: المرجع السابق، ص ١٢٠

(٢) علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٢، ص ٧٢

(٣) أحمد عبد الهادي: نهضة البحرية التجارية والتشريع البحري - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - ص ٥٤٤.

التي اهتمت بإنشاء المنارات، فقد أنشأ بطليموس فيلاد لقيوس " منارة فاروس " بالإسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد.^(١)

وفي القرن التاسع عشر، يذكر بعض المؤرخين أن الفئار كان عبارة عن قنديل أو مشعل في أبراج مبنية بجوار البحر توقد في أعلاها النيران أو توقد فيها المصابيح. وحسبما أشارت الوثائق فإنه كان يستخدم في إضاءتها الشمع المشتري من مارسيلسا بفرنسا . ثم استخدم زيت الكلزة الذي كان يتم شراؤه عن طريق الشركة الإنجليزية الشرقية . وقد ذكر البعض أنه تم إنارة فئار بورسعيد كهربياً في بدايات ١٨٧٠ ، ثم إلى استخدام زيت البترول في فئارات البحر الأحمر بدلاً من زيت الكلزة في منتصف ١٨٧٥ ، وأشار البعض إلى استخدام زيت الاستصباح في إنارة هذه الفئارات .

ولما اعتلى إسماعيل باشا عرش مصر أدرك أنه لابد للمواني لكي تقوم بعملها في النهار والليل من وجود منارات فيها ترشد السفن إلى أحوافها الداخلية الآمنة، وتمنع عنها أخطار الشعاب الصخرية.^(٢)

فحتي عصر إسماعيل لم يكن هناك فئارات علي السواحل المصرية سوى فئار رأس التين بالإسكندرية وفئار زنوبيا والزعفران وفئار الأشرفي وفئار أبي كيزان بالبحر الأحمر.^(٣) وعندما أوشتك العمل على الانتهاء في قناة السويس، ونهياً الجو لسير المراكب فيها، اتجهت أنظار الخديوى إلى ضرورة تنوير ساحل البحر فيما بين الإسكندرية وبورسعيد بفئارات في نقط معينة من الساحل .

ومما يؤكد اهتمام إسماعيل باشا بإنشاء الفئارات ما جاء في تقرير القنصل الأمريكي الذي يقول :

(١) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ، ص ٨٦

(٢) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، ص ١٢٢

(٣) أحمد الشربيني : تاريخ التجارة المصرية ١٨٤٠ - ١٩١٤ - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة

القاهرة ص ٢٠٩

"إذا استثنينا منارة الإسكندرية وقد تناولها الإصلاح فيها تناول ، فإن جميع المنائر المصرية انشئت في الفترة الواقعة بين ١٨٦٣ و ١٨٧٢ ، بما فيها منارة السويس التي حلت محل النار الطائفة ، ولا أدل على الخدمات التي أدتها إلى الملاحاة من قلة الحوادث التي وقعت في المياه المصرية وندرتها إذا قيست بغيرها، ففي المياه المصرية من البحر الأحمر بوجه خاص وهو البحر الذي كان الملاحون يخشون مخاطره، لم يفرق في سنة ١٨٧٢ إلا سفينتان من السفن الشراعية الخفيفة جداً . فهناك الآن لسواحل البحر المتوسط سبع منائر، ولسواحل البحر الأحمر خمس، وهناك أربع تحت الإنشاء ، ثلاث منها للبحر الأبيض المتوسط، وواحدة للبحر الأحمر ^(١)."

• بالنسبة لفنارات البحر المتوسط

فنار رأس التين الكبير بالإسكندرية وهو منشأ من عهد محمد علي، ثم فنار البرلس والذي أنشئ ١٨٦٨ وكان نوره أبيض ثابت من الرتبة الأولى، وشكل الفنار أحمر على ثلاثة أعمدة مسبوكة مصبوع أوسطها باللون الأحمر والشرقي منها بالأبيض والغربي أسود اللون، وارتفاع الفنار ٥٤ م و ٣٠ سم ^(٢). وفنار رشيد سنة ١٨٦٨ .

أما فنار دمياط والذي أنشئ سنة ١٨٦٩ تجاه رأس البر ^(٣)، فقد كان في مصب النيل ونوره أبيض من الرتبة الثانية يتواري بعد كل دقيقة، أما شكل الفنار فهو أبيض اللون وأعمدته منقوشة بالنقوش البيضاء والسوداء، ووضع في مقدار عشرة أقدام في ارتفاع ٥٤ م و ٣٠ سم ^(٤).

(١) جورج جندي وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية - ص ١٨٣ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٣) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٤) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

وفنار بورسعيد فقد ورد أنه كهربائي، يضيئ كل ثلاث ثوان . وهو بارتفاع ٥٤ م ، والفتار لونه مائي صافي مصنوع من الخراسان . وتم إنشاؤه سنة ١٨٦٩ . كذلك تم إنشاء فتار العجمي سنة ١٨٧٣ ، وفتار حاجز الميناء سنة ١٨٧٦ ، وفتار القبارى سنة ١٨٧٧ .^(١)

فناارات البحر الأحمر

كان في البحر الأحمر من الفناارات قبل عصر إسماعيل، فتار زنوبيا (والذي كان مملوكاً للشركة الإنجليزية وتم شراؤه في مارس ١٨٧١) ، وفتار الزعفران جنوب السويس، وفتار الاشرفي، وفتار أبي كيزان .^(٢)

فرأى إسماعيل أنها غير كافية لإرشاد السفن في البحر الأحمر لكثرة صخوره ومخاطره، فأنشأ فناارات أخرى وهى :

فتار السويس، فتار راس الغريب جنوب رأس الزعفران، فتار صخور الأخوين الشمالية، وفتار جزيرة شدوان الذى شيده سنة ١٨٨٩ ، وفتار الوجه من ثغور الحجاز، وأنشأ في خليج عدن بالأقيانوس الهندي فتار بربره، وأمر بإقامة فتار في جردفون سنة ١٨٧٨ ولكنه لم ينشأ.

• أما بالنسبة للإدارة فإنه لما كانت مثل تلك الإنشاءات تستدعي وجود إدارة تشرف عليها من حيث الإجراءات الفنية والإدارية والأمنية، لذا صدر الأمر بضم فناارات البحر الأحمر التي كانت تشرف عليها الشركة الإنجليزية الشرقية الى الحكومة المصرية في يونيو ١٨٦٣ ، ويتم تشغيلها عن طريق محافظ السويس .

وفي الإسكندرية كانت إدارة مينائها هى المسئولة، ومن المرجح أن هذه الإدارة كانت تتبعها فناارات دمياط، البرلس ، رشيد وأصبحت تعرف بمصلحة الليانات والفناارات المصرية، ثم ضم مينائي بورسعيد والسويس ١٨٧٢ م .

(١) خلف عبدالعظيم المبري : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٢) عبدالرحمن الرفاعي : نفس المرجع - ج ١ ، ص ١٩٥ .

أما تكاليف إنشاء هذه الفنارات فقد قدرها البعض بنحو ١٧٠.٠٠٠ جنيه^(١)، والبعض الآخر بنحو ١٨٨.٠٠٠ جنيه^(٢)، بينما ذكر "إلياس الأيوبي" أنها تكلفت نحو ١٩٩.٠٠٠ جنيه^(٣).

رابعاً : الشركة العزيرية

حقيقة الأمر أن الشركة العزيرية تنسب للسلطان عبدالعزيز، الذي تولى السلطنة في الفترة من ١٨٦١ - ١٨٧٦ م .

ففي البداية لم يرد التصديق بالفرمان السلطاني رداً علي مكتابة إسماعيل باشا للباب العالي في فبراير ١٨٦٤ . ثم صدر الفرمان السلطاني في مايو ١٨٦٤ الذي نص على أن تكون من مدة الامتياز إلي تسعين سنة، وأن تكون نسبة الربح ٧٪، وأن الشركة منذ هذا التاريخ فصاعداً تكون منسوبة إلي الاسم السلطاني أي العزيرية .^(٤)

وتضمن الفرمان عشرة مواد، ولكن من أهم المواد كانت المادة السادسة والتي أشارت " أنه مادامت الشركة منسوبة الاسم السلطاني العثماني، وستبحر سفنها بين مواني السلطنة، ومن ثم ما يلزم لها بأي جهة كانت من أدوات ومهمات ولوازم من أي جنس ونوع كان لا يؤخذ عليه رسم جهر، ولا رسوم أخرى، بل يعاف من ذلك عند جلبه وإحضاره من الخارج " .

وكان هناك مشروع آخر ظاهره بعيد تماماً عن البحرية التجارية، ولكن جوهره متصل تماماً بها وهو مشروع مد السكك الحديدية، من خلال ربط المواني بالظهير، ويكون ذلك في الجهات التي تستصوب بالأقطار المصرية وملحقاتها وبالمحلات

(١) عبدالرحمن الراجحي : عصر إسماعيل - ج١ ، ص ١٩٥

(٢) جورج جندي وجاك تاجر : المرجع السابق - ص ١٨٣ .

(٣) بيركرابنيس : إسماعيل المفترى عليه ، ص ١٢٩ .

(٤) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ص ١٦٨ .

التي من الخرطوم إلى اسكوتي سواكن ومصوع . وقد تم التصديق السلطاني في
سبتمبر ١٨٦٤ م .

وكان يتولى قيادة بواخر الشركة ضباط البحرية القدماء الذين تركوا خدمة
الأسطول وكان لبواخر الشركة العزيرية فضل كبير في نشاط حركة التجارة
الخارجية لمصر ، وتسهيل مواصلاتها البحرية مع الأقطار الأخرى ، وزاومت شركات
الملاحة الأجنبية في هذا الصدد . ونجحت في عملها ونمت إيراداتها . ثم ابتاع
الحديوى إسماعيل أسمها وحولها إلى إدارة من إدارات الحكومة ، عرفت بمصلحة
وابورات البوستان الحديوية فاستمرت في نجاحها واتسع نطاق أعمالها وصار لها من
البواخر الكبيرة ست وعشرون باخرة ^(١) ، تجوب العالم رافعة العلم المصري وتنقل
الناس والمتاجر والبريد بين ثغور مصر ، وشواطئ البحر المتوسط في سوريا
والأناضول ، وبلاد اليونان وشواطئ الدردنيل والبوسفور ، وثغور البحر الأحمر
كسواكن ومصوع وينبع وجدة والحديدة وتجتاز بوغاز باب المنذب إلى زبلع
وبربره . ^(٢)

(١) هي : الرحمانية - التاكا - الفيوم - البحيرة - الشرقية - الدقهلية - طنطا - شندى - شين - دسوق
- كوفيت - سمود - المنيا - الجعفرية - مسير - المنصورة - المحلة - النخيلة - دمنهور - الزقازيق
- الحجاز - الحديدة - ينبع - القصير - سواكن - مصوع .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

الْفَصْلُ السَّابِعُ

السياحة في مصر

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

أولاً : مفهوم السياحة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

ثانياً : الأماكن السياحية

ثالثاً : الأنماط السياحية

رابعاً : الفنادق

أولاً: مفهوم السياحة في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر :

شهد عهد إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩ تدفق أعداد كثيرة من الأجانب علي مصر سواء للإرتزاق بالأعمال المتنوعة التي أتاحها تنفيذ العديد من المشروعات العمرانية أو من أجل زيارتها لمشاهدة ما بها من آثار والتمتع بالطقس المعتدل الذي تمتاز به عن غيرها من البلدان .

ويمكن القول بأن السبب في زيادة أعداد السائحين يرجع إلي اتباع سياسة الدعاية السياحية لجذب السياح الي مصر . وبدأت أولي المحاولات حين اشتركت مصر في معرض باريس ١٨٦٧، حيث خصص لمصر جناح خاص عرض فيه جميع نواحي نشاطها وتقدمها، وكان بمثابة أفضل دعاية لمصر أمام دول العالم وسببا لجذب مشاهير أوروبا وأثريائها^(١).

ثم كان هناك مناسبة أخرى استخدمت كوسيلة للدعاية السياحية لمصر، تمثلت في افتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩ . واستغل الخديوى إسماعيل هذه الفرصة أحسن استغلال لإبراز أهمية مصر وتقدمها، حيث سافر إلي أوروبا لدعوة ملوكها وأمرائها لحضور حفل الافتتاح . ومن أهم مظاهر حرص إسماعيل علي إبراز أهمية مصر، تلك المنشآت التي تم تشييدها بخصوص هذه المناسبة مثل :

(دار الأوبرا) ، (المتحف المصري) ، (قصر الجزيرة) ، (طريق الأهرام) ،
(حديقة الحيوانات) .^(٢)

(١) السيد السيد أحمد توفيق دياب : السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر - ص ٤٨ .

(٢) تم تناول هذه المشروعات في الفصول السابقة

أثر افتتاح قناة السويس علي انتعاش السياحة في مصر :

كان من أهم النتائج التي ترتبت على افتتاح قناة السويس للملاحة، أن توافدت علي مصر أعداد غفيرة من السياح الذين وصلوا ميناء الاسكندرية في شهر أكتوبر ١٨٦٩، وقد جاء بعضهم علي نفقته الخاصة والآخر نزل ضيفاً علي الخديوي إسماعيل . وانعكس ذلك علي النشاط السياحي، ففي مدينة الإسمايلية كان من أصعب الأمور علي الضيوف والسياح أن يعثروا علي أسرة شاغرة بفنادق المدينة لأنها كانت دائماً مشغولة بالنزلاء .^(١)

ومن أهم الآثار التي اتبعت افتتاح قناة السويس الاهتمام بالآثار المصرية وترميمها فلقد صدرت الأوامر الخديوية إلي مدير إسنا بضرورة إجراء الترميمات اللازمة للأماكن اللازمة لأن الإمبراطورة أوجيني سوف تمر من هذه المنطقة .

جدول رقم ١١

وفيا يلي بيان بأعداد السائحون في الفترة من ١٨٦٣ إلي ١٨٧٢ .

السنة	عدد السائحون	ملاحظات
١٨٦٣	٤٣٣٣٣	من خلال هذه الإحصاء يتضح أن عدد السياح
١٨٦٤	٥٦٢١٢	وصل إلي أعلى معدل له في سنة ١٨٦٩ وهو عام
١٨٦٥	٧٤٩٩٠	افتتاح قناة السويس ثم انخفاض هذه
١٨٦٦	٥٠٣١٧	الأعداد بشكل ملحوظ في عام ١٨٧٠،
١٨٦٧	٤٥٩٥٠	واستمرارها في الانخفاض عام ١٨٧١ .
١٨٦٨	٤٣٥٣٨	وان كان هذا الأمر يرتبط بظروف
١٨٦٩	٧٧٧٧٦	أوروبا السياسية ونشوب الحرب بين
١٨٧٠	٦٤٣٢٨	فرنسا وبروسيا (الحرب السبعينية) .
١٨٧١	٥١٤٨٢	وإن عادت هذه الأعداد إلي الزيادة مرة
١٨٧٢	٦٧٧٧٢	أخرى سنة ١٨٧٢ .

المصدر: صالح رمضان : الحياة الاجتماعية في مصر في عصر إسماعيل - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - ص ٤ .

(١) السيد السيد أحمد توفيق دياب : المرجع السابق - ص ٤٨ .

وفي هذا المقام لابد أن أشير إلى زيارة إمبراطور البرازيل لمصر، والتي تعتبر من الزيارات السياحية ذات المستوى الرفيع التي شهدتها مصر خلال عهد الخديوي إسماعيل.

وتأتي أهمية هذه الزيارة في أن الإمبراطور نفسه أرادها أن تكون بعيد عن الصفة الرسمية، والتقيّد بالبرتوكول حتي تكن له حرية التنقل من مكان إلى آخر، والاستمتاع بمشاهدة المناطق الأثرية . حيث كانت الأوامر الصادرة إلى محافظ الإسكندرية وإلى مديري المديرية التي يرغب في زيارتها بضرورة استقباله بها يليق بمكانته . وليس أدل علي ذلك ما صدر إلى محافظ بورسعيد للتوجه إلى الإسمايلية واصطحابه في قطار مخصوص . وفي نفس الحال عندما أراد زيارة الوجه القبلي . وفي نهاية الزيارة علق قائلاً : " أنه سر كل السرور مما شاهده مع مارييت من المباني والآثار المصرية القديمة في الأتيكخانة وأهرام الجيزة " .

والجدير بالذكر، أن نظرة مصر للسياحة في هذه الفترة لم تكن ذات مغزي اقتصادي لأنه لم يكن هناك حرص من جانب الدولة علي تشجيع السياحة لكي تكون مصدراً من مصادر تمويل الخزنة المصرية . فكان الهدف من وراء تشجيع السياحة والاهتمام بالسياح هو إبراز أهمية مصر . لذا كانت الدولة في أغلب الأحيان تتكفل بنفقات إقامة وانتقال الأمراء والشخصيات البارزة .

وحقيقة الأمر أن احتفاء إسماعيل بهؤلاء لم يكن بهدف خدمة السياحة في حد ذاتها، وإنما كان ذلك من قبيل الأمور السياسية والعلاقات الدولية .

ثانياً : الأماكن السياحية :

تعددت الأماكن السياحية التي حرص السياح الذين يفدون إلى مصر علي مشاهدتها مثل (المتحف المصري) و (القناطر الخيرية) اللذان كانا يستهويان كل من يزور مصر بغرض السياحة أو بأغراض سياسية . فكانت أول زيارة للسلطان

عبد العزيز في أوائل حكم إسماعيل أن قصد المتحف المصري لمشاهدة ما به من قطع أثرية، وأبدى رغبته في زيارة القناطر الخيرية حيث انتقل إليها في قارب بخاري وأبدى إعجابه الشديد بها.^(١)

وتأتى (قناطر التقسيم) ضمن الأماكن التى نالت إعجاب الأجانب . وتعد هذه القناطر من أعظم قناطر الري في العالم، وكانت ولا تزال محل إعجاب من يشاهدها. وأشار مستر (فولر) المهندس الإنجليزي انه يحسن للسياح اللذين يجيئون إلى مصر لمشاهدة الآثار القديمة أن يشاهدوا الآثار الجديدة، وهى ترعة الإسماعيلية وقناطرها.^(٢) وهذا إن دل على شيء إنما يدل على التواصل الحضاري لمصر، وتنوع المنتج السياحي لها الذي لا يركن إلى ما تركه قدماء المصريين فقط، ولكن أيضا ما تم على أيدي المحدثين من أبنائها.^(٣)

أما المنشآت الحديثة، والتي كان يسمح للسياح بزيارتها (ميناء الإسكندرية) . فبعد حضور الدوق (سترلاند) إلى مصر سائحا وقيل أن يغادرها طلب السماح له بمشاهدة ميناء الإسكندرية . وبعد أن أجيب إلى طلبه وأثناء تفقده للميناء أخذ يستفسر عن الأعمال التى تتم داخل الميناء وخارجه . والهدف من ذلك هو إبراز الجهود المبذولة لتطوير الميناء حتى أصبح لا يقل عن موانئ الدول الأوروبية .

ومن أهم عناصر الجذب السياحي التى لابد من الإشارة إليها، ألا وهى (دار الأوبرا) والتى تعتبر احد أنماط السياحة الثقافية.^(٤) فإسماعيل هو أول من أنشأ مسرح في مصر هو المسرح الكوميدي في حي الأزبكية في ٤ يناير ١٨٦٨ . وفي العام

(١) السيد السيد أحمد دياب : المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٢) محمد إسماعيل حب الرمان : أعظم ترعة للري في الدنيا - الترعة الإبراهيمية ، ص ٨٧ .

(٣) سعاد عمران : نظرية السياحة والأنماط السياحية الدولية ، ص ٦٣ .

(٤) سعاد عمران : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

التالى حين سنحت فرصة افتتاح قناة السويس وضع إسماعيل أساس أمتن وأعرق صرح ثقافي وهي دار الأوبرا التي تم تشييدها في ستة أشهر، حتي تقوم بدورها وتؤدي مهمتها وتحمل رسالتها. وها هي حتي الآن تظل المسرح العالمي الكامل العدة العظيم المزايا الذي يحمل مشاعل النور والثقافة^(١).

ومهما كان التجديد والتحديث، فإن الأماكن الأثرية كانت ومازالت من أكثر الأماكن التي يحرص السياح علي زيارتها ومشاهدة ما بها من آثار. وقد ذكرنا خلال فصول هذا البحث مدي حرص إسماعيل واهتمامه بصيانة الآثار. وتؤكد لنا المخطوطات والوثائق والخطابات المتبادلة بين الخديوي إسماعيل ورياض باشا وماريت ما بين سنتي ١٨٦٥ - ١٨٧٩، أن إسماعيل العظيم كان يصدر أوامره الخاصة بجمع الآثار والتنقيب، ولا ييخل بالمال في سبيل ذلك، وأن كبار زائري وادى النيل اعجبوا بأعماله الباهرة^(٢).

وبمناسبة الحديث عن الأماكن السياحية وعناصر الجذب السياحي، كان لزاماً علي أن أذكر اهتمام إسماعيل بالسياحة الداخلية، فلقد استهل بالفعل حكمه بالعمل علي تنشيط السياحة الداخلية. وتمثلت جهوده في طبع كتاب يتناول تاريخ قدماء المصريين وتم توزيع نسخه علي أرباب المعارف والعلوم من أهالي البلاد والأجانب. وهكذا كان إسماعيل هو أول من رفع شعار " إعرف بلدك " ^(٣).

ومن أهم عناصر الجذب السياحي الداخلي، كانت الحدائق والمتزهات العامة لاسيما (حديقة الازبكية) بالقاهرة والتي أنشأت في عام ١٨٦٧، وتم افتتاحها في عام ١٨٧٢. وكانت بمثابة متنفساً للسكان، ومن ناحية أخرى كان إنشائها من بين

(١) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته ، ص ٣٩٧ .

(٢) سامي جبرة : العناية بالآثار المصرية ، إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته ، ص ٣١٣ .

(٣) السيد السيد أحمد دياب : السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر، ص ٩٩

الأعمال التي ارتقت بالذوق الجمالي للقاهرة، وكيف استطاع إسماعيل أن يحول الازيكية من مجرد بركة إلى آية في الحسن والجمال، وأنشأت بها الجداول والنافورات واستحضرت لها النباتات من مختلف البلاد كالهند والصين والسودان .

لذلك صدرت الأوامر إلى السكة الحديد بإعداد أربع أو خمس عربات لنقل النباتات التي تم شراؤها لحديقة الأزيكية من أحد تجار الإسكندرية .

ومن الحقائق التي أنشأها إسماعيل أيضاً، هي حدائق الأورمان وتعتبر مرجعاً لدراسة أنواع الأشجار والنباتات النادرة التي جلبت من جزر الروم وغيرها من سائر البلدان .^(١)

ولا ننسى أيضاً إنشاء حديقة الأسماك بالجزيرة^(٢)، وحديقة النزهة بالإسكندرية، وغيرها من الحدائق .

ولا ننسى إنشاء كوبري قصر النيل وربط القاهرة بالجزيرة . وحقيقة الأمر أن إنشاء كوبري قصر النيل كان له الفضل في ميل السكان إلى التنزه، ومشاهدة محاسن النيل وجسره البديع والتمتع برياض الجزيرة .

وإذا كنا نتحدث عن الأماكن السياحية في مصر فمن الصعب أن ننسى - سيناء هذه البقعة الغالية من أرض مصر ، وطوال عهد إسماعيل زار سيناء العديد من الشخصيات وتنوعت زيارتهم للأماكن الدينية، ودراسة الآثار الموجودة بها . ففي عام ١٨٦٥ زار دير سانت كاترين " نورن " أحد وزراء المعارف السابقين في روسيا . وأثناء الاحتفال بافتتاح قناة السويس للملاحة الدولية سافر إلى سيناء الكثير من رجال الدين، وكثرت أيضاً البعثات التعليمية والأثرية إلى سيناء في هذا العهد .^(٣)

(١) مصطفى فهمي : القصور والمنشآت : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، ص ٣٧٥ .

(٢) محمود رمزي : القاهرة إسماعيل : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، ص ٣٧٨ .

(٣) السيد السيد أحمد دياب : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

ثالثاً: الأنماط السياحية

من الأمور الثابتة أن السياحة في مصر في القرن التاسع عشر لم تكن مقتصرة على نوع واحد من أنواع السياحة بل شملت مختلف الأنواع^(١)، وكما سبق أن ذكرنا أنه كان هناك تنوع في المنتج السياحي .

ومن أهم الأنماط السياحية في هذه الفترة :

- السياحة الثقافية : وهي تعتبر أهم أنماط السياحة، ليس في ذلك الوقت وإنما حتي الآن . وسيظل هو الأهم، لأن المنتج السياحي المصري يعتمد في المقام الأول على المقومات الحضارية المختلفة في الأماكن الأثرية، ودار الأوبرا، والمهرجانات وغيرها من عناصر السياحة الثقافية . ويعتبر المتحف المصري، أهرامات الجيزة هي قبلة السياح الأولى في مصر، وبصمات إسماعيل واضحة وضوح العين في هذين المقامين . وكذلك دار الأوبرا التي كانت منذ إنشائها وحتى الآن منارة للثقافة والإشعاع العلمي .
- السياحة الموسمية : وهي عنصر يعتمد على اعتدال مناخ مصر واتخاذ مصر مشتي بالنسبة للأوروبيين . وقد ذكرت الوقائع المصرية في عام ١٨٧٥ إلى إن إعداداً من السائحين وصلت إلى مصر لقضاء فصل الشتاء فيها .^(٢) وهكذا يعتبر المناخ مقوم جذب سياحي طبيعي .
- ممارسة هواية صيد الطيور : ويطلق عليها علماء السياحة اسم " سياحة الاهتمامات الخاصة " .^(٣) وكانت الدولة تقدم لمن يمارس هذا النمط كل المساعدات الممكنة،

(١) السيد السيد أحمد دياب : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢) السيد السيد أحمد دياب : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) سعاد عمران : نظرية السياحة والأنماط السياحية الدولية ، ص ١٨٧ .

وكانت من أهم مقاصد هذا النوع من السياحة هي دمياط . والسبب في ذلك أنها تشرف علي بحيرة المتزلة التي تتميز بوجود أنواع كثيرة من الطيور .

• السياحة العلاجية : لقد جاء الاهتمام بهذا النوع من أنواع السياحة عقب اكتشاف المياه الكبريتية في حلوان . وتبع ذلك الاهتمام بهذه المنطقة وتنميتها، فلقد قام الخديوي إسماعيل بتعيين طبيباً خاصاً لحمامات حلوان، وأنشئ لوالدته قصرأ بها عام ١٨٧٧ . وتوالت بعد ذلك الإنشاءات، وجذبت الكثير من الأثرياء للإقامة بها، وقصدها العديد من الأجانب لتمضية فصل الشتاء فيها . وعملاً علي تسهيل الانتقال من وإلي حلوان تم مد خط حديدي يبدأ من ميدان محمد علي بالقلعة إلي حلوان . فأصبحت هناك سهولة في الذهاب إليها .

ولم تكن المياه الكبريتية في حلوان هي المكان الوحيد الذي جذب السياح إليه من أجل الإستشفاء بل كان بمقدور السياح أن يذهبوا إلي عيون موسى، وليس أدل علي ذلك من أن نشير هنا إلي ما كتبه قنصل أمريكا في ٢١ أكتوبر ١٨٦٩ عن اختفاء أحد السياح الأمريكيين بعد مغادرته فندق فيكتوريا في السويس لزيارة عيون موسى وانقطعت أخباره بعد أن استقل قارباً لعبور البحر الأحمر .

وهناك أمر هام يجب عدم إغفاله في هذه الفترة وهو اشتراك مصر في العديد من المعارض والمؤتمرات والتي تعتبر إحدى وسائل الجذب السياحي لما تتضمنه من وسائل دعابة وإعلان ، ومن أشهر المعارض التي اشتركت بها مصر :^(١)

(١) حسين كفاي : الخديوي إسماعيل ومعشوقته مصر ، ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ .

جدول ١٢

السنة	البلد	المعرض
١٨٦٧	باريس	معرض باريس
١٨٧٢	ليون	المعرض العالمي للزراعة وتربية دود الحرير
١٨٧٣	فيينا	المعرض العالمي للزراعة وتربية دود الحرير
١٨٧٥	كولونيا	معرض فلاحية البساتين
١٨٧٦	فيلا دلفيا	معرض فيلا دلفيا
١٨٧٦	أمستردام	المعرض الدولي للنبات وفلاحية البساتين
١٨٧٦	بركسل	معرض مؤتمر الصحة والتجارة
١٨٧٨	باريس	المعرض العالمي

رابعاً : الفنادق

كان من الطبيعي أن يرتبط إنشاء الفنادق في مصر بالزيادة المستمرة في أعداد السائحين و التي شهدتها مصر في هذه الفترة . ولقد أنشأت الفنادق في كل من الآسكندرية ، القاهرة ، السويس ^(١).

ويشير على مبارك الى أن الفنادق الموجودة في القاهرة وحدها عام ١٨٧٧ بلغ عددها ١٦ فندقاً ^(٢).

وكانت توضع ضوابط خاصة بإقامة السائحين وحق الداخلية في تفتيش هذه الفنادق ومعاينة كل من لا يلتزم بهذه الضوابط .

(١) السيد السيد أحمد ديب : المرجع السابق ، ص ٨٤

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية - الجزء الأول ، ص ٩٤

ويذكر " زين العابدين شمس الدين " أن الفنادق قد ظهرت مبكراً في بورسعيد منذ سنة ١٨٦٥ ، وكان أصحاب الفنادق يرسلون بالأدلاء و المترجمين لجذب النزلاء إليها عند وصول السفن ^(١) . وكانت الفنادق تخصص العربات التي تنقل فيها النزلاء من وإلى محطات السكك الحديدية ^(٢) .

(١) زين العابدين شمس الدين : بورسعيد تاريخها وتطورها منذ نشأتها ١٨٥٩ إلى ١٨٨٢ ، ص ١٢١

(٢) السيد السيد أحمد ديلب : المرجع السابق ، ص ٨٦

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة أستطيع أن أقول أن المشروعات العمرانية في فترة البحث كان لها تأثير كبير على السياحة.

فالمشروعات العمرانية في القاهرة والإسكندرية كان لها تأثير كبير في جذب السائحين من خلال المتنزهات و الحدائق و روعة البناء و العمران ، و تزويد الشوارع بغاز الاتارة و مياه الشرب و شبكات المجارى ، الأمر الذى جعل من القاهرة مدينة أوروبية الطراز و شرقية الطباع ويشعر السائح في القاهرة و كأنه في أى بلد أوروبى ، ففيها من وسائل الترفيه و التسلية ما تجده في مختلف العواصم الأوروبية.

أما الإسكندرية فهي عاصمة البلاد الثانية و ثغرها على البحر المتوسط ، وهى أحد أهم المقاصد السياحية التى استطاعت بفضل ما تم بها من مشروعات عمرانية أن تجذب المزيد من السائحين إليها . وكان ميناء الإسكندرية محطة الوصول الأولى و مزاراً يستحق المشاهدة .

أما إنشاء الإسماعيلية فكان إعلاناً بميلاد مزاراً سياحياً و مقصداً هاماً و محل جذب للسائحين.

وجاء الاهتمام بمشروعات النقل و المواصلات وخاصة السكك الحديدية التى استطاعت أن تربط بين مدن مصر مما أدى إلى سهولة الانتقال و زيارة الأماكن السياحية و الوصول الى صعيد مصر حيث مهد الحضارة المصرية القديمة . أما البريد و التلغراف فهما مظهران من مظاهر التقدم و المدنية ، سهلا معاً اتصال الأجانب في مصر بأسرهم و ذويهم ، ونقل أخبار مصر و أهم مشروعاتها . و تجلّى ذلك من خلال

مراسلات قناصل الدول الى حكوماتهم ، فكان ذلك وسيلة دعاية سياحية غير مباشرة .

وجاء افتتاح المشروع العملاق (قناة السويس) الذى كان بمثابة إعلان عن انتقال مصر من المحلية الى العالمية ، وما ترتب على هذا الافتتاح من مشروعات كان لها تأثير بالغ في الحركة السياحية الوافدة إلى مصر .

ثم يأتى الاهتمام بالمشروعات الثقافية وخاصة دار الآثار (المتحف المصرى) الذى إن دل على شئ إنما يدل على العناية بالآثار التى هى أهم عنصر جذب سياحى يجذب السائحين لمشاهدة روعة الحضارة المصرية القديمة .

وفي رأيى الشخصى أن السياسة السياحية في مصر في النصف الثانى من القرن التاسع عشر اتسمت بالتكامل و تدل على رؤية ثاقبة تدل على التواصل الحضارى وتنوع المنتج السياحى الذى جمع بين أصالة الماضى ممثلة في الآثار وبين المشروعات العمرانية الحديثة التى شهدتها هذه الفترة مثل الترعة الإبراهيمية ، قناطر التقسيم ، ميناء الإسكندرية ، دار الأوبرا ، الحدائق ، الخ .

الملاحق



المغفور له الخديوي إسماعيل باشا

ملحق رقم (١)

ملحق بأهم البحوث التي أُلقيت بالجمعية الجغرافية الخديوية^(١)

من سنة ١٨٧٥ إلى ١٨٧٩

جلسة الافتتاح ٢ من يوليو ١٨٧٥ - الدكتور شفينفورت : أهمية الدراسات
الأفريقية

" ١٧ / ٢ / ١٨٧٥ - الدكتور ينكر : عن رحلة حديثة له في الصحراء اللوية "

" ٢٦ / ١ / ١٨٧٦ - فرديناند دلسبس : الجغرافية القديمة لبرزخ السويس "

جلسة ١٨٧٦ / ١ / ٢٦ - ستون باشا : بعثات واكتشافات هيئة أركان حرب الجيش
المصري بالسودان .

١٨٧٦ / ١ / ٢٦ - الدكتور شفينفورت : مذكرة عن بحيرة ألبرت ومنابع النيل

١٨٧٦ / ٢ / ١٨ - دور بك : مذكرات هاجناخر عن الحبشة

١٨٧٦ / ٢ / ١٨ - الدكتور شفينفورت : أحدث المعلومات عن إقليم البحيرات
الاستوائية، وعن رحلة كمرون .

١٨٧٦ / ٣ / ٢٤ - بونولا : الرحالة الإيطاليون بأفريقية (القسم الأول)

١٨٧٦ / ٤ / ٢١ - كولستون : القبائل البدوية بالسودان المصري عموماً،
ويكردفان خصوصاً .

١٨٧٦ / ٤ / ٢١ - ماركيزدي كومبيين : الاقزام في افريقية الوسطي

١٨٧٦ / ٤ / ٢١ - ماريت باشا : الاقزام في مصر القديمة

١٨٧٦ / ٤ / ٢١ - هجلبن - الأقاليم المضافة حديثاً لمصر

١٨٧٦ / ٤ / ٢١ - كرون : خطاب للسير بارتل فريد عن مشروع بناء السكك
الحديدة في أفريقية الوسطي .

١٨٧٦ / ٥ / ٢٦ - جسفيلد : عن رحلة حديثة له في أفريقية الغربية

(١) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته .

- ١٨٧٦/٥/٢٦ - بونولا : الرحالون الإيطاليون في إفريقية (القسم الثاني)
- ١٨٧٦/٥/٢٦ - ماركيزدي كومبيين : الحبشة حسب وصف رافراي
- ١٨٧٦/٥/٢٦ - شيروتي : العرب في الشرق الأقصى
- ١٨٧٧/١/٥ - دور بك : السودان الشرقي بحسب مذكرات فتزنجو باشا
- ١٨٧٧/١/٥ - باسون : دارفور
- ١٨٧٧/١/٥ - لونج بك : عن رحلة حديثة له في أوغندا وإلى بلاط الملك تينيزا
- ١٨٧٧/٢/٢ - روسي بك : رسالة مصر في إفريقية
- ١٨٧٧/٢/٢ - الكولونيل مختار بك : مقالة عن هرر
- ١٨٧٧/٢/٢ - فرديناند دلسبس : مذكرة عن مشروعات تقدم المواصلات في آسيا الوسطي .
- ١٨٧٧/٥/١١ - ستون باشا : رحلة ستانلي في إقليم البحيرات
- ١٨٧٧/٥/١١ - الكونيل مختار بك : مقالة عن هرر (تكلمة البحث)
- ١٨٧٨/٢/١٧ - ماسون بك : مقالة عن بحيرة ألبرت
- ١٨٧٨/٣/٢٢ - ستون باشا : بعثات سمو الخديوي في بلاد النوبة
- ١٨٧٨/٣/٢٢ - متشل : مناجم الحفامات القديمة
- ١٨٧٩/١/٢٦ - الدكتور ينكر : رحلاته في أفريقية الاستوائية
- ١٨٨٠/١/٢ - محمد بك صادق : رحلة للمدينة المنورة منذ عشرين عاما

هذا، وقد خصصت الجمعية جلسة ١٥ من مارس ١٨٩٥، للإشادة بذكرى (المغفور له) الخديوي إسماعيل، تحدث فيها عن مآثره شفينفورت، وأبات باشا، وإسماعيل باشا الفلكي، كما تحدث فيها بونولا بك عما أداه سموه الدراسات الجغرافية وللجغرافيين .

ملحق رقم (٢)
اتخاذ السياح مصر مشتي^(١)

الوقائع المصرية : العدد رقم ٦٣٤ بتاريخ ٦ ديسمبر ١٨٧٥ .

المترائي أن فصل الشتاء في هذه السنة يكون بمصر هيناً حتي ورد من الآن إليها السياحون وكثير من الأجانب المعتبرين زمراً للتمتع بأهويتها المعتدلة .

(١) السيد السيد دياب : السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر

ملحق رقم (٣)

الإشارة بحسن النظام في الفنادق^(١)

الوقائع المصرية : العدد رقم ٥٨٦ بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤

قدم هنا جناب البارون (دونوتوب) سفير بلجيكا ببرلين سائحاً نزل في لوكاندة (غراني أوتيل) التي بالأزبكية وهو من مشهوري المعبرين في فن الدبلوماسية فلماذا قبل عند الحضرة الفخيمة الخديوية بكمال الرعاية والاحترام وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر شوال ١٨٧١ ركب وابور مخصوصاً للسياحة في الجهات القبلية وفي عزمه بعد العودة الإحاطة بها في مصر المحروسة من الآثار والأمكنة الشهيرة والمرور بالقنال من أوله إلى آخره وروي عنه بعد تحادث معه من الذوات أنه متعجب مما رآه في مصر من الترقى والانتظام اللذين كانا لا يخطران له ببال وفي تلك اللوكاندة النازل فيها التي لا يوجد مثلها في أغلب مدن أوروبا الشهيرة .

(١) - السيد السيد دياب : السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر .

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- ١- أحمد أحمد الحته : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٧٥ .
- ٢- أحمد عبدالرحيم مصطفى : مشكلة قناة السويس ١٨٥٤ - ١٩٥٤ - محاضرات معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - ١٩٦٦ - ١٩٦٧ .
- ٣- أحمد عبدالحادي : نهضة البحرية التجارية والتشريع البحري - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .
- ٤- أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي الي أوائل حكم توفيق - ثلاثة أجزاء - وزارة المعارف العمومية - القاهرة - ١٩٤٥ .
- ٥- أحمد فكرى : القاهرة في عهد إسماعيل : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .
- ٦- السيد السيد أحمد توفيق دياب : السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر دراسة في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي - مصر النهضة - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٤ .
- ٧- السيد فهمي : طرق المواصلات - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .
- ٨- إلهام محمد علي ذهني : مصر في كتابات الرحالة البريطانيين في القرن التاسع عشر - مكتبة زهراء الشرق - الطبعة الأولى - القاهرة - ٢٠٠٣ .
- ٩- إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا ، مجلدين - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٢٣ .
- ١٠- إميل فهمي حنا شنوده : تاريخ التعليم الصناعي حتي ثورة يوليو ١٩٥٢ وزارة الثقافة - مؤسسة التأليف والنشر - دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٧ .

النشآت المعمارية في عصر الخديو إسماعيل - دراسة تاريخية أثرية

١١- أمين سامي باشا : تقويم النيل في عصر إسماعيل - المجلد الثاني والثالث من الجزء الثالث - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٣٦ .

١٢- أندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة - ترجمة لطيف فرج - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٤ .

١٣- بيير كرابتييس : إسماعيل المفترى عليه - ترجمة فؤاد صروف - دار النشر الحديث - القاهرة - ١٩٣٧ .

١٤- جان لوك أرنو : القاهرة - إقامة مدينة حديثة - ١٨٦٧ - ١٩٠٧ - ترجمة حليم طوسون - فؤاد الدهان - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - ٢٠٠٢ .

١٥- جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن مع فذلكة في تاريخ مصر القديمة - الجزء الثاني - مطبعة الهلال - القاهرة - ١٩٢٥ .

١٦- جورج حليم كيرلس : قناة السويس أهم قنوات العالم - تقديم مشهور أحمد مشهور - دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ .

١٧- جورج جندي وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٧ .

١٨- حامد سليم : بعض نواحي تاريخ الزراعة - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

١٩- حسين كفاي : الخديوي إسماعيل ومعشوقته مصر - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٤ .

٢٠- حلمي أحمد شلبي : فصول في تاريخ تحديث المدن - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٨ .

٢١- حسن الخطيم : تقدم البريد في عهد إسماعيل - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

٢٢- خلف عبدالعظيم الميري : تاريخ البحرية التجارية المصرية ١٨٥٤ - ١٨٧٩ . - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٢ .

٢٣- رؤوف عباس حامد : جامعة القاهرة ماضيها وحاضرها - مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي - ١٩٨٩ .

- ٢٤- رؤوف عباس حامد : مصر في القرن التاسع عشر - دار النهضة العربية - القاهرة - بدون تاريخ .
- ٢٥- رأفت غنيمي الشيخ : حضارة مصر الحديثة - القاهرة - ٢٠٠٠ .
- ٢٦- زين العابدين شمس الدين : بور سعيد - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٧ .
- ٢٧- سامي جبرة : العناية بالآثار المصرية إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .
- ٢٨- سامي سليمان السهم : التعليم والتغير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر - الهيئة العامة للكتاب - سلسلة تاريخ المصريين . القاهرة - ٢٠٠٠ .
- ٢٩- سعاد عمران : نظرية السياحة والأنشطة السياحية الدولية - مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٩٨ .
- ٣٠- شحاتة عيسى- إبراهيم : القاهرة - الهيئة العامة للكتاب - مكتبة الأسرة - القاهرة - ١٩٩٩ .
- ٣١- عباس الطرابيلي : شوارع لها تاريخ - سياحة في عقل الأمة - الهيئة العامة للكتاب - مكتبة الأسرة - القاهرة - ٢٠٠٠ .
- ٣٢- عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل . جزآن - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٠ .
- ٣٣- عبدالرحمن الرافعي : مصر- المجاهدة في العصر- الحديث - الحلقة الرابعة (الثورة العربية والاحتلال وإخلاء السودان) - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٩٥٨ .
- ٣٤- عبدالمنصف سالم : قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر- الجزء الأول - مكتبة زهراء الشرق - القاهرة - ٢٠٠٠ .
- ٣٥- عبده مباشر : البحرية المصرية من محمد علي إلى السادات - ١٨٠٥ - ١٩٧٣ - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٥ .
- ٣٦- عرفة عبده علي : القاهرة في عصر إسماعيل - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ١٩٩٨ .
- ٣٧- علي مبارك : الخطط التوفيقية - عشرين جزء - مطبعة بولاق - القاهرة - ١٣٠٥ هـ .
- ٣٨- علي مبارك : الخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية (نسخة مأخوذة عن الجزء السابع من طبعة بولاق) - مكتبة الآداب ومطبعتها بالجواميز - القاهرة - ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

٣٩- عمر الأسكندري وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر - مطبعة المعارف - القاهرة - ١٩١٦ .

٤٠- فاطمة علم الدين : تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال - مصر النهضة - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٨ .

٤١- لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطني الديمقراطي بالإسماعيلية : الإسماعيلية بوابة مصر الشرقية - بدون تاريخ .

٤٢- محافظة الإسكندرية : تاريخ الإسكندرية وحضارتها - بدون تاريخ .

١- محافظة الإسماعيلية : صفحات مضيئة من تاريخ الإسماعيلية - بدون تاريخ .

٢- محمد إسماعيل حب الرمان : أعظم ترعة للري في الدنيا " الترعة الإبراهيمية " - القاهرة - ١٩٠٠ .

٣- محمد أمين حسونة : مصر والطرق الحديدية - القاهرة - ١٩٣٨ .

٤- محمد صبحي عبدالحكيم : مدينة الإسكندرية - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٥٨ .

٥- محمد فهمي لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة - دار النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٤٤ .

٦- محمد كامل نبيه : المنشآت الهندسية العامة - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

٧- محمد محمود الصياد : النقل في البلاد العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة - ١٩٥٦ .

٨- محمد مصطفى صفوت : إنجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ - ١٩٥١ - الجمعية الملكية للدراسات التاريخية - مكتبة أدوات البحث التاريخي والوثائقي والنصوص - القاهرة - ١٩٥٢ .

٩- محمود جلال الدين الجمل : بور سعيد ملتقى الشرق بالغرب - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٥٤ .

١٠- محمود رمزي : القاهرة إسماعيل - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

١١- محمد زكي حسن : العناية بالآثار الإسلامية - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

- ١٢- محمود محمد الجوهري : قصور الرجعية - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٤ .
- ١٣- مصطفى فهمي : القصور والمنشآت - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .
- ١٤- وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .
- ١٥- يعقوب أرئين : القول التام في التعليم العام - مطبعة بولاق - القاهرة - ١٨٩٤ .

ثانياً: المقالات والمواقع الإلكترونية :

- ١- الموقع الإلكتروني لجامعة القاهرة www.cu.edu.eg (مقالة بعنوان جذور جامعة القاهرة) .
- ٢- الموقع الإلكتروني لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء .
- ٣- الموقع الإلكتروني للموسوعة الحرة www.wikipedia
- ٤- الموقع الإلكتروني www.alexculture.gov.eg
- ٥- جريدة الجمهورية : العدد رقم ١٧٧٥٥ بتاريخ ٨/٨/٢٠٠٢ .

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- 1- Cameron, D. A : Egypt in the 19th century, london - 1899 .
- 2- Dicay , E ., : the story of the khedivate, London, 1902 .

رابعاً: رسائل جامعية

- ١- إبراهيم صبحي السيد غندر ثابت : " أعمال المنافع العامة بالقاهرة منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين " رسالة دكتوراه - كلية الآثار - جامعة القاهرة - ٢٠٠٤ .
- ٢- أحمد الشربيني : " تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية ١٨٤٠ - ١٩١٤ " رسالة ماجستير - منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٨٥ .
- ٣- أحمد حلمي السيد سليمان : " الري في مصر - وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ١٨٠٥ - ١٩٢٣ " رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ٢٠٠٥ .

- ٤- حامد علي دسوقي : " النظام الإداري في مصر في عهد إسماعيل " رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٧٩ .
- ٥- صالح رمضان محمود : " دراسات عن الحياة الاجتماعية في مصر في عهد الخديوي إسماعيل " رسالة ماجستير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ .
- ٦- عبد المنصف سالم حسن نجم : " الطرز المعمارية والفنية لبعض مساكن الأمراء والباشوات في القرن التاسع عشر " رسالة دكتوراه - منشورة - كلية الآثار - جامعة القاهرة - ٢٠٠٠ .
- ٧- محمود محمد الألفي : " العمارة الإسلامية في مصر خلال القرن التاسع عشر - أسرة محمد علي بالقاهرة - ١٨٠٥ - ١٨٩٩ " رسالة دكتوراه - كلية الهندسة - قسم العمارة - جامعة القاهرة - ١٩٨٦ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
الفصل الأول : « مشروعات المدن »	١٣
أولاً : المدن القديمة	١٥
١ - القاهرة	١٥
٢ - الإسكندرية	٩٥
ثانياً : المدن الحديثة	١٠٣
١ - بورسعيد	١٠٣
٢ - الإسماعيلية	١١٨
الفصل الثاني : « مشروعات النقل والمواصلات »	١٢٥
أولاً : السكك الحديدية	١٢٧
ثانياً : البرق (التلغراف)	١٣٢
ثالثاً : البريد	١٣٧
رابعاً : المواصلات النهرية	١٤٣
خامساً : قناة السويس	١٤٥
الفصل الثالث : « مشروعات الري »	١٦١
مقدمه	١٦٣
١ - الترعة الإبراهيمية	١٦٥
٢ - قناطر التقسيم	١٦٩
٣ - الترعة الإسماعيلية	١٧٣
٤ - الترعة الأخرى	١٧٦

الموضوع	الصفحة
٥ - إصلاح القناطر الخيرية	١٧٨
الفصل الرابع «مشروعات التعليم»	١٨٣
مقدمة	١٨٥
تطور النظام التعليمي في عصر إسماعيل :	١٨٧
أولاً : مرحلة الإنشاء	١٨٨
ثانياً : مرحلة التوجيه القومي	١٩١
- لائحة رجب	١٩٤
ثالثاً : حركة الإصلاح	١٩٨
- ميزانية التعليم	١٩٩
- التعليم الابتدائي	٢٠١
- تعليم البنات	٢٠٣
- المدارس التجهيزية	٢٠٥
- المدارس العليا	٢٠٦
- التعليم العسكري	٢٠٩
- التعليم الصناعي	٢١١
- البعثات العلمية	٢١٣
الخامس الفصل : «المشروعات الثقافية»	٢١٧
١ - دار الكتب	٢١٩
٢ - دار الآثار المصرية	٢٢٢
٣ - دار الأوبرا الخديوية	٢٢٨
٤ - الجمعية الجغرافية الخديوية	٢٣٢
٥ - جمعية المعارف	٢٣٣

الموضوع	الصفحة
الفصل السادس : « المشروعات البحرية »	٢٣٥
مقدمة	٢٣٧
أولاً : ميناء الإسكندرية	٢٣٨
ثانياً : ميناء السويس	٢٤٢
ثالثاً : الفئارات	٢٤٤
رابعاً : الشركة العزيزية	٢٤٨
الفصل السابع : « السياحة في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر » ..	٢٥١
أولاً : مفهوم السياحة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ..	٢٥٣
ثانياً : الأماكن السياحية	٢٥٥
ثالثاً : الأنماط السياحية	٢٥٩
رابعاً : الفنادق	٢٦١
الخاتمة	٢٦٣
الملاحق	٢٦٥
المراجع	٢٧١

فهرس الأشكال والصور والخرائط

الصفحة	الوصف	شكل / صورة رقم
١٨	قاهرة إسماعيل - إضافات لإسماعيل للمدينة القديمة	(١)
٢٣	شارع قصر النيل	(٢)
٢٦	ميدان طلعت حرب	(٣)
٢٧	ميدان الإسماعيلية «التحرير»	(٤)
٢٨	قصر إسماعيل	(٥)
٣٤	القاهرة الخديوية	(٦)
٤٢	تقديرات محتويات غرفة السلامك بقصر عابدين	(٧)
٥٠	تقديرات قيمة أجنحة وصالات الحرم الملكي بقصر عابدين	(٨)
٥٣	الساحة الأمامية لقصر عابدين	(٩)
٥٤	قصر عابدين	(١٠)
٥٥	الصالون الأحمر	(١١)
٥٦	الصالون الأبيض	(١٢)
٥٧	الصالون الأخضر	(١٣)
٥٨	قاعات الاستماع البيزنطية	(١٤)
٥٨	قاعات الاستماع البيزنطية	(١٥)
٥٩	قاعة العرش	(١٦)
٦٠	مكتبة قصر عابدين	(١٧)
٦٠	قاعة محمد على	(١٨)

الصفحة	الوصف	شكل / صورة رقم
٦١	قاعة محمد على	(١٩)
٦٢	حدائق قصر عابدين	(٢٠)
٦٣	حدائق قصر عابدين	(٢١)
٦٤	حدائق قصر عابدين	(٢٢)
٦٥	حدائق قصر عابدين	(٢٣)
٦٦	حدائق قصر عابدين	(٢٤)
٦٧	قاعة الطعام الصغرى بقصر عابدين	(٢٥)
٦٨	نماذج من متحف الفضيات بقصر عابدين	(٢٦)
٦٩	نماذج من متحف الفضيات بقصر عابدين	(٢٧)
٧٤	بحيرة قصر الجزيرة	(٢٨)
٧٩	قصر القبة	(٢٩)
٨٠	سراى قصر القبة	(٣٠)
٨٠	قصر القبة من الخارج	(٣١)
٨٤	سراى الزعفران	(٣٢)
٨٩	خريطة لمدينة القاهرة	(٣٣)
٩٠	إمتدادات مدينة القاهرة ١٨٧٤ م	(٣٤)
٩١	خريطة القاهرة	(٣٥)
٩٢	القاهرة في القرن ١٩	(٣٦)
٩٣	القاهرة	(٣٧)
٩٤	خريطة القاهرة	(٣٨)
٩٨	ميناء الإسكندرية ١٨٧٢ م	(٣٩)

الصفحة	الوصف	شكل / صورة رقم
١٠٨	الحاجز الغربى بميناء بورسعيد	(٤٠)
١٠٩	فنار بورسعيد	(٤١)
١١٧	خريطة لمدينة بورسعيد	(٤٢)
١٢٤	خريطة لمدينة الإسماعيلية	(٤٣)
١٥٩	حفلى افتتاح قناة السويس	(٤٤)
١٦٠	خريطة قناة السويس	(٤٥)
١٦٨	خريطة الترعة الإبراهيمية	(٤٦)
١٧٢	الترعة الإبراهيمية	(٤٧)
١٧٣	الترعة الإبراهيمية	(٤٨)
١٧٧	بيان الترع والرياحات الرئيسية فى الوجه البحرى	(٤٩)
١٧٩	القناطر الخيرية	(٥٠)
١٨٠	القناطر الخيرية	(٥١)
١٨١	من داخل القناطر الخيرية	(٥٢)

فهرس الجداول

الصفحة	الوصف	جدول رقم
٣٦	المتزهات والحدائق الشهيرة بالقاهرة فى سنة ١٨٧٨ م	(١)
١٣١	الخطوط الحديدية التى مدت فى عصر إسماعيل	(٢)
١٣٤	الخطوط البرقية التى أنشئت فى عهد إسماعيل	(٣)
١٥٦	حركة الملاحة فى قناة السويس منذ افتتاحها وحتى سنة ١٨٧٧ م	(٤)
١٧٠	الأفهام الكائنة على قناطر التقسيم بديروط	(٥)
	قناطر الحجز والموازنة من الأعمال الصناعية الكائنة على التربة	(٦)
١٧٢	الإبراهيمية	
٢٠٠	ميزانية التعليم فى الفترة من ١٨٦٨ م - ١٨٧٩ م	(٧)
	عدد التلاميذ والمعلمين بالمدرسة الخديوية فى الفترة من	(٨)
٢٠٦	١٨٦٣ م - ١٨٧٩ م	
٢١٤	البعثات العلمية فى عصر إسماعيل	(٩)
	بيان بعدد السفن التى وصلت ميناء الإسكندرية فى الفترة من	(١٠)
٢٤١	١٨٦٣ م - ١٨٧٢ م	
٢٥٤	بيان بأعداد السائحين فى الفترة من ١٨٦٣ م - ١٨٧٢ م	(١١)
٢٦١	أهم المعارض الدولية التى شاركت فيها مصر	(١٢)

فهرس الملاحق

ملحق رقم	الوصف	الصفحة
(١)	ملخص بأهم البحوث التي ألفت بالجمعية الجغرافية الخديوية	٢٦٦
(٢)	اتخاذ السياح مصر مشى (الوقائع المصرية - العدد رقم ٦٣٤ ٢٦٨ بتاريخ ٦ ديسمبر ١٨٧٥)	
(٣)	الإشارة بحسن النظام فى الفنادق (الوقائع المصرية - العدد رقم ٥٨٦ بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤)	٢٦٩
(٤)	لائحة التنظيم الإداري للقانون التى أعدها على باشا مبارك	٢٧٠